د. يسرية عبد العزيز

البعث الجديد

اكتشاف الآثار الغارقة
فى أبى قير والإسكندرية



دار الشروق

البعث الجديد

الطبعـة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٣٤٣٥
ISBN 978- 977-09-2316-9

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٠٢٣٣٩٩ ٢٢٤
فاكس: ٠٣٧٥٦٧ ٢٢٤ (٢٠٢)
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

يسرية عبد العزيز حسنى

البعث الجديد

اكتشاف الآثار الغارقة فى أبى قير والإسكندرية

دار الشروق

إهداء

أهدى هذا الكتاب إلى ابن مصر السكندرى، المحب لمجدها وتاريخها، وكل حبة فى ترابها، الهاوى لتراثها وآثارها وفنونها، والذى قدم هذا الموروث للعالم، حتى كانت تلك اللحظة الحلم التى مكنته من أن تكون له تلك اليد الحانية، الحافظة مع ذلك العقل الواعى والمدرك، فكانت بصماته على آثار مصر وتراثها حقبة مزدهرة بما أنجز من ترميمات واكتشافات على طول مصر وعرضها.

أهدى كتابى إليه، فهو الذى ارتاد الصعب، واقترب من الحقيقة، وأعمل العقل، واستخدم المعرفة والعلم، وتمسك بالقيمة، واجتهد فى العمل فكانت إحدى نتائج هذا العصر، تلك الاكتشافات الرائعة للآثار الغارقة فى سواحل مصر، والتى هى واحدة مما أدرك ووعى ورعى فى مجال الثقافة والتراث.

إلى الوزير المبدع المثقف، أخى، فاروق حسنى، وزير الثقافة، أهدى إليك أحد إنجازاتك وأشكرك على كل ما قدمته من جهد وعمل جاد وشاق ونافع.

وفقنا الله جميعا

المحتويات

الباب الأول

الباب الثانى

جدول الاختصارات

LIST OF ABBREVIATIONS

ASAE : Annales du service des Antiquités de L' Egypte. l

BCH : Bulletin de correspondance hellénique.

BDE : Bibliothéque d'Etudes (IFAD)

BIFAO : Bulletin de l'institut Français d'archeologie orientale, le caire.

BSA Alex : Bulletin de la société Archeologique d'Alexandrie.

EEF : Egyptain Exploration Fund.

JEA : Journal of Egyptian Archaeology, London.

LÄ : Lexikon der Ägyptologie.

MDAIK : Mitteilungen des deutshcen archäologischen instituts.
Abteilung kairo.

MEFRA : Melanges de l'Ecole Francaise de Rome, Antiquité.

العصور الجيولوجية فى مصر ابتداء من البلايوستوسين(*)

- البلايستوسين المبكر : فترة ما قبل ظهور الإنسان فى مصر.
- العصر الحجرى القديم الأدنى : انتهت حوالى ٥٠٠٠٠ سنة ق. م.
- العصر الحجرى القديم الأوسط: انتهت حوالى ٢٠٠٠٠ سنة ق.م.
- العصر الحجرى القديم الأعلى: انتهت حوالى ١٠٠٠٠ سنة ق. م.
- فترة انتقالية بين الحجرى القديم الأعلى والحجرى الحديث : تبدأ من ١٠٠٠٠ - ٨٠٠٠٠ سنة ق. م.
- العصر الحجرى الحديث : ٨٠٠٠ - ٤٥٠٠ سنة ق.م.

جدول لنهاية العصر النيوليتى (**)

٥٥٤٠ - ٤٥٠٠ ق. م. النيوليتى

٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق. م. قبل الأسرات (المبكرة)

٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق. م. قبل الأسرات (المتوسط)

٣٥٠٠ - ٣٣٠٠ ق. م. قبل الأسرات (المتأخر)

٣٣٠٠ - ٣١٥٠ ق. م. قبل التانيتى

(*) عيسى على إبراهيم: جغرافية مصر، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦ .

(**) Nicolas grimal, A History of Ancient Egypt, 1993.

جدول بالتسلسل التاريخى

أولاً : العصر الفرعونى (ملوك ظهرت لهم بقايا أثرية بمدينة الإسكندرية)

- الأسرة الثانية عشرة XII

سيزوستريس I ١٩٧١ - ١٩٢٦ ق.م.

سيزوستريس II ١٨٩٧ - ١٨٧٨ ق.م.

سيزوستريس III ١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق.م.

- الأسرة الثامنة عشرة XVIII

تحتمس III ١٤٧٨ - ١٤٢٦ ق.م.

تحتمس IV ١٤٠١ - ١٣٩١ ق.م.

امنحتب III ١٣٩١ - ١٣٥٣ ق.م.

حور محب ١٣٢٣ - ١٢٩٣ ق.م.

- الأسرة التاسعة عشرة XIX

سيتى I ١٢٩١ - ١٢٧٩ ق.م.

رمسيس II ١٢٧٩ - ١٢١٣ ق.م

مرنبتاح ١٢١٣ - ١٢٠٤ ق.م.

سيتى II ١٢٠٤ - ١١٩٢ ق.م.

- الأسرة العشرون XX

رمسيس IX ١١٢٠ - ١١٠٣ ق.م.

- الأسرة XXVI (العصر الصاوى)

بسماتيك I ٦١٠ - ٥٩٥ ق. م.

نخاو ٥٩٥ - ٥٨٩ ق.م.

بسماتيك II ٥٨٩ - ٥٧٠ ق. م.

إيزيس ٥٧٠ - ٥٢٦ ق. م.

أمازيس

- الأسرة XXVII (أسر فارسية) ٥٢٥ - ٤٠٤ ق. م.
- الأسرة XXVIII (سايس) ٤٠٤ - ٣٩٩ ق. م.
- الأسرة XXIX (منديس)
- باخوريس ٣٩٣ - ٣٨٠ ق. م.
- الأسرة XXX (سبنيتوس)

نختانبو I ٣٨٠ - ٣٦٣ ق.م.

نختانبو II ٣٦٠ - ٣٤٣ ق. م.

الاحتلال الفارسى الثانى

ثانيًا: العصر الهلينستى

- دخول الإسكندر مصر ٣٣٢ ق. م.
- الأسر البطلمية
- بطلميوس I (سوتير) ٣٠٥ - ٢٨٣ ق. م.
- بطلميوس II (فيلادلفوس) ٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م.
- بطلميوس III (إيفرجيتس) ٢٤٦ - ٢٢١ ق. م.
- بطلميوس IV (فيلوباتور) ٢٠٤ - ١٨٠ ق. م.

- بطلميوس V (أبيفانس) ٢٠٤ - ١٨٠ ق.م.

- بطلميوس VI (فيلوميتور) ١٨٠ - ١٤٥ ق.م.

- بطلميوس VIII (إيفرجيتس II) ١٤٥ - ١١٦ ق.م.

- بطلميوس IX (سوتير II لاثيروس) ١١٦- ٨٠ ق.م.

- بطلميوس X (الإسكندر I كونكورنت) ١١٠ - ٨٨ ق.م.

- بطلميوس XI (الإسكندر II) ٨٠ ق.م.

- بطلميوس XII ٨٠ - ٥١ ق.م.

- كيلوباترا VII ٥١ - ٣٠ ق.م.

- كيلوباترا VII مع بطليموس XIII ٥٢ - ٤٧ ق.م.

- كيلوباترا VII مع بطليموس XIV ٤٧ - ٤٤ ق.م.

- كيلوباترا VII مع بطليموس XV قيصر ٤٣ - ٣٠ ق.م.

- يوليوس قيصر فى مصر ٤٨ - ٤٦ ق.م.

- مارك أنطونيو فى مصر ٤١ - ٣٠ ق.م.

- أوكتافيوس فى الإسكندرية ٣٠ ق.م.

ثالثًا: العصر الرومانى

- أوغسطس (أوكتفيوس قيصر) ٢٨ ق.م - ١٤م

- تيبريوس ١٤ - ٣٧ م

- كايوس كاليجولا ٣٧ - ٤١م

- كلاديوس ٤١ - ٥٤ م

- نيرو ٥٤ - ٦٨ م

- دومتيان ٨١ - ٩٦ م

- تراجان ٩٨ - ١١٧ م

- هادريان ١١٧ - ١٣٧ م

- سبتيموس سفروس ١٩٣ - ٢١١ م

- كاراكالا ٢١١ - ٢١٧ م

- ديوكليتان ٢٨٤ - ٣٠٥ م

رابعًا: العصر المسيحى

- تحول قنسطنطين العظيم ٣٢٤ - ٣٣٢ م

- قسطنطين الثانى ٣٣٧ - ٣٦١ م

- جوليان ٣٦١ - ٣٦٣ م

- فالنس ٣٦٤ - ٣٧٨ م

- ثيودوسيوس العظيم ٣٧٩ - ٣٩٥ م

تحطيم معبد السيرابيوم

- ثيوفيليس ٣٩١

- استمرار تدمير المعابد الوثنية وبناء الكنائس ٣٦٠ - ٤١٤ م

- انتهاء معبد إيزيس فى مينوتس ٤٨٥ م

- الفتح العربى الإسلامى ودخول الإسكندرية ٦٤١ م

(عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

المقدمة

إننى سعيدة أيما سعادة؛ إذ أتقدم بهذا الكتاب إلى القارىء العزيز والباحث المتخصص، فقبل أن أكون باحثة مدققة فى هذا الفرع من التخصص، فأنا بالدرجة الأولى سكندرية أعشق مدينتى، وربما لو أننى لم أختر الإسكندرية والإقليم الكانوبى (ضاحية أبى قير) محورًا لهذا الكتاب البحثى لكان إحساسى أننى قد تخليت عن انتمائى ومدينتى التى أرتبط بها جذورًا وحاضرًا ارتباطًا وثيقًا وعميقًا، لكن المثير حقًا هو أن كتابى الأول فى هذا المجال كان عن الاكتشافات الحديثة فى المدخل الشرقى لمصر، والآن فى هذا الكتاب فإننى أتناول موضوع الاكتشافات الحديثة فى المدخل الغربى لمصر، وكأننى بهذا أضم وطنى بذراعى.

الحقيقة أيضًا - كما نعرف - فإن دولاً كثيرة قد تمتلك الآن كنوزًا من المعارف ذات التقنيات غير المسبوقة، ومع أنها تمتلك قدرات علمية ووسائل تقدم لا محدودة، لكننا نجدها فى النهاية تبحث حثيثًا عن جذور لها، ربما على أحسن تقدير تبلغ مئات قليلة من السنين، فهم هناك رغم القوة الجبارة والمدنية، نجدهم يبحثون عن العراقة، عن الحضارة والتراث، تلك الجوهرة التى لا يملكونها، أما هنا فنجد أننا رغم صعوبات الحاضر فإننا نمتلك تلك الجوهرة، إنها آلاف من السنين تراثًا ضاربًا فى أعماق التاريخ وقبل التاريخ، فقد كانت هناك المعجزات بمقياس اليوم حينما لم يكن إلا البداية والغموض، كانت هنا فى منطقتنا معرفة عملاقة وحضارة فذة وتقدم مذهل، وإذا كان الكون كله إلى زوال ولا يبقى غير وجه الله، فإن هذه القاعدة لا بد أن تنسدل على المفردات، وهذا ما قد كان حقًا، فالحضارات القديمة ولت واضمحلت لكنها بقيت فى نفوس أصحابها ليظلوا فخورين بذلك التراث البراق، والذى ربما بقيت بعض من آثاره شاهدًا ملموسًا

مرئيًا، والحقيقة أن كثيرًا منه قد طواه الزمن، وجرت عليه قاعدة الزوال، وطغت عليه الطبيعة فأخفت جزءًا منه، ودمرت أجزاء، لكنها فى النهاية حضارة أذهلت الدنيا وبهرتها حال اكتشافها. كانت أم هذه الحضارات هى المصرية الفرعونية، ثلاثة آلاف ومائتان قبل الميلاد حينما كتب المصرى خطة ليبقى خالدًا بما دوّن للإنسانية، ورسخ فى ضميرها، وحتى بعد أن تعاقب الغزاة على مصر، ظلت تختم بخاتمها أولئك الغزاة، فأصبح الإغريق ملوكًا فراعنة، واستهوتهم الديانة المصرية فأرادوا التمسك بها واحترام طقوسها ومقدساتها، هكذا فعل الإغريق، وبعدهم الرومان. لم يكن انتمائى وحبى للإسكندرية وحدهما هما محور هذا الاختيار بكل تأكيد، فالمدينة نفسها استثناء بين المدن المصرية، جزآن من اليابسة، أحدهما مرتبط أصلاً بالأرض المصرية، يحمل سمات التقاليد والديانة المصرية ويصلها الشريان المصرى النيل العظيم عن طريق فرعه المندثر المسمى (الكانوبى أو الهيراكليونى).

هذا الجزء هو الممتد على البحر الكبير من مدينة (برجوتى) أو كانوب حتى قرية (رع كدت) أو راكوتى (راقوده). كما حدثنا استرابون Strabon فقد أقام بها الملوك المصريين حامية عسكرية ومنحوا الأرض حول القرية للرعاة، وهم قوم أشداء، ليصدوا عنها المغيرين، ويحموا شواطئها ويحرسوها.

أما جزؤها الآخر فهو الجزيرة التى تقع أمام الساحل المصرى والتى ذُكِرَ ميناؤها الآمن فى الملحمة الشهيرة فى الأدب اليونانى للشاعر هوميروس فى القرن الثامن ق. م، كما قيل إن الملك سنفرو قد بنى أسطوله بها فى أثناء حكمه فى الدولة القديمة، أى قبل مجىء الإسكندر إليها بقرون بعيدة، وهذا الأخير هو الذى أمر بوصل هذين المكانين معا بجسر صناعى من الأرض ليكوّنا المدينة الجديدة.

تحمل الإسكندرية سمات المدينة الكوزموبوليتان منذ بداية تاريخها حتى العصر الحديث، ففيها بالأساس أصحاب الأرض الأصليون؛ المصريون، وبها جالية كبيرة من اليهود، ثم هناك بعض من الفرس الذين بقوا فيها بعد انتهاء الغزو الفارسى، ثم أولئك اليونانيون وأيضًا الرومان أو الإيطاليون، وأخيرًا الأتراك القادمون مع حملة سليم الأول، خليط مدهش عبر العصور عاش فى أمن وسلام وتعاون وتآخٍ لتكون الإسكندرية وضاحيتها.

اخترت مدينتين مصريتين فى الساحل الغربى لمصر من أشهر المدن إبان العصرين اليونانى والرومانى، هما الإسكندرية وكانوب بضاحيتها مينوتس وميناثها هيراكليون.

لقد عانت منطقتى أبى قير والإسكندرية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تردى وتدمير كثير من آثارهما، وكذلك حركات هدم المبانى القديمة وإقامة منشآت حديثة، سواء أكانت مبانى عشوائية على مناطق أثرية أم توسعات لملاحقة الزيادة السكانية. لكن الحقيقة، ولحسن الحظ، أنه بفضل بعض العلماءوبعض الأثريين والمهتمين بالبحث عن تاريخ هاتين المدينتين، سواء بحكم موقعهم الوظيفى، أو كونهم من محبى الآثار، أو من ملاك الأرض، أمثال بوتى Botti، ودانينوس، وبرتشيا Briccia، وأدريانى، والفلكى، والأمير عمر طوسون، وجاستون جونديه، وكامل أبو السعادات، كانت التنقيبات التى تمت فى القرن التاسع عشر أو حتى إلى وقت قريب من القرن العشرين قد تمت بالمجهود الذاتى، أو بقدر ما سمحت به الإمكانات آنذاك، ولكن النتائج كانت إيجابية وكبيرة، والتى أثمرت عن اكتشافات كثيرة تحت مياه خليج أبى قير والميناء الشرقى، حتى كانت نهاية القرن العشرين والنشاط الكبير الذى تم على أيدى البعثات الفرنسية ممثلة فى المعهد الأوربى للآثار، ومركز الدراسات السكندرية،

والبعثة الإيطالية، والبعثة اليونانية، وتعاون كل من هذه البعثات وعملها تحت إشراف المجلس الأعلى للآثار ممثلاً فى إدارة الآثار الغارقة، وتعاون جهات عديدة معهم، ومع الاستعانة بأعلى تكنولوجيا أتاحها العلم الحديث من تصوير تحت الماء ورصد وحساب ونسخ ورفع وتحليل وبرمجة وتخزين، فقد وُضِعَتْ قاعدة معلومات ضخمة ومفصلة بفضل تأسيس مواقع إلكترونية وعمل محطات قياسات أعماق، واستحداث خرائط لقاع البحر بواسطة السونار وجهاز رسم الخرائط Global Positioning System، وكاميرات صوتية تعطى صورًا عالية النقاء على الشاشات لرسم قاع البحر، واستعمال نواة المجنيتومتر، وباستعمال عمليات القولبة بمادة السيليكون لإبراز النقوش والكتابات للقطع الأثرية، وإعادة تركيب هذه الرسوم والنقوش على الورق ومطابقتها، كل ذلك أدى إلى نتائج مبهرة أعادت بعث مواقع كانت مزدهرة غرقت تحت ماء البحر المتوسط.

شكرًا للعلم الحديث والتكنولوچيا اللذين أتاحهما العقل الإنسانى المبتكر.

أبو قير الاسم المحرف للأب قير الذى دفن فيها إبان عصر المسيحية المبكر، والتى كان من المعروف أن اسمها فى العصر الفرعونى (برجوتى) أو (بى جوتى)، وكان الإله الثى يحتل مكانة كبيرة فيها هو أوزوريس، وكان المصريون يدعونه فى العصر الفرعونى المتأخر (جنوب)، وحرفت إلى (كانوب)، وعرفت به.

أيضًا يقال إن اسمها المصرى هو (كاهينوب) وهى تعنى الأرض الذهبية. كما تقول أسطورة قديمة إن كانوب كان إلهًا مصريًا قديمًا كما ذكرنا (ربما هو نفسه جنوب السابق ذكره)، وهو ذو جسد عبارة عن إناء خزفى. ونعرف أن أوانى حفظ الأحشاء تعرف بالأوانى الكانوبية ومن ثم أخذت اسمها من هذه المدينة التى كانت تعبد الإله أوزوريس، وحيث جمعت إيزيس أشلاءه مع آخر قطعة وجدتها فى كانوب وحفظتها بها.

لقد كان لكانوب فى العصر الفرعونى معبدها الخاص بالإله أوزوريس، والذى تحول فى العصر اليونانى إلى معبد للمعبود سارابيس باسم السيرابيوم حتى يمكن تقريب الديانتين المصرية والإغريقية، وهو الذى كان ذا شهرة عظيمة ربما تفوقت على شهرة سيرابيوم الإسكندرية. كانت الآلهة الرئيسية الفرعونية للمنطقة الكانوبية هى أوزوريس (رب الستنقع)، وإيزيس (ربة البحار)، وأمون جرب خاصة خونسو الإله الطفل الذى يأتى بمعجزات، وقد شبهه اليونانيون بالإله هرقل. ظلت كانوب خلال القرن الثالث ق. م مركزًا من أهم مراكز الديانة فى مصر، فهى الأشهر لشعبية آلهتها، وأيضًا لأهمية قدس أقداسها المكرس لعبادة الأسرة المالكة لقربها الشديد من العاصمة الإسكندرية، إلى جانب هوائها ومزارعها ومبانيها والترعة بينها وبين الإسكندرية التى تقل رواد المنطقة من السكندريين لقضاء أوقات بهيجة.

كانت أوائل الاكتشافات عندما اكتشف أول مدير للمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية جوسبى بوتى Botti مع هاوى الآثار دانينوس بين عام ١٨٩٢ – ١٨٩٣ أولى مبانٍ أثرية فى منطقة قلعة توفيق، والتى صنفت منذ زمن بعيد على أنها ربما معبد يونانى رومانى يحتوى على كميات ضخمة من الآثار الفرعونية أحضرت من مدن الدلتا والصعيد (وربما هنا يكون لى اعتقاد، وهو أنه بما أن مدينة كانوب ترجع إلى العصر الفرعونى، وهى برجوتى كما أسلفنا، أو حنت ساو كما سيأتى، فالآثار الفرعونية التى تزين هذه المعابد أو الأماكن قصد بها تزيين معبد فرعونى موجود فعلاً فى هذه المنطقة ربما حدث له تعديل أو تحوير بعد ذلك ليتحول إلى معبد يونانى رومانى، حيث إن المعبد أصلاً كان لعبادة أوزوريس (أوزيرابيس)، فليس هناك من داع إذن إلى القول بأن هذه الآثار الفرعونية قد أحضرت من مدن الدلتا والصعيد لتزيين أماكن أو معابد أو مدينة يونانية رومانية، وينسحب هذا أيضًا إلى ما قيل بعد ذلك عن الإسكندرية). من المؤسف

أنه فى تلك الفترة لم يُنْشَر سوى أربعة صفحات لا تحمل أى توضيح، سواء بالتصوير الفوتوغرافى أو برسوم توضيحية للآثار المكتشفة، لذا فقد كانت مطابقتها مع موقع معين تُعد غير دقيقة، وقد قام برتشيا بعد ذلك بعدة حفائر أخرى، وفى الناحية الشرقية من شبه الجزيرة تحديدًا عند قلعة الرملة أسفرت حفائره عن كشف عدد كبير من اللقى الأثرية قرر بعدها برتشيا عام ١٩١٤ أن كانوبوس القديمة لا بد أن يتطابق موقعها مع الموقع الأثرى الكبير الذى اكتشف قرب قلعة توفيق على الناحية الغربية لجزيرة أبى قير، وأن البقايا أمام قلعة الرملة هى القرية القديمة (مينوتس)، وكذلك فإن المؤرخين القدماء والعلماء المحدثين يميلون إلى مطابقة رأس أبى قير الحالية مع رأس زفيريون التى ذكرت فى المصادر القديمة، حيث أقيم معبد ارسينوى أفروديت الذى ذكره كاليماخوس، والذى من المفترض أنه كان يقع مكان قلعة البرج الحالية **(لوحة أ)**.



لوحة أ



لوحة ب

قد تكون هناك بعض التحفظات من قبل بعض العلماء المحدثين على توقيع موقع كانوب فى السابق عند قلعة توفيق، وعلى أنه ليس أكيدًا أن رأس زفيريون هى رأس أبى قير الحالية على اعتبار أنه قد حُدِّدَ موقعها ببساطة فى مكان ما بين تابوزيرس بارفا والحدود الكانوبية، وأن تابوزيرس نفسها هى أيضًا غير معلوم مكانها تحديدًا، ولكن هذه الاعتراضات يمكن الرد عليها؛ فحسب الخرائط الباثيمترية الحديثة فإنه لا يوجد نتوء داخل فى البحر من شاطىء الإسكندرية حتى رشيد سوى رأس أبى قير الذى وُصِفَ بالنتوء كذلك فإنه حتى بدايات القرن العشرين كان يمكن رؤيه نتوء داخل فى البحر فى المنتزه على حافته بعض آثار المبانى والحمامات. إنها تمثل بقايا تابوزيرس بارفا وذلك طبقًا لما رأى وذكر فورستر عام ١٩٢٢ .

لقد أدت أعمال التنقيب التى قامت فى أوائل التسعينات من القرن العشرين، والتى شملت عدة مواقع فى خليج أبى قير، وجزيرة نلسون، وأمام قلعة الرملة تحت مياه الخليج، وفى موقع هيراكليون، أدت إلى اكتشافات على درجة كبيرة من الأهمية، إذ إنها أدت إلى مساعدتنا على الترجيح بتوقيع المواقع، وربما أيضًا تأكيدها، ففى جزيرة نلسون (كانوب)، وهى التى أصبح جزء كبير منها الآن تحت مستوى سطح البحر، وهى تبعد ٤ كيلو مترات إلى شمال رأس أبى قير، ويبلغ طولها ثلاثمائة وخمسين مترًا اكتشف عليها فى المنحنى الفاصل بين النتوء الشرقى و الجزيرة مقابر خالية من النقوش ترجع إلى العصر الفرعونى المتأخر. كذلك عثر على ممياوات وبعض التوابيت والدفنات، مما يؤكد أن الجزيرة كانت يومًا متصلة بالأرض[1]. منشآت أثرية لم تكتشف فى السابق، أيضًا بينما لم يمكن العثور فى أية طبقة فى الإسكندرية على المرحلة المبكرة من الغزو المقدونى

(1) Paolo Gallo, one hundred years in Egypt paths of Italian Archaeology, A history of water and sand.

فى الحدود العمرانية للعاصمة القديمة، فإن حدود مساحة جزيرة كانوب قد منحتنا هدية مهمة غير متوقعة، وهى مستوطنة هللينستية مبكرة من أواخر القرن الرابع إلى أوائل القرن الثالث ق.م، تقع على النتوء الشرقى وعلى ارتفاع خمسة عشر مترًا فوق مستوى سطح البحر، بقايا منازل فقيرة، وبقايا فخار من أنحاء متعددة، يبدو أن هذه المنازل كانت مؤقتة لعمال عاملين فى المبانى القريبة. لقد أدى التنقيب أيضًا إلى اكتشاف حصن ذى استحكامات ضخمة من الفترة نفسها، والحقيقة أنه لم تُكْتَشَف بقايا حصون من العصر الهلينستى فى مصر سوى فى سيناء فى مدينة "تل الحير". وتحت حصن سيلا أمكن أيضًا اكتشاف نظام هيدروليكى للماء، حيث اكتُشفَ نفق يؤدى إلى صهاريج وبئر ومواسير ممتدة من الفخار. ربما قد يثار سؤال عن سبب سكن البعض مثل هذه الجزيرة غير الملائمة للسكنى حيث لا مصدر للماء، لكن الإجابة قد تكون فى الاكتشافات، حيث رُجِّحَ أن هذه الجزيرة كانت فى الماضى على بعد كيلو مترين فقط من ميناء هيراكليون، ويرجح أن جزيرة كانوب كانت تلعب دورًا استراتيجيًا فى المراقبة والتحكم البحرى فى المرور الداخل والخارج للمنطقة الكانوبية، كما أنها نقطة دفاع متقدمة بالنسبة إلى الميناء ومدخل مصر، حيث وجدت طلقات المنجنيق الرصاصية ورءوس حراب، والدلائل تؤكد أن هذه المستوطنة قد بنيت فى نهاية القرن الرابع ق. م مع غزو الإسكندر واختفت خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادى. إلى الشرق من كانوب نجد أنه قد سكنت على عمق قدمين داخل الرمال وعمق ٢١ قدمًا تحت مياه مظلمة مدينتان مصريتان أو ضاحيتان كبيرتان فى مدينة كانوب كانتا يومًا ما شهيرتين، هما مينوتس وهيراكليون (ثونيس). كانتا تقعان على المدخل التجارى لنهر النيل، وهو الفرع الكانوبى على البحر المتوسط. لكن انتهاء نجاحهما أو شهرتهما الفجائى والغامض كان محل كثير من التساؤلات والبحث والتفسير، لكننا نجد أنه من البقايا الأثرية التى اكتشفت تحت الماء، أمكن للأثريين أن يتعرفوا كيف أن ساكنى مينوتس مثلاً قد تركوا الأماكن فى سرعة أو على عجل، ولكن أيضًا إلى غير رجعة.

لقد تم البحث عن توقيع الإقليم الكانوبى المختفى تحت الماء ودراسة الظروف التى أدت إلى غرقة، هناك بعض الأثريين ناقش، وكذلك أكد أن هذه البقايا التى وجدت فى موقع مينوتس لا بد أنها تكوّن جزءًا أساسيًا من المدينة الأكبر كانوبوس، حيث يمكن القول إن مينوتس كانت ضاحية كبيرة لكانوب ولم تكن قرية صغيرة، وكذلك لم تكن مدينة كبيرة، حيث إن بداياتها تعتبر غامضة. ورغم وجودها فى الإقليم الكانوبى منذ الأسر الفرعونية المتأخرة لم يذكرها سترابو عندما تكلم عن المنطقة الكانوبية فى القرن الأول ق.م، والأرجح، وهو أيضًا رد على الاعتراضات السابقة الذكر، أنه ربما اعتبرها جزءًا من كانوب فذكرها ضمنا معها، فنجد أن أول ذكر باسم مينوتس جاء مع ما وصل إلينا من بقايا نقوش من القرن الثانى الميلادى حيث يهدى أحد المتعبدين تكريسًا منقوشًا على تمثال من إيزيس مينوتس إلى إيزيس فاروس، وهنا نجد أيضًا الخطيب زخارى الذى ذكر مينوتس على أنها قرية عندما عرض ظروف تدمير المعبد الوثنى فيها فقال: "فى معبد هذه الإلهة إيزيس الذى كان فى مينوتس، القرية التى على بعد من الإسكندرية يبلغ عشرة أميال (١٤,٨ كم) وتجاور موقع كانوب".

كذلك فى القرن الرابع الميلادى كان الضريح الشهير للإلهة إيزيس مزارًا لكثير من الحجاج، يتجمعون فى معبدها فى مينوتس، وهو الذى جعل منها مركزًا دينيًا كبيرًا فى مصر فى ذلك الوقت، وقد تحول هذا الضريح بعد ذلك إلى ضريح لا يقل شهرة للتبشيريين الإنجيليين (قير و يوحنا). إن اكتشاف هذا المعبد وموقع البقايا الأثرية قاد أو دفع المكتشفين إلى الاعتقاد بتعيين موقع ضاحية مينوتس فعلاً، وبحسب كل من هيرودوت وسترابون عند ذكرهما لميناء هيراكليون وموقعه من الفرع الكانوبى، وكذلك بحسب سانت أبيفانيوس، فإن مينوتس لا بد أن تقع شرق كانوبوس على بعد ميلين منها، وهى بحسب سوفرون كانت فى منطقة تلال رملية مرتفعة وموقعها يمكن تعيينه بسهولة، فإن بينها وبين

هيراكليون ميلين أو (٢,٩٦٠ كم). ولو أننا وضعنا على الخريطة هذه المسافة بين البقايا الأثرية التى بواسطة عمر طوسون قيل إنها لضاحية مينوتس، فإنه يتبقى كيلو متر واحد على مصب الفرع الكانوبى، وهو المسافة بين هيراكليون والمصب الكانوبى والمعين من قبل هيرودوت وسترابون. وعند رجوعنا إلى وصف البطريرك سوفرون عام ٦١٠ - ٦٢٠ ميلاديًا، حيث وصف الضريح الذى تحول من معبد المعبودة إيزيس إلى ضريح القديسين قير ويوحنا، نجده يقول: "إنه يقع بين الساحل الشرقى للبحر وبين تل من الرمال فى الغرب، يمكن أن يراه المبحرون فى أعالى البحر، يحوط به حائط مع وجود مدخل من ناحية البحر... إلخ".

إن هذا التحديد للموقع، مع خروج عدد كبير، سواء بواسطة برتشيا وعمر طوسون فى السابق، من اللقى الأثرية، أو مع التمثال الرائع للملكة البطلمية فى وضع إيزيس فى المكتشفات الحديثة، وهو الذى يعرض فى مكتبة الإسكندرية، وكذلك اكتشاف تمثال حربوقراط، اكتُشفَ أيضًا عدد من المبانى وأعمدة كبيرة ساقطة فى صف واحد على جانبى طريق كبير، وتماثيل أبى الهول وأوعية لحفظ النبيذ، وقطع نحتية وتماثيل وعملات ذهبية، وكذلك بعض الحلى، وهى التى اعتبرت مفتاحًا دالاً على أن مينوتس قد غرقت سريعًا، فلو أن الانهيار كان تدريجيًا ما تركت الحلى الثمينة والنقود على الأرض، وقد أعطى العلماء احتمالاً كبيرًا إلى أن غرق مينوتس لا بد قد وقع بعد وقت قليل من عام ٧٤٠ ميلاديًا، حيث لم يعثر على عملات نقدية لأحدث من هذا التاريخ. إن البناء الضخم الذى استلزم مثل هذه الأساسات لا بد أن يكون هو المعبد الشهير الواقع على التل الرملى للإلهة إيزيس، حيث اكتشف أخيرًا فى موقع مينوتس ثلاثة أخاديد أو شقوق أحدها يأخذ شكلاً هلاليًا يبلغ طوله ١١٥ قدمًا، ويبلغ عرضه خمسين قدمًا فى أوسع نقطة فيه. هذا الشق مملوء بالرمال وشقف الفخار، ورجع

العلماء أن الذى ملأه هم البشر وليس البحر، وهو يقع مباشرة تحت جدار أثرى كبير مبنى من الحجر الجيرى، مما يرجح أنه قد شق لعمل أساسات لتتحمل هذه المبانى الضخمة.

إن الاكتشافات السابقة قد لا تعطى نتائج قاطعة، لكنها بكل تأكيد تبدو عظيمة مثيرة للتفاؤل. إن مينوتس بحجم اكتشافاتها تؤكد أنها كانت ضاحية مهمة من المدينة الكبيرة كانوبوس.

أما الميناء هيراكليون (ثونيس) الذى يقع قريبًا منها إلى الشمال الشرقى على مصب فرع النهر فهو من أكبر موانىء إقليم الإسكندرية، وشهرته عظيمة، فقد وجدت قطعة موزاييك من النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى فى تل الروساس قرب مادابا بالأردن تبرز اسم ميناء هيراكليون من بين الموانىء الكبيرة فى الدلتا. إن هيراكليون (ثونيس) يعتبر هو الموقع الوحيد المؤكد الذى تم تحديده ومطابقته فعليًا، وبما لا يقبل الشك، فها هو فرع النيل الكانوبى الذى يقع على مصبه يبدو فى الخرائط الباثيمترية إلى الشرق من كانوبوس، ثم اللقى الأثرية والميناء والأرصفة وبقايا السفن وتجمعات كتل الأحجار الجيرية، ثم الناووس الجرانيتى الذى تذكر نقوشه الهيروغليفية التكريس لعبادة أمون جرب، والذى كان يتماثل مع هرقل، وهى العبادة الرئيسية لهذا المعبود فى هيراكليون، اكتُشِفَتْ فى موقع معبد هيراكليوم الشهير، ورُسِمَتْ خريطة لكتلة المعبد وسائر المبانى، أما الاكتشاف الكبير فهو اللوحة الجرانيتية التى تحتوى على التعليمات الخاصة أو مرسوم دفع الرسوم الجمركية على البضائع التى ترد على الموانىء لتدخل مصر وهى اللوحة التى تتطابق مع لوحة نقراطيس فى التاريخ من الأسرة الثلاثين للملك نختانبو الأول ٣٨٠ - ٣٦٢ ق. م مع اختلاف اسمى المدينتين، حيث الأولى المكتشفة عام (١٨٩٩) تحمل اسم مدينة نقراطيس (نقراش - كوم جعيف)، أما فى اللوحة المكتشفة من الموقع الغارق فإن النص الهيروغليفى

لرسوم الملك يأمر بأن "توضع هذه اللوحة فى فم بحر اليونانيين فى مدينة "حنت - ساو" (قد يكون نسبة إلى قربها من مدينة سا الحجر أو "ساو" "سايس" عاصمة الأسرة ٢٦)، حيث تذهب الضرائب هنا إلى خزانة معبد الإلهة نيت فى سايس، وربما يكون نسبة إلى ثونى أوثونيس الذى أطلق على الميناء بحسب ما ذكر هيرودوت، وهنا فإنه قد كان هناك شك فى تمييز الاسمين ثونيس وهيراكليون حتى عرضت النظريات[1] التى رجحت أنهما مدينة واحدة تكونت من اسمين أحدهما ثونيس والآخر هيراكليون، وهو الاسم الذى أطلق عليها بعد إعادة تجديد الميناء فى أثناء العصر اليونانى والرومانى والمذكور فى النص اليونانى فى النقش). أما اكتشاف القناة الكبيرة بين هيراكليون وكانوب، والتى ذكر أن مريدى التنزه وقضاء العطلات والأوقات الجميلة يركبونها، فيعد أيضًا اكتشافًا كبيرًا، وكذلك اكتشاف البناء أو الجسر الذى كان يصل بين غرب هيراكليون وشرق كانوب، واكتشاف حوض ميناء محمى بعدد من التحصينات فى الركن الجنوبى الشرقى من المعبد، والذى كان مستعملاً خلال العصر البطلمى. إننا إذن أمام موقع تم تحديده، أما اللقى الأثرية الكثيرة جدًا، والتى تتمثل فى تماثيل عملاقة، مثل حابى إله النيل الفرعونى، ونيلوس إله النيل فى العصر اليونانى الرومانى، وتمثال ذات الجدائل، والعملات الذهبية والأوانى الخزفية والبرونزية، فكلها خرجت من هذا الموقع الرائع. إن بعض التماثيل والأعمدة، والتى تصل إلى أطوال ٢٠ قدمًا، وجد أنها قد سقطت كلها باتجاه جنوب - جنوب غرب، وهنا فإن بعض العلماء - يرجحون - ومنهم العالم Nur Vivaldy من جامعة ستانفورد أن ما حدث فى المنطقة إنما هو زلزال قد ضرب ساحل الإسكندرية القديم، ويرجح بعض الجيولوجيين حدوث ما يسمى بهبوط فى الأرض، ويتفق على أن هذا الهبوط قد حدث فى المدن الساحلية المصرية إلى

(1) Jean Yoyotte, "Notes de Toponymie Egyptienne, IVXXXXX" dans mitteilungen des Deutschen Archaecologischen institutes, Abteilug Kairo, Band 16, 11, Teil (1985)

نحو ١٦ قدمًا نتيجة هبوط مفاجىء فى الأرض غطست معه مينوتس وهيراكليون وبعض كانوب فى خليج أبى قير، والميناء الشرقى فى خليج الميناء إثر زلزال حدث فى منتصف القرن الثالث الميلادي، وأنه فى عام ٣٦٥ ميلاديًا حدث أيضًا زلزال عنيف قوته ٦,٧ - ٧ فى الساحل الجنوبى لجزيرة كريت أسفر عن موجات عملاقة (تسونامى) أغرقت آلافًا من الناس فى الإسكندرية، وربما أيضًا صاحب ذلك انهيار أو تفتت فى التربة.

ويرجح بعض العلماء الآخرين أسبابًا أخرى للانهيار، مثل العالم دانييل جان ستانلى Daniel Stanly، من معهد سميث سونيان، الذى يرى أن الأرض الطينية الحسائية القوام تحت هيراكليون ومينوتس قد أسهمت فى تسيب أو تفكك التربة، فالمدن كانت تقع على ارتفاع قليل من سطح البحر كما ذكر سوفرون، حيث روى أن كنيسة الإنجليين، والتى هى أصلاً معبد إيزيس فى مينوتس كما سبق أن أشرنا: "مبنية قرب شاطىء البحر على أرض منخفضة غير مستقرة بين كثبان الرمال والأمواج، وهى تحت رحمة كليهما، فمن الشرق تضربها الأمواج الغاضبة والرمال الطاغية، ومن الغرب يتعدى شاطىء الرمال خلسة عليها". بالإضافة إلى أن الفيضان السنوى للنيل يغطى جزءًا منها مع حدوثه، ولا بد أنه أحد الفيضانات هو الذي اكتسح وأغرق خليج أبى قير. ووفقًا لمقياس النيل فإن هناك فيضانًا قد حدث عام ٧٤١ ، ٧٤٢ م وهو ما تؤكده العملات التى وجدت وتؤرخ لعام ٧٤٠م، كآخر تداول لها. ومعروف أنه فى أثناء الفيضان فإن سرعة المياة تتضاعف، مما يسمح للنهر بأن يحمل ست مرات من الرمال والطمى. ومعروف أيضًا أن الأنهار قد تغير بعض مساراتها أثناء الفيضان، وقد تشق مسارات جديدة، وتطمس أخرى قديمة، والمعلومات تبين أن الفرع الكانوبى للنيل، والذى كان يتتابع حتى هيراكليون، قد انطمس، ولا توجد قناة من النيل تتجه إلى البحر المتوسط من خلال خليج أبى قير الآن. وهناك ظاهرة أخرى اكتشفت لا

بد أنها ترتبط بما حدث فى الحوض الكانوبى، فقد أخذت عينات من النباتات والطبقات التى وجدت في البقايا الأثرية وحللت بواسطة كربون ١٤ فوجد أن هناك اختلاطًا بين طبقة طميية ترجع إلى ٢٠٠٠ عام وأخرى ترجع إلى ٦٠٠٠ عام فى الطبقة نفسها، وفى بعض المناطق وجد أن طبقة الطين الأقدم هى الطبقة الأعلى والأحدث هى السفلى. إن هذه الأبحاث ما زالت فى أطوارها الأولى لكن هذه الاكتشافات إنما تبين ما يمكن أن يكون قد حدث لهذا الساحل منذ أكثر من اثنى عشر قرنًا من الزمان.

إن مئات من التماثيل الرائعة والقطع والأثرية المهمة التى كانت تختفى تمامًا تحت الرواسب والرمال على عمق من ٣٠ سم - إلى عمق متر قدمتها لنا الاكتشافات الحديثة.

أما الإسكندرية، والذى اختير موقعها مثاليًا وجاء تخطيطها مثاليًا، فقد ذكرها سترابو الذى زار الإسكندرية ٢٦ - ٢٠ ق. م، والذى استُشْهِدَ بما ذكر فى مشاهداته وقورن بما اكتُشِفَ أخيرًا. إن هذه الاكتشافات الأخيرة أثبتت أن الموقع فى الميناء الشرقى قد هبط فى نفس مكانه الأصلى.

ماذا كان شكل هذا الميناء قديمًا، وما حدوده وبناؤه وتقسيمه قبل أن يبتلعه البحر؟ مثلما حدث فى اكتشافات ضاحية أبى قير فقد تم التعامل مع الميناء بواسطة التكنولوجيا، وتم تحديد مكونات الميناء الكبير. فها هى الجزيرة تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى للميناء على عمق نحو ستة أمتار.

وتبلغ أبعادها ٣٥٠م طولاً × ٧٠ عرضًا، وترتفع نحو ثلاث أذرع. لقد اكتشفت لقى أثرية مهمة، وبشكل أساسى فى مركز الذراع الرئيسية للجزيرة التى تتجه جنوب غرب إلى شمال شرق فى مواجهة المدينة يحتوى على بعض المنشآت. إن

أهم المكتشفات هنا كان مبنى ليس ككل المبانى فى الإسكندرية؛ إنه من الخشب الذى تبقى منه فى أقصى النهاية الشرقية للجزيرة بين الصخور وعلى عمق ٦٠سم صفان متوازيان، والدعامات الجنوبية فيها لها أخاديد من الخشب على طول محور الذراع الرئيسية للجزيرة وعلى مسافات من بعضها تبلغ ١,٥ - ١,٨م، حيث توضع ألواح خشبية ضخمة وتثبت تحت الأرض. لقد حللت بعض ألواح الأخشاب وبعض الخامات من هذا الموقع باستعمال كربون ١٤ فأعطت تاريخًا يرجع بعضها إلى عام ٤١٠ ق.م و ٣٩٥ ق.م مع مساحة خطأ تبلغ (±٤٠) عامًا، وعليه يرجح أن هذا المكان ربما كان مستعملاً من قبل مجىء الإسكندر الأكبر، وقد يرجع إلى العصر السايتى أو الأسر الفارسية، وهو ما يؤكد أنه قد كان هناك وجود مصرى، سواء على قرية راكوتى بما يعنى مبانى ومعابد وطرقًا ومنشآت مثلما فى باقى مدن مصر، أو على جزيرة فاروس، برغم ما عرفت به فى المصادر القديمة من أنها القريبة من مصر أو التى على حافة مصر. أيضًا اكتشف كم من الأعمدة وقواعد التماثيل تحمل نقوشًا هيروغليفية، والأرضيات المنتظمة ذات الأساسات الحجرية والخشبية أرجعها اختبار الكربون ١٤ إلى القرن الثالث ق. م. إن مستوى المكتشفات واللقى الأثرية وكمها إنما يؤكدان أنه هنا كان يقع القصر الملكى والذى رآه ووصفه سترابو بعد مرور وقت قصير من موت صاحبته الملكة كليوباترا، والذى تم تأريخه إلى نحو ٢٥٠ ق. م كما يؤكدان وجود معبد ربما لإيزيس، حيث اكتشف التمثال الرائع لكاهن إيزيس. أما المرفأ الصغير الخاص الذى وصف بواسطة سترابو فلا بد أن موقعه يوجد بين الذراع الرئيسية والذراع الجنوبية للجزيرة من الداخل. لقد أكدت الخريطة وجود الجزيرة القديمة (انتيرودس) وموقعها المعين منذ القدم فى الميناء الكبير بالنسبة إلى مدينة الإسكندرية. وبالإضافة إلى اللقى الأثرية السابقة فقد وجدت أعمدة عليها نقوش إغريقية تؤرخ للقرن الثالث الميلادى، مما يعنى أنها أضيفت فى العصر الرومانى، ويعتقد أن المكان لم يدم كثيرًا بعد هذا التاريخ.

أيضًا مباشرة وإلى الشرق من الجزيرة هناك شبه الجزيرة الواسعة، حيث أبعادها تقريبًا ٣٥٠ مترًا طولاً × ١٥٠ مترًا عرضًا، اكتشف بها حديثًا كتل من الأحجار الجيرية لأساسات مبنى كبير، الاحتمال الأكبر أنه معبد البوسيديوم الذى ذكره سترابو. كذلك أوضحت الخرائط تحت الماء أن هذه الجزيرة الكبيرة كانت تمتد بواسطة سلاسل من حواجز الأمواج، وعلى إحدى نهايات شبه الجزيرة وجدت بقايا بناء مهيب كما وصفه المكتشفون. هذا البناء حتما يكون هو التيمونيوم، المقر الخاص لمارك أنطونيو، حيث لم يوجد أى موقع آخر يحتمل أن يكون عليه هذا القصر. ولقد أكد هذا الافتراض وجود البقايا التى أعطت تاريخًا مطابقًا لتاريخ إنشاء هذا البناء. هناك احتمال كبير بوجود معبد على شبه الجزيرة، حيث وجدت إحدى اللقى الأثرية التى تمثل الإله الحامى لمدينة الإسكندرية أجاثوديمون، ووجوده يمثل الحماية للمعبد. كذلك بواسطة الحماية بسلاسل الصخور الطبيعية، وهى الغارقة فى وقتنا الحاضر، فإن شكل الجزيرة وشبه الجزيرة أعطانا مرفأ مثاليًا للإبحار فى ذلك الزمن، فالمرفأ الأهم فى الميناء الشرقى الكبير يأخذ شكل متوازى الأضلاع، وتبلغ أبعاده ٥٠٠×٣٢٠ مترًا مساحته نحو ١٦ هكتارًا. مدخله الأساسى للغرب يقع بين النقطة الشرقية للجزيرة والمساحة التى عليها مبنى التيمونيوم، واتساعه ٨٠ مترًا، وهو مدخل محمى من اتجاه الرياح السائدة، ويسمح بمرور سهل للسفن المبحرة. المدخل الآخر لهذا المرفأ من الجنوب، واتساعه ٤٠ مترًا، يقع بين جنوب الجزيرة وخط الساحل، ويسمح أيضًا بخروج مثالى للسفن، وبتحكم كبير وسيطرة على الميناء. إلى الشرق من شبه الجزيرة يوجد ميناء آخر كبير، أبعاده نحو ٥٠٠ م × ٥٠٠ م، مساحته نحو ١٥ هكتارًا ومدخله من الشمال الغربى محمى من الأمواج بواسطة سلاسل الصخور الخارجية، هذان الميناآن يبدو بوضوح أنهما استعملا للأغراض التجارية، وهى حقيقة تأكدت باكتشاف سلسلة الأرصفة على خط الشاطىء من

الحجر الجيرى ومئات من الأوانى والأمفورات ذات الأشكال المختلفة والطرز المختلفة التى وجدت مدفونة فى الطمى.

تحدثنا النصوص التاريخية التى تركها المؤرخون عن مرفأ شهير بناه الإنسان اقتصر فقط على استعمال الملوك، ويقع على طول رأس لوخياس، حيث قصور البطالمة، وحيث أضرم يوليوس قيصر النيران فى أسطوله كاستراتيجية حرب. هذا الميناء الملكى يقع فى النهاية الشرقية للميناء الشرقى، والذى تقع عليه الآن المنطقة العسكرية، والتى لم يستكمل فيها التنقيب بعد.

أما خط الساحل القديم فمن حسن الحظ أنه لم يدفن بكامله تحت الإنشاءات التى قامت بإقامة الكورنيش فى القرنين التاسع عشر والعشرين، فجزؤه الجنوبى الشرقى ما زال يمكن رؤيته للغطاسين، ولقد مكن اكتشاف هذا الخط الساحلى من تحديد أبعاد وأشكال هذه المرافىء الموجودة فى الميناء، وتكوين فكرة عن وظيفة كل منها، فى حين أن الإعداد الكبيرة من اللقى الأثرية التى اكتشفت بينت أهمية تلك الآثار التى أقيمت على طول هذا الساحل القديم.

هناك أيضًا فى الفترة الأخيرة اكتُشِفَ حوضا ميناء يقعان فى الناحية الغربية للميناء الشرقى الكبير، حيث ذكر المؤرخون أنه يقع فى هذه المنطقة قرب الهبتاستاديون مكان الترسانة، وهى ذات أرصفة من الحجر الجيرى. كذلك بالقرب من القلعة فى قايتباى اكتشف ميناء كبير ذو أرصفة، وكذلك بقايا جدران لمبنى كبير كان موجودًا فى الموقع. إن الاكتشافات فى هذا المكان تعطى انطباعًا خاصًا، فقد وصفها المكتشفون بأن كل شىء فيها أكبر وأجمل مما كان متخيلاً من النصوص القديمة، فهناك طريق صاعد ما زال يعطى انطباعًا عما كان عليه فى ذلك الوقت، ويؤكد أن هذا الجزء من جزيرة فاروس غاص نحو سبعة أمتار منذ القرن الثانى. ويرجح العلماء المصاحبون لبعثة الاستكشافات أن هذه

الحقيقة كانت أول مفتاح لموقع الفنار الشهير للإسكندرية، والذي خرجت منه أعداد من تماثيل أبى الهول تبلغ نحو ثلاثين تمثالاً تحمل خراطيش الملوك بداية من سيزوستريس الثالث حتى رمسيس الثانى وبسماتيك الثانى، ومسلات تخص سيتى الأول، إلى جانب ثلاثة من التماثيل العملاقة للملوك البطالمة من حجر الجرانيت، وأعمدة بردية ذات أقطار متفاوتة تبلغ أحياناً ٢,٤م مع قواعدها، كما خرجت تلك الكتل ذات الأحجام الكبيرة، حيث تزن الواحدة نحو ٧٠ طناً، والتى صنفت على أنها أعتاب وأبواب وجدران وكتل من الرخام سقطت منحدرة من ارتفاع شاهق على سفح التل الذى رجح أنه كان فى تلك العصور أرضاً جافة فى نهاية الحافة الشرقية لفاروس، مما يعطى إشارات كبيرة إلى أن هذه الكتل المتكومة فوق بعضها ما هى إلا أجزاء الفنار الشهير. ووجود كميات من المعادن ومن أمثلتها الرصاص فى هذا الموقع غير المعتاد وجودها فى آثار الإسكندرية كروابط لهذه الكتل مع معادن أخرى أيضاً إنما يرجح أننا أمام موقع ذى خصوصية معينة، وربما يكون متعدد الأغراض، فمن المرجح بشكل كبير أن حجم اللقى الأثرية الموجودة يرجح أنها قطع من الفنار، إلى جانب وجود معبد، وليكن ما ذكره المؤرخون معبد إيزيس فاريا حامية البحار، أما موقع السلسلة والامتداد الساحلى للشرق منها فقد أمكن أيضاً اكتشاف كثير من الآثار، فمنها بيلون أو صرح صغير من المؤكد أنه خاص بمعبد كان على رأس لوخياس. والمعروف أن رأس لوخياس كان عليها معبد إيزيس لوخياس، وقصر كليوباترا، يحوطهما البروكيون الحى الملكى، هذا إلى جانب اكتشاف كثير من المسطحات الرخامية والأعمدة والأبواب والأعتاب وجدت كذلك إلى جانب عدد كبير من مراسى السفن من الحجر الجيرى ذات الأشكال المختلفة، وقد تميزت المنطقة من الإبراهيمية حتى اسبورتنج بوجود بقايا جبانات أو توابيت لدفنات على شاطئ البحر، إنها المواقع التاريخية التى أتت عليها عوامل الطبيعة القاسية وطمست

معالم تلك الحضارة التى قامت قبل عدة قرون من الميلاد واستمرت مزدهرة عامرة، لكن النهاية الدرامية لها أن دفن معظمها تحت ماء البحر، ورغم قسوة الأمواج إلا أن العلم الحديث وإرادة التاريخ مكّنا من بعث بعض من مظاهر هذه الحضارة حتى تكون الإسكندرية وضاحيتها، تلك المدينة التى حفظ بحرها كما حفظت أرضها تاريخها، وعليه فإنه يتحتم علينا نحن أيضًا الحفاظ على ما وهبه لنا الزمن، وأن نستثمره بما يحقق رفاهيتنا، كمصريين محبين مباهين بآثارنا فنعد لها المشروعات والتصورات المختلفة ونقيم لها المتاحف، ونعدها للزيارة، ونقوم على حفظها، فكما نعرف فإن الإسكندرية هى خط الدفاع المتقدم لمصر، لذلك فقد خضعت نقاطها المتقدمة للحماية العسكرية للقوات المسلحة المصرية، ونعرف أن بعض هذه المناطق هى مناطق أثرية عظيمة وغنية فى مادتها مثل رأس السلسلة فى الأسكندرية، وقلعة البرج على رأس أبى قير، وقلعة كوسة باشا التى تجاورها، وقلعة الرملة على خليج أبى قير. وفى مجال المحافظة على هذه الآثار فإننا واثقون أن تلك الآثار فى أيدٍ أمينة تحافظ عليها كما تحافظ على أمن مصر، حيث التعاون المبتادل مع المجلس الأعلى للآثار لصيانتها وترميمها، وهنا لا بد من التنويه أنه فى عام ١٩٩٧ قامت دعوة إلى عقد مؤتمر نظمه اليونسكو بعنوان "الآثار تحت الماء وإدارة السواحل" كان الهدف الأساسى منه حماية الأماكن الساحلية فى أبى قير وجزيرة نلسون. والحقيقة أنه لا بد من استثمار منطقة أبى قير ووضعها على خريطة السياحة فى ساحل مصر الشمالى، خاصة بعد هذه الاكتشافات الرائعة والمحفزة سياحيًا، فلا يعقل أن يتحدث برتشيا مثلاً فى عام ١٩١٥ عن الإمكانات العظيمة لمنطقة أبى قير، والتى لا بد من تهيئتها سياحيًا، حيث هى متنفس عظيم إلى جانب الإسكندرية حسب ما أشار، ولا نقوم نحن فى القرن الحادى والعشرين بهذا الاستثمار فى هذه الظروف المواتية. هناك أيضًا جهات عديدة محلية ودولية أعدت مشروعات

وتصورات ذات طبيعة عالمية لمناطق الآثار الغارقة، لكن هذه المشروعات تحتاج إلى تمويل مادى كبير، أقترح أن يكون هناك جزء من هذا التمويل فى صورة تبرعات من السكندريين القادرين، ويمكن طرح جزء أيضًا للاكتتاب العام، ودعوة اليونسكو إلى تمويل جزء آخر، إلى جانب حلول أخرى ربما دولية، حيث إن مشروع إحياء المناطق الغارقة وتجهيزها للسياحة العالمية فى ساحل الإسكندرية له طبيعة متفردة، خاصة الميناء الشرقى، والذى ما زال يحمل ملامحه الأساسية مع وجود هذا الكم من اللقى الأثرية والأجزاء الكبيرة، والمعتقد أنها بعض أجزاء الفنار ذى الشهرة الطاغية وأحد العجائب السبع فى العالم القديم. إن الأمل أن تُسْتَثْمَر كل آثار الإسكندرية، خاصة مع وجود هذا النمط الجديد منها، والذى يستهوى الكثير لندرته عالميًا، ليعود ذلك على مدينتنا وأهلها بالنفع والخير الوفير.

الباب الأول

الفصل الأول

الظواهر الطبيعية والتغيرات الجيولوجية والجغرافية

أولاً : الدلتا والساحل الشمالى الغربى لمصر عبر العصور

منذ نشأت الأرض فإن قشرتها تتعرض بين الحين والآخر لحركات أفقية ورأسية، هذه الحركات التى تعترى القشرة الأرضية تسبب باستمرار تغيرًا مستمرًا فى تضاريس الكرة الأرضية وتقترن هذه الحركات الأرضية التى قد تحدث فجأة بما يعرف بظاهرة الزلازل[١].

نجد أنه بالنسبة إلى الظواهر الجيولوجية فى مصر فإن تكوينات ما يعرف بالزمن الثالث[*]كانت تغطى تقريبًا مساحة تقدر بنحو ١,٣٣٪ من مساحة مصر[٢]، وقد تعرض هذا اليابس المصرى فى أثناء هذا الزمن الثالث للطغيان البحرى لعدة مرات تفاوت عمق البحر ومداه فيما بين هذه المرات وبعضها، كما قد تخللتها فترات قارية.

---

(١) سليم أنطون مرقس: حضارات غارقة قصة الكشوف الأثرية تحت البحر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، ص٤٢ .

(*) انظر جدول التطور الجيولوجى.

(٢) جودة حسنين جودة: جمرفولوجية مصر، جغرافية مصر، سلسلة المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص٤٩ .

وقد كان طغيان البحر فى العصر الإيوسينى هو أكثرها عمقًا واتساعًا، حيث تبلغ مساحة تكويناته نحو ٢٠٣ آلاف كم٢، أما بحر عصر الإليجوسين فكان محدودًا جدًا، حيث بلغت مساحة تكويناته نحو ١٦ ألف كم٢، ثم عاد البحر إلى عمر اليابس المصرى فى عصر الميوسين، حيث ترك تكويناته فوق مساحة تقدر بنحو ١١٣ ألف كم٢، كذلك نجد أن عصر البلايوسين لا يعطى سوى رقعة بسيطة ضئيلة لا تزيد على حوالى ٧ آلاف كم٢[1]. بالمقارنة أيضًا نجد أن تكوينات عصر الميوسين الأسفل والأوسط قد اتصفت بالطغيان البحرى، حيث إن قسمه الأعلى قد تميز بالانحسار وأيضًا برفع عام مصحوب بالالتواء والانكسار فى شرق مصر[2]. وأيضًا فإن التكونات الساحلية البحرية التى حدثت فى الزمن الرابع، والتى تأخذ شكل سلاسل من التلال التى تتألف من الحجر الجيرى الحبيبى، وهى تمتد بمحاذاة سواحل البحر المتوسط وترتفع أحيانًا إلى أكثر من ٢٠ مترًا وهى التى تمثل العصر البلايوستوسينى على سواحل البحر المتوسط والمتمثلة فى إقليم مريوط[3]. أما بالنسبة إلى الدلتا فالواقع أننا لو نظرنا إلى الظروف أو المراحل التى تمر بها دالات الأنهار فى أثناء تكونها لوجدنا أن اختفاء بعض الفروع وظهور فروع جديدة أو حتى ضمور بعض منها ونشاط بعضها الآخر إنما يعتبر من الأمور الطبيعية فى تطور أية دلتا[4]، وهذه التغيرات تتحكم فيها عدة عوامل متشابكة وليس عاملاً محددًا، فمنها ما يتصل بمقدار المياه فى النهر، وبكمية الرواسب التى تحملها، وأيضًا منها ما يتصل بعمق البحر واتجاه التيارات الساحلية، وكذلك حركة الأمواج وأثر الرياح السائدة عليها[5] وبالنسبة

(١) المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق، ص٥٠ .

(٣) المرجع السابق، ٥١ .

(٤) عيسى على إبراهيم - جغرافية مصر - دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦، ص٦٦ .

(٥) المراجع السابق، ص٦٧ .

إلى دلتا النيل فى مصر فإن طمى النيل الذى يغطى أرض الوادى والدلتا فقد أرسبت فى أثناء عصر الهولوسين، وقد أرسبت مستوياته العليا خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة[1]، وتبدو الدلتا كمثلث متساوى الساقين، طول قاعدته المشرفة على البحر المتوسط نحو ٢٢٠ كم، بينما طوله من القاهرة حتى البحر ١٧٠ كم، وقد كانت الدلتا منذ بدء نشأتها حتى تمام تكوينها فى تطور وتغير بطىء ولكنه متواصل ومستمر[2]. يبدو أن الأساس القاعدى الصخرى للدلتا يتألف من تكوينات بلايوسينية من الزلط والحصى والرمال التى جلبتها روافد النيل من الهضبة الشرقية، والتى تظهر حاليًا عند هوامشها الخارجية لكنها تختفى أسفل سمك عظيم من الرواسب الأحدث[3]، ذلك أن أعمال الحفر فى الدلتا لم تصل إلى تلك التكوينات رغم بلوغها عمق ١١٥ مترًا قرب الزقازيق، وعمق ١٦٣ مترًا قرب أبى قير.

ويرجح أن التكوينات البلايوسينية ترتكز على صخور جيرية ميوسينية كما هى الحال فى الوادى، تلك الصخور التى تظهر على جانبى الدلتا فى شرقها وفى غربها[4]. هذا وتغطى تكوينات البلايوسين (رواسب الدلتا السفلية) التى جلبها النيل المصرى عن طريق روافده النابعة من جبال البحر الأحمر فى أثناء عصر البلايستوسين بفتراته المطيرة. فلم يكن النهر قد اتصل بعد بروافده السودانية والحبشية. وقد استمر إرسابها حتى العصر الحجرى القديم الأوسط، وهى التى تتألف من زلط وحصى ورمال خشنة.

---

(١) جودة حسنين جودة، سبق ذكره، ص٥١ .

(٢) المرجع السابق، ص٦٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٤ .

(٤) المرجع السابق، ص ٦٤ .

وفى عصرى البلايوستوسين الأعلى والهولوسين بدأ غرين النيل يرد إلى الوادى والدلتا بعدما اتصل النيل المصرى أو الواصل إلى مصر بمنابعه العليا والحبشية[1]. وقد بلغ سمك هذا الغرين النيلى نحو ٣٥ مترًا تم إرساب معظمه (نحو ٢٥ مترًا) فى عصر البلايستوسين الأعلى، وفى عصر الهولوسين غطى الغرين سطح الوادى والدلتا بسمك متفاوت يزداد باطّراد من الجنوب إلى الشمال، ومتوسط سمكه فى الوادى ٨,٣ متر، أما فى الدلتا فمتوسط سمكه ٩ أمتار، وهذا الغطاء يمثل التربة النيلية الخصبة التى هى مهد الزراعة المصرية الناجحة [2]. ساعدت كثرة الرواسب التى كان يجلبها النيل مع ضعف التيار المائى البحرى الغربى، وقلة المد والجزر فى البحر المتوسط وضحالة المياه بجوار الساحل (فى خليج الدلتا) على سرعة تكوين الدلتا واطّراد نموها وتقدمها على حساب البحر، وقد اتخذت أبعادها الحالية تقريبًا منذ فترة أيم الدفيئة (وهى الفترة فيما بين جليدى ريسى وفورم)[3]. هذا وقد بلغ نمو الدلتا نحو نصف امتدادها الحالى فى العصر الحجرى القديم الأوسط، وهو عصر ظهور الإنسان، ثم واصلت تقدمها فى العصر الحجرى القديم الأعلى حتى تجاوزت رقعتها الحالية بنحو ١١ كم حين تدنى منسوب البحر إلى ٤٣م تحت مستواه الحالى. ثم بدأت فى التراجع حين عاود البحر رفع منسوب مياهه حتى صارت بحدودها الشمالية الحالية[4]. ويختلف سمك طمى النيل فى الدلتا من مكان إلى آخر بسبب عدم انتظام سطح التكوينات التى قد رسب فوقها. ولأن النهر وفروعه كانت تغير مجاريها من وقت إلى آخر، ونتيجة لذلك فقد زاد الطمى الذى كانت

---

(١) المرجع السابق، ص٦٤

(٢) المرجع السابق، ص٦٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٤ .

(٤) محمد محمود الصياد: تطور ساحل الدلتا الشمالى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الخامس عشر ١٩٥٣، ص ١١٥ - ١٣٨ .

ترسبه على جوانبها عند فيضانها فى وقت ما وكانت تكتسحه فى وقت آخر ليحل محله فى بعض الأحيان طبقة من الرمل الناعم تكسوها بعد ذلك طبقات أخرى من الطمى وذلك تبعًا لاختلاف طبيعة الإرساب وتأثرها بسرعة جريان النهر والقرب والبعد من مجراه[١].

مما لا شك فيه أن ساحل الدلتا قد تعرض لعدة تغيرات حدثت قبل العصر التاريخى وبعده. ولعل من أهم تلك التغيرات التى نشأت فى العصر التاريخى نتيجة لحركة هبوط أصابت الأجزاء الساحلية الشمالية من مصر فتراجع خط الساحل وطغى عليه ماء البحر فزاد من مساحة البحيرات الشمالية[٢]. كذلك يذكر أن الهبوط الذى أصاب الجهات الساحلية الشمالية من مصر فى العصر الحديث كان مقصورًا على الجزء الشمالى من الدلتا، غير أن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن حركة الهبوط هذه قد تعرض لها ساحل مصر الشمالى فى معظم أجزائه، وأنها لم تكن مقصورة على شمال الدلتا، ومن هذه الأدلة تلك المستنقعات واللاجونات (البحيرات الساحلية) التى تمتد إلى مسافات كبيرة على طول الساحل غرب الإسكندرية حتى قرب السلوم، كذلك هبوط المنطقة الواقعة غرب الإسكندرية مباشرة بينها وبين قلعة سيدى العجمى البارزة فى البحر. كذلك ما لوحظ فى الإسكندرية من هبوط الأرصفة اليونانية القديمة فى الميناء، وكذلك هبوط المقابر الصخرية[٣]، والتى ترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى، فهى لا بد قد نحتت فوق مستوى المياه الجوفية.

---

(١) عيسى على إبراهيم: سبق ذكره، ص ٦٦ .

(2) Ball, John , Contributions to the geography of Egypt, Cairo , 1942 .

(٣) عيسى على إبراهيم: سبق ذكره، ص ٧٢ .

كذلك فإن ازدياد سمك طمى النيل فى الأطراف الشمالية للدلتا يرجع إلى أن فروع النيل القديمة كانت فى كثير من الأحيان تصب مياهها فى البحيرات الساحلية الهادئة الضحلة، فكانت الرواسب التى تجلبها هذه الفروع تتراكم باستمرار وبكثرة فى هذه البحيرات، ويساعد على ذلك ملوحة مياهها ونمو النباتات بها[1]. أما عن سبب هذا الهبوط الذى حدث للساحل الشمالى من مصر فهناك آراء مختلفة منها ما يقول بأن أرض مصر لا تزال ميدانا لحركات تكتونية تتمثل فى حدوث بعض الهزات الأرضية على فترات متباعدة، وحدوث حركات ارتفاع وهبوط بطيئة وتدريجية، ومنها ما يفسر هبوط الساحل المشالى بأنه حدث تحت ثقل الكميات الكبيرة من الرواسب التى أتى بها النيل عاما بعد آخر، والتى ذكرناها وذلك قبل ضبط مياهه، وقبل أن تحدد له جسور صناعية ثابتة، وكذلك الرواسب التى كان يأتى بها أيضًا التيار الساحلى من الغرب. وقد ساعد على ثقل رواسب الدلتا أيضًا الكثبان الرملية التى تراكمت فوقها بالقرب من الساحل الشمالى للدلتا[2]. أما عن الزمن الذى بدأت فيه حركة الهبوط هذه فمن الصعب تحديده لنقص الأدلة التى تشير إليه. ويذكر كثير من الباحثين أن هذه الحركة حدثت فى العصر الرومانى وربما قبله أو بعده بقليل[3]، ويحددها هيوم[4] بالقرن السادس الميلادى.

كانت الدلتا فى العصر الفرعونى تختلف فى طبيعتها عما هى عليه الآن، فقد كانت بيئة متجانسة واحدة، حيث ضمت شتات عدد من البيئات، فالمنطقة شمال الدلتا وهى عبارة عن مساحات مائية كبيرة من بقايا المستنقعات التى كانت

---

(١) المرجع السابق، ص٧١ .

(٢) المرجع السابق، ص٧٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ٧٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ٧٣ .

تغطى شمال الدلتا فى فجر التاريخ، أما فى شرق الدلتا وغربها فتتدرج البيئة الزراعية إلى بيئة رعوية أوشبه صحراوية، ولكن بسبب انخفاض أراضى شرق الدلتا عن أراضى غربها كان عدد فروع النيل التى تصب فى القسم الشرقى أكثر من عددها فى القسم الغربى(١).

نجد حاليًا أن دلتا النيل ثنائية الفروع؛ لكنها لم تكن كذلك فيما مضى، فقد كانت تشغلها شبكة من الفروع، تطورت عبر سلسلة من الاختزالات من تسعة فروع إلى سبعة فروع، ثم إلى خمسة فروع فثلاثة ثم إلى الفرعين الحاليين، ذلك أن الوثائق التى تركها المؤرخون والجغرافيون القدماء أمثال هيرودوت(٢) (القرن ٥ ق. م) وأرسطو طاليس(٣) (القرن ٤ ق.م) وبطليموس(٤) (القرن٢ ق.م) واسترابو(٥) (القرن١ ق.م) وجورج القبرصى (بداية القرن ٧ ميلاديًا)، وكذلك الروايات العربية التى لدينا، تدل على أن فروع الدلتا كانت فى تطور وتغير مستمرين(٦).

---

(١) يسرى عبد الرازق: مصر فى رحلة الزمن من الماضى إلى الحاضر - جغرافية مصر، سلسلة المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٤، ص٢٥ .

(2) Herodotus, 11 .

(3) Aristotle, Meteorologica, TV. XIV.

(4) Ptolemy, Geography, IV, V.

(5) Strabo, XVII .

(6) Ball. John , Egypt in the classical geographers, Govt. Press, Cairo, 1942 P.17-76: Tossoun. O, Memoire sur les anciennes branches du Nil memoires presentes a I'anstitut d'Egypt, 1922, T.4,P 1 - 60

والفروع كما ذكرها هيرودوت من الشرق إلى الغرب[1].

١- الفرع البيلوزى Pelusiac: نسبة إلى بلدة بيلوز (الفرما) التى كان يصب عندها فى البحر، وهو فرع رئيسى.

٢- الفرع السايسى Saitic: نسبة إلى سايس (صا الحجر) وهو فرع ثانوى كان يأخذ من السبنيتى Sebennytic.

٣- الفرع المنديزى Mendesian، وهو فرع ثانوى كان يأخذ من السبنيتى أيضًا، ومجراه مطابق للجزء الأدنى من البحر الصغير.

٤- الفرع البوكولى Bocolic، وهو أيضًا ثانوى كان يأخذ من السبنيتى، ويقول عنه هيردوت إنه اصطناعى حفره المصريون.

٥- الفرع السبنيتى Sebennetic: نسبة إلى سبنيتوس Sebennetoc، وهى تدعى اليوم سمنود، وهو الفرع الرئيسى فى وسط المثلث الدلتاوى، يبدأ عند رأسه، ومصبه عند برج البرلس.

٦- البلبيتى Bolbitic: فرع ثانوى، بل هو صناعى فى رواية هيرودوت[2]، وكان يتفرع من الكانوبى غرب دمنهور، ويجرى فى الجزء الأدنى من فرع رشيد لحالى.

٧- الكانوبى Canopic، وهو الفرع الغربى والرئيسى الثالث، و كان يصب عند كانوب. تلك هى الفروع والمصبات القديمة كما ذكرها هيرودوت واسترابو[3]، وزاد

---

(١) جودة حسنين جودة: سبق ذكره، ص ٦٤ - ٦٥

(٢) جمال حمدان: شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٨٨، عبد الفتاح وهيبه - دراسات فى جغرافية مصر التاريخية، الإسكندرية ١٩٦٢، ص ٤٣ - ٤٧ .

(٣) المرجع السابق.

عليها بطليموس[1] فرعًا عرضيًا هو البوتى Botic، وهو قناة أو ترعة صناعية على الأرجح، كانت تجرى بعرض الدلتا، وتصل الفرعين الرئيسيين الكانوبى فى أقصى الغرب والبيلوزى فى أقصى الشرق، ويبدو أن الحال لم تتغير كثيرًا حتى بداية القرن السابع الميلادى، وتتفق الروايات العربية فى أن عدد الفروع لم يزد على ثلاثة، وأن فرعى دمياط ورشيد كانا الأهم، ويبدو أنهما قد اتخذا مساريهما الحاليين تقريبًا ابتداء من القرن العاشر الميلادى.

يختلف الباحثون إذن فى تفسير اختفاء بعض فروع النيل القديمة، فمنهم من يفسر هذه الظاهرة بحدوث حركة رفع فى شرق الدلتا أدت إلى بطء جريان المياه فى فروع النيل فى هذا الجزء [٢]. وعندئذ يزاد تراكم الرواسب فوق قاعدتها وعند مخارجها فأخذت فى الضمور بالتدرج، ولكن هذا الرأى لا يفسر اختفاء الفرع الكانوبى فى غرب الدلتا، أو السبنيتى فى وسطها، أو لو صح حدوث تلك الحركة لحدث العكس بالنسبة إلى هذين الفرعين أى لزادت مياهما واتسع مجراهما[٣]. هذا إلا أنه من الملاحظ أن أرض الدلتا تنحدر فى الجزء الشرقى منها نحو الشمال الغربى[٤]. كذلك هناك من الباحثين من يفسر أيضًا هذه الظاهرة بأثر الرياح الشمالية، والشمالية الغربية التى يسود هبوبها على الدلتا معظم السنة فى تقليل سرعة جريان المياه فى بعض الفروع أو عند مخارجها لا سيما الفروع التى تتجه نحو الشمال أو الشمال الغربى، ولكن لو صح هذا الرأى أيضًا لكان فرع رشيد (أو الفرع البابتينى القديم) أول فروع النيل

---

(1) Ptolemy, op. cit.

(٢) عيسى على إبراهيم، سبق ذكره، ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦

(٤) المرجع السابق، ص ٦٦ .

تأثرًا بهذه الرياح، إذ إنه يتجه فى جزأيه الأعلى والأدنى نحو الشمال الغربى، وفى جزئه الأوسط نحو الشمال[1]. فنجد مثلاً أن (ليونز)[2] يرجع زوال فروع الدلتا إلى حركة رفع طفيفة أصابت شرق مصر بما فيها شرق الدلتا، وأن أدلة الرفع هذه نجدها ظاهرة جليا فى منطقة خليج السويس يشير إليها تكوين الملاحات، ويرى أن الرفع الطفيف لا يزال مستمرًا[3]. أما عن الفرع السبنيتى فقد كان كثير التفرعات والمصبات فى شمال الدلتا، وهذا أمر طبيعى فى نطاق دلتاوى شمالى لم ينضج بعد وتكثر به المناقع والبحيرات والعوالى والهوابط، مما يتيح الفرصة لانصراف مياه فرع أو مخرج إلى آخر، وبالتالى يضمر الأول ويسود الثانى، ولا شك أن الفرع السبنيتى قد واصل جريانه فى الفاتنيتى إلى البحر مشكلاً فيما بعد ما نسميه الآن فرع دمياط[4]، فى حين تعثرت الفروع الأخرى وأصابها الردم والإطماء فى البحيرات التى كانت تنتهى إليها (البرلس والمنزلة)، وكذلك حال الكانوبى الذى تواصل فى البولبيتى إلى البحر، مكونًا لفرع رشيد الحالى، فى حين انتهى المصب الكانوبى واندثر فى بحيرة إدكو[5]. إذن فقد تلاشت أجزاء من هذه الفروع أو أن أجزاء منها اضمحلت حتى أصبحت الآن تتمثل فى بعض الترع والمصارف، مثل بحر موسى والبوهية والبحر الصغير ومصارف بحر البقر وصفط وحادوس فى شرق الدلتا، وترعة بحر تيرة وبحر نشرت فى وسطها، والجزء الأعلى من ترعة أبو دياب والترعة الكانوبية فى غربها[6].

(١) المرجع السابق، ص ٦٦ .

(2) Lyons, H - G, the physiography of Nile and its basin - Cairo, 1906

(٣) عيسى على إبراهيم، سبق ذكره، ص ٦٥ .

(٤) المرجع السابق، ص٦٥ .

(٥) المرجع السابق، ص٦٥ .

(٦) المرجع السابق، ص٦٧ .

بالنسبة إلى المدن التى تقع على مصبات الأنهار على حافة البحار، مثل شمال الدلتا فى منطقة كانوب ومحيطها، ومدينة الإسكندرية، فإنه ينطبق عليها نظرية توازن القشرة الأرضية، والتى تفترض أن القارات تتكون من مادة أخف من الطبقة التى تقع تحتها، فهى تطفو عليها فالقارات والجبال فى توازن دقيق، وأى خلل فيها يؤدى إلى حركة أرضية. وأغلب الجيولوجيين يعتقدون أن هذه النظرية تستطيع أن تعطينا تفسيرًا لكثير من ظواهر هبوط السواحل وارتفاعها[١]. الوجه الآخر لهذه الظاهرة ذو أهمية كبيرة فى دراسة الموانىء القديمة التى نشأت عند مصبات الأنهار والتى احتضنت فى وديانها الحضارات القديمة. فعند التقاء النهر بالبحر تتكون الدلتا نتيجة لتراكم كميات ضخمة من الطمى والمواد العالقة فى مياه النهر على مدى السنين الطويلة. وتحتوى دلتا الأنهار الكبيرة كنهر النيل والمسيسبى على كميات ضخمة من الرسوبيات قد تبلغ بلايين الأطنان[٢]، وهى موزعة على طبقات يبلغ عمقها مئات الأمتار، وتصل إلى ٧٠م كما فى دلتا المسيسبى مثلاً، ومن غير المعقول أن هذه الأنهار كانت تنتهى بأخاديد عميقة تتراكم فيها هذه الرسوبيات حتى تصل إلى مستواها الحالى. لكن الأرجح هو التفسير الذى تقدمه نظرية توازن القشرة الأرضية من أن سطح الأرض قد هبط فى هذه الأماكن نتيجة لازدياد وزن هذه الرسوبيات وهى تتيح بذلك الطريق إلى مزيد من تراكم هذه المواد، ومزيد من الهبوط، وهذا بالطبع يعطى تفسيرً كافيًا لاختفاء الموانىء القديمة التى نشأت على سواحل الدلتا المصرية وغيرها[٣]. ولكن ليس أيضًا من الضرورى أن يكون اختفاء أجزاء من الساحل نتيجة لهبوط فى الساحل أو ارتفاع فى سطح البحر، فعمليات النحر أو تآكل الشاطىء التى

---

(١) سليم أنطون مرقس، سبق ذكره، ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٤٤ .

يجور فيها البحر بالتدريج على الساحل لينقل أجزاء منها إلى قاع البحر أو إلى مكان آخر من الساحل ذات خطر كبير ، وقد تؤدى إلى زوال مدن بكاملها[1]. كذلك فإن مواقع عديدة من شواطئنا، وخاصة ساحل الدلتا، تتعرض للبخر بدرجة تجعل خط الشاطىء يتراجع بمعدل يصل فى بعض الأماكن إلى حوالى ٢كم فى نصف القرن الأخير[2]. قد يحدث طغيان من البحر على الأرض، لكن هذا الطغيان قد يحدث تدريجيًا وببطء غير ملحوظ، وفى معظم الأحوال التى تغرق فيها سواحل القارات يكون السبب الرئيسى لذلك هو التغير البطىء فى مستوى سطح الأرض بالنسبة إلى سطح البحر. وترجع ظاهرة إغراق السواحل إلى أحد عاملين أو كليهما، الأول هو ارتفاع مستوى سطح البحر بالنسبة إلى الأرض، والثانى هو الانخفاض الذى يصيب الساحل نفسه[3] نتيجة لعوامل جيولوجية مختلفة. ودراسة المدن الغارقة تحت سطح البحر تقتضى فهمًا لظاهرة إغراق البحر للساحل.

أيضًا نجد أنه معروف أن لكل ميناء متوسطات شهرية معروفة لسطح البحر، وأنها لا تتغير سوى تغير طفيف من عام إلى آخر، لكن يحدث أحيانا أن يرتفع سطح البحر فجأة فى مكان ما بطريقة مدمرة خطرة يكون عادة مصحوبًا بأعاصير شديدة أو زلازل قوية أو كليهما معًا. وفى هذه الحالة يطغى البحر على الأرض حاملاً إليها الهلاك والدمار خلال ساعات وأيام يعود بعدها سطح البحر إلى مستواه الطبيعى المعروف. ويفرق علماء البحار عادة بين نوعين من هذه الكوارث حسب السبب الرئيسى فى إحداثها، وهما الطوفان البحرى والموجات الزلزالية(تسونامى)[4]. فالطوفان البحرى عبارة عن ارتفاع مفاجىء فى سطح

(١) المرجع السابق، ص٤٤ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٣٢ .

(٤) المرجع السابق، ص٣٥ .

البحر خروجًا شاذًا عن التردد المعتاد فى سطح البحر نتيجة المد والجزر. والعوامل الأساسية للارتفاع هنا هى الرياح والأعاصير. ويقابل عالم البحار ظاهرة تراكم المياه فى كثير من بحار العالم بصرف النظر عن قوة المد والجزر فى المنطقة، وهذه موجودة أمام ساحل مصر على البحر المتوسط، حيث يرتفع متوسط سطح البحر فى الصيف عنه فى الشتاء نتيجة الرياح الشمالية، وتبلغ هذه درجة الخطورة فى البحار الشمالية[1] فى أثناء الشتاء، فتشتد العواصف وتتراكم المياه أمام السواحل، ويصاحبها تغير فى الضغط الجوى يساعد على ارتفاع سطح البحر، ويتفق وقت حدوثها مع وقت يرتفع فيه سطح البحر بسبب المد، وعندما تتجمع هذه العوامل التى تسبب الارتفاع المفاجىء فى سطح البحر يصبح البحر وحشا خطيرًا لا يقف فى طريقه شىء[2].

وعلى عكس التغيرات المفاجئة فى سطح البحر، والتى تحدث فى أماكن محدودة من الساحل، وتكون عادة مؤقتة تزول بزوال أسبابها، هناك ما يعرف بالتغير الطويل المدى أو التغير المطلق فى سطح البحر، وهو تغير بطىء يحدث فى أزمنة جيولوجية طويلة ويؤثر فى سطح البحر على نطاق الكرة الأرضية كلها. ولا ريب أن ملاحظة التغير الطويل المدى فى متوسط سطح البحر شىء عسير، فأقدم ما نملكه فى تسجيلات متصلة لارتفاع سطح البحر يرجع إلى منتصف القرن الماضى[3]. لهذا يتجه الباحثون إلى الدراسات الجيولوجية التى تفحص خطوط الشواطىء القديمة، والتى تدل على أن هذه الشواطىء القديمة كانت ترتفع بضعة أمتار وأحيانًا عشرات الأمتار عن السطح الحالى للبحر، وهناك

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠ .

الكثير من الدلائل على وجود شواطىء قديمة غارقة تحت سطح البحر[1] أثبتتها الكشوفات الحديثة.

إذن فالسواحل تغرق تحت مياه البحر نتيجة لارتفاع سطح البحر فجأة أو تدريجيًا، أو يكون غرقها كأثر مباشر لهبوط السواحل نفسها تحت مستوى سطح البحر. وهكذا تتعرض المدن التى تقع على دلتا أحد الأنهار أو حافتها لطغيان البحر عليها، وهو تعليل لما أصاب ميناء فاروس القديم الغارق فى الإسكندرية، وظاهرة هبوط الساحل ظاهرة واضحة المعالم يمكن تتبعها فى أكثر من مكان من سواحل البحر المتوسط، وعلى الأخص الساحل الإفريقى، حيث يجد كثير من الموانىء القديمة الغارقة، ويميل كثير من العلماء إلى الاعتقاد أن معظم الموانىء القديمة فى البحر المتوسط قد غرقت نتيجة للزلازل وللتغيرات المحلية فى مستوى القشرة الأرضية[٢]، مع العلم أن كثيرًا من العلماء[٣] والدارسين قد يتحرجون من إعطاء تفسير قاطع بالنسبة إلى هذه الظاهرة نتيجة القصور فى المعلومات عن التغير فى مستوى سطح البحر والقشرة الأرضية وأثر كل منهما فى طغيان البحر على الساحل منذ أن نشأت الحضارات القديمة حتى الآن[٤].
ويرى بعض الباحثين أن حركة الهبوط فى الساحل المصرى بدأت فى القرن السادس الميلادى نظرًا لأن كثير من المنشآت القديمة كانت لا تزال موجودة حتى

(١) المرجع السابق، ص٤٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥١ .

(3) Gesrkan, Armin v. meershöhen and hafen anlagen in Aitertum, aus N. Dropfeld Festschrift Zum 80. Geburstag, Koldewky- Gesellschaft 1933, S. 139 - 140 .

(٤) سليم أنطون مرقس، سبق ذكره، ص ٥١ .

ذلك الوقت وإن كان هذا لا يعنى أن حركة الهبوط بفعل العوامل الجيولوجية حديثة العهد إلى هذا الحد، وأنها بدأت فى هذا الوقت فقط، فعند فجر التاريخ كانت الدلتا قد وصلت إلى مداها الحالى تقريبًا، وكانت مصبات النيل تصل إلى البحر مباشرة دون أن يعترضها بحيرة، وقد تبع عمليات الترسيب هذه هبوط فى القشرة الأرضية قبل القرن السادس، ولعله بدأ ببطء من أول العصر التاريخى على الأقل فى بعض الجهات، مثل شرق الدلتا ويدل على ذلك عدم وجود أى أثر للعمران إلى شمال خط يمر بآثار مدينة تانيس، فيظهر أن هذا الجزء كله قد طغى عليه البحر[1]. ولعل الهبوط بدأ ببطء شديد، واستمر كذلك حتى وصل أقصاه فى القرون الوسطى، وشمل حينئذ الساحل كله تقريبًا، ومعروف أن ظاهرة الهبوط تسير جنبًا إلى جنب مع عمليات الترسيب، لذلك يجب ألا نتخيل أن الساحل المصرى تراجع كله إلى الوراء تحت تأثير الهبوط فى القشرة الأرضية، فمعدل الهبوط كان بسيطًا، مما أدى إلى طغيان البحر على بعض الأراضي المنخفضة فى حين أن معدل الترسيب كان كافيًا لملء بعض المنخفضات التى طغى عليها البحر، بل أن يتقدم الساحل ويبرز فى البحر فى بعض المناطق كتلك التى تحيط بمصبى فرعى دمياط ورشيد[2].

إذن هناك عدة ظواهر أو أسباب لغرق المدن الساحلية فى قاع البحر، خاصة ما كان منها على مصاب أو نهايات الأنهار، وهناك من الأساطير القديمة[3] والآداب الشعبية، بل أيضًا من الحقائق التى كان البحر يشغل الجانب المهم فيها بقصص عن المدن والقارات الغارقة عبر التاريخ، فمنها ما نجده فى قصة غرق

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣١ .

مدينة هليكا الإغريقية وامتزاجها بالتعليل بحدوث هذه الكارثة لغضب الإله بوسيدون، وهى تُعد أول تسجيل تاريخى لهذه الظاهرة، وهى المدينة التى تقع على شاطىء خليج كورنثيا، حيث يوجد معبد كبير للإله بوسيدون إله البحر الذى عرفه الرومان باسم الإله نبتون، وأنه ذات يوم منذ ٢٣٠٠ عام هاجمت عصابة من العصاة المعبد وذبحت المتعبدين فيه فغضب إله البحر وثار وهدد بالانتقام، فاهتزت المدينة وتداعت مبانيها إثر زلزال شديد. وعند الغروب انحسر البحر قليلاً وتراجع إلى الوراء ثم عاد فى الليل يتقدم بسرعة ويحطم كل ما يقابله فى طريقه حتى وصل مدينة هليكا التى تقع على بعد ميل ونصف من الشاطىء فغطى مبانيها وأغرقها جميعا، وعندما طلع الفجر كانت هليكا ترقد فى صمت رهيب عند قاع البحر. هذه قصة طغيان البحر على مدينة هليكا كما يرويها مؤرخو اليونان القديمة، ويحدد تاريخها بللينوس المؤرخ الرومانى بعام ٣٧٣ م. ق.

كذلك غرق مدينة ايس (YS) فى مقاطعة بريتانى بفرنسا، والتى تقع على ساحل خليج دوار نينيز Douarnenez المواجهة للمحيط الأطلنطى، وقد ابتلعها البحر فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى، ويقال فى الأسطورة إن هذه المدينة كان يحميها عن البحر جدار بحرى له باب سرى له مفتاح واق وهو فى حوزة ملك المدينة، وذات ليلة بينما كان الملك نائما سرقت الأميرة ابنته المفتاح وهى منتشية عقب حفل أقامته لحبيبها وفتحت الباب فاندفعت مياه المحيط لتغرق المدينة ولا يزال حتى الآن أمام سواحل مقاطعة بريتانى عدد من القلاع التى تغمرها مياه المحيط[١].

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦ .

أيضًا هناك أسطورة أتلانتس، وأول ذكر لهذه الأسطورة ظهر فى كتابات أفلاطون، الفيلسوف الإغريقى (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)، والتى ورد فيها أن الكهنة المصريين تحدثوا إلى (سولون الشاعر) الذى عاش قبله بنحو ٢٠٠ عام عن جزر ضخمة كانت توجد فيما وراء أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، وتتحدث الأسطورة عن مملكة أتلانتيس القوية التى تسبق ميلاد سولون بـ ٩ آلاف سنة، وكيف أن جيشها أخضع كل ممالك البحر المتوسط عدا أثينا التى قاومت هذا الغزو، لكن الطبيعة غضبت عليها يوما فطغى البحر على أتلانتيس وأغرقها، ولم يترك منها سوى جزر صغيرة متناثرة[1]. كان هذا ما يسمى بظاهرة طغيان البحر على اليابس، أو ما يعرف بالموجات الزلزالية أو الـــ (تسونامى Tsunami) والذى أصاب مدينة هليكا الإغريقية، والتى دمرها الزلزال وأغرقها تحت سطح البحر، والتى هى أول تسجيل تاريخى لهذه الظاهرة. وبرغم الهدوء النسبى لحوض البحر المتوسط فإن الحوضين المتوسط والشرقى منه يشتهران منذ القدم بهذه الكوارث التى تصاحب الزلازل والبراكين، وعلى الأخص حول الجزر اليونانية فى بحر إيجه. ومن أشهر هذه الكوارث التى حدثت فى القرن الماضى زلزال مسينا فى ٢٨ ديسمبر ١٩٠٨ الذى أصاب عدة مدة وأغرقها بموجات مدية عنيفة تراوح ارتفاعها من ثلاثة إلى تسعة أمتار. كذلك ما حدث لمدنية أغادير ليلة ٢٩ فبراير ١٩٦٠ على ساحل المحيط الأطلنطى، حيث فاجأها زلزال مدمر، ثم هاجمتها موجات عارمة قادمة من المحيط، فأغرقت جانبا من المدينة، وهذه المناطق من البحر المتوسط هى نفسها المجال الذى تحركت فيه الحضارات القديمة[2]، فلا غرابة إذا قامت الأبحاث عن الآثار الغارقة تحت البحار فيها على وجه الخصوص.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩ .

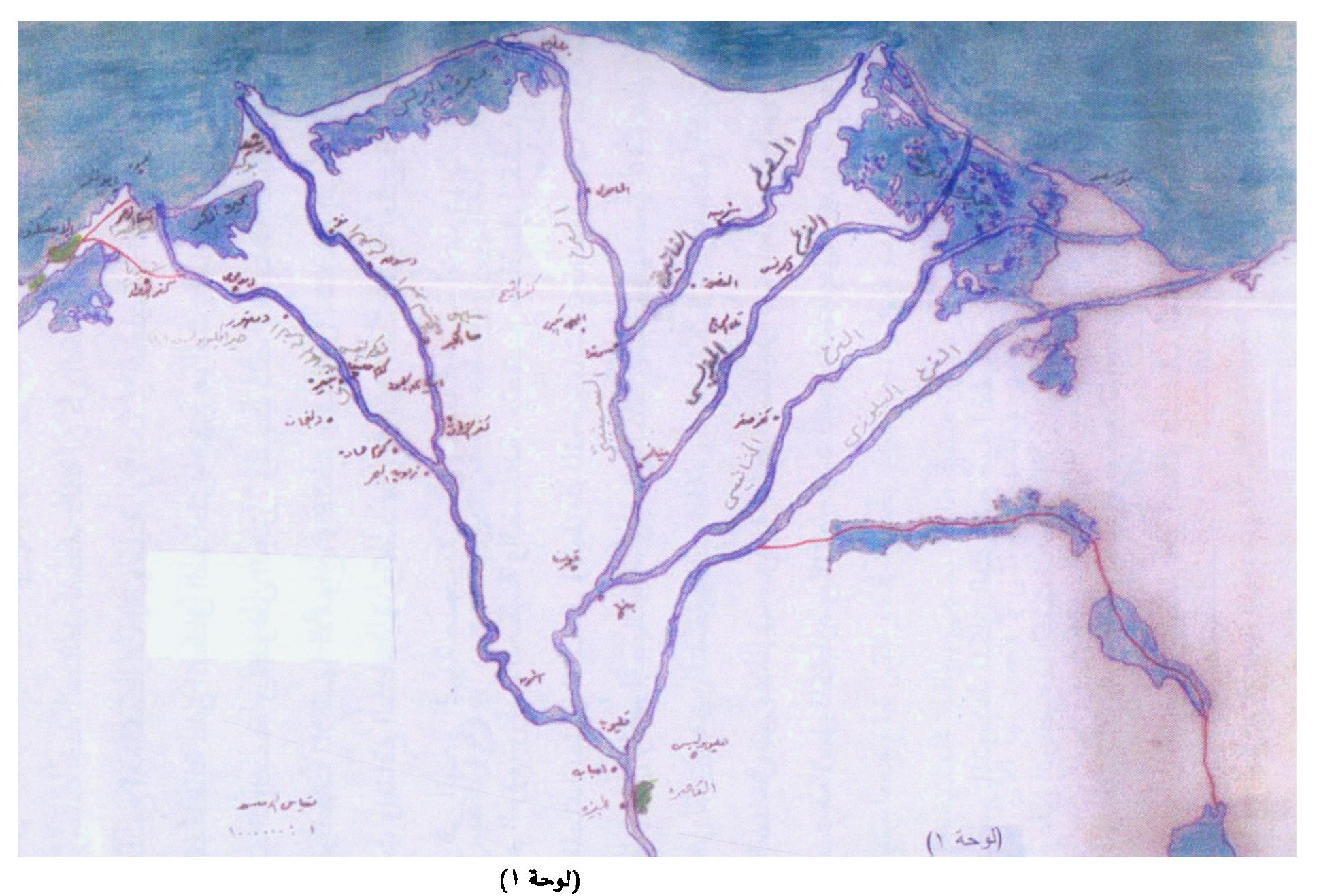
ذكرنا أن فرعى النيل الحاليين دمياط ورشيد هما البقية الباقية من فروع النيل القديمة، والتى كانت تحمل مياهه إلى البحر، ثم تراكمت فى بعضها الرواسب فارتفع قاعها أو سدت مخارجها، وعندئذ قلت كمية المياه المنصرفة إليها من النهر فاضمحلت تدريجيًا أو تلاشت بعض أجزائها[١] **(لوحة ١)** ويميز شمال الدلتا وجود تلك البحيرات، سواء منها المتصلة بالبحر أو غير المتصلة، وتتميز هذه البحيرات بصفة عامة بأنها ضحلة قليلة العمق، إذ يقدر متوسط عمقها بنحو متر واحد، غير أن هذا العمق يزيد فى المواقع التى كانت تمتد فيها فروع النيل القديمة[٢]. كان تنوع الدلتا منذ فجر التاريخ فيما بين عدة بيئات مختلفة من مساحات مائية كبيرة تسمح ببيئات زراعية ورعوية وكذلك شبه صحراوية، هذا التنوع البيئى الاقتصادى كان دعامة لأن يجعل أيضًا من الدلتا إقليمًا غنيًا بوجه عام لذا فقد وفد إليها من الشمال شعوب البحر المختلفة، مثل الإغريق، وكذلك شعوب آسيوية نصف بدوية من الشرق، علاوة على قبائل التحنوأ أو التمحو التى جاءت إليها من الغرب، ونظرًا لكثرة فروع النيل فى الدلتا قديمًا، وبسبب تغير مجاريها وكثرة المستنقعات فى الشمال، فقد جعل هذا حدود الإقليم الطبوغرافية غير ثابتة، وكثيرة التحول والتغير[٣]. تمتد المنطقة موضع البحث فى النطاق من شرق أبى قير عبر الإسكندرية وبحيرة مريوط، ويمتد محيطها إلى الغرب حتي يصل إلى الحدود مع ليبيا، وقد جرى العرف على تسميته بساحل مريوط.

---

(١) عيسى على إبراهيم: سبق ذكره، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥ .

(٣) يسرى عبد الرازق: سبق ذكره، ص ٢٥ .



(لوحة ١)
فروع النيل السبعة بحسب سترابون

وينحصر النطاق بين ساحل البحر المتوسط وحافة هضبة مارما ريكا، ونرى التفاوت فى اتساعة تبعا لتقدم الهضبة نحو الساحل وتراجعها عنه. ولعل هذا يفسر تعرجات خط الساحل نفسه، ذلك أن كل الخرائط الجيولوجية تخلو من وجود صدوع أو انكسارات إقليمية، ولا حتى محلية تكتنف هوامش هضبة مارماريكا المطلة على النطاق الساحلى، فهى هوامش تعرية. ويتميز الساحل بتعرجاته الواسعة، ويخلو من الجزر، وسبب ذلك انبساط الساحل وتدرجه، وغياب مرتفعات تلاطمها الأمواج، وتقتطع منها أجزاء تتحول إلى جزر[١]، وتكثر اللاجونات والمناقع الساحلية، وتمتد من غربى الإسكندرية حتى قرب السلوم، كما تبرز فى البحر ألسنة صخرية تمثل رءوسًا أرضية أشهرها رأس أم الرخم، ورأس علم الروم، ورأس الحكمة والضبعة. وتعتبر سلاسل الكثبان الرملية الجيرية الممتدة بطول الساحل وخطوط المنخفضات المحصورة بينها أبرز معالم السهل الساحلى وأهم خصائصه، وتشكل الكثبان مساحيًا نحو ٥٥٪ من معالم سطحه، فى حين يخص المنخفضات ٤٥٪، وتمتد الكثبان فى معظم الأجزاء على امتداد الساحل فى صفوف موازية لخط الساحل متتابعة منه إلى الداخل، ويتباين عدد سلاسل الكثبان، وبالتالى عدد المنخفضات، فيما بينها من مكان إلى آخر[٢].

يُعد البحر المتوسط المكان الذى تتم فيه أغلب الكشوف الأثرية تحت البحر وأهمها، وعلى الرغم مما اكتُشِفَ حتى الآن فى البحر المتوسط، فلا يزال قاع البحر يزخر بكنوز أثرية ضخمة تخبىء صفحات مطوية من التاريخ القديم، مما يجعلنا نعتقد أن البحر المتوسط هو أعظم متاحف العالم، ففى خلال أكثر من

(١) جودة حسنين جودة: سبق ذكره، ص ٧٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٧٨ .

الخمسين سنة الماضية ظلت سواحل البحر المتوسط مسرحًا لكثير من الاكتشافات المهمة والمثيرة، مثل اكتشاف ميناء فاروس القديم بالإسكندرية عام ١٩١٠، وميناء صدر بلبنان عام ١٩٣١، وشرشل فى الجزائر عام ١٩٣٢، وميناء بولونيا فى سوسة فى ليبيا ١٩٥٨، وكذلك آثار الميناء الشرقى فى الإسكندرية، وحطام السفن الإغريقية التى تحمل حمولة ثمينة من التماثيل والأعمدة الرخامية فى الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩٥٤ أمام المهدية على الساحل التونسى، وميناثى مينوتس وهيراكليوم فى منطقة أبى قير، وهنا لا بد أن نقدر أن السواحل العربية تحتل مركزًا مهمًا فى هذا الميدان الجديد(١).

ثانيًا: الفرع الكانوبى ووصف الجغرافيين لحوض الفرع والتغيرات التى طرأت عليه:

لم يستقر إذن ساحل الدلتا فى العصور التاريخية، بل طالما طغى البحر على شمال الدلتا، حيث أثبتت الأبحاث أن مصب الفرع الكانوبى - كمثال على ذلك - يمتد تحت ماء خليج أبى قير إلى مسافة عدد من الكيلو مترات داخل البحر. كذلك نجد أن البحيرات الممتدة على طول السواحل المصرية بحذاء البحر المتوسط، ومنها غرب فرع رشيد، نجد بحيرة إدكو التى تبلغ مساحتها ٣٥ ألف فدان، وتتصل بالبحر عن طريق منفذ ضيق يسمى بوغاز المعدية، وإلى الغرب منها كانت توجد بحيرة أبى قير أو المعدية، والتى لا وجود لها الآن(٢). ويعرف أن البحيرات خاصة فى دالات الأنهار ترجع إلى عدم تكامل الإرساب النهرى، فبحيرة إدكو مثلاً هى وليدة الفرع الكانوبى وما كان يحمله من الرواسب، ويقول

---

(١) سليم أنطوان مرقس: سبق ذكره، ص ٩ .

(٢) عبد المنصف محمود باشا: على ضفاف بحيرة إدكو - سلسلة بحيرات مصر، ص ٨٦ .

بعض المؤرخين إنها كانت تتصل اتصالاً تامًا بخليج أبى قير، أى إنها كانت بمثابة خليج فى داخل ذلك الخليج، ويقال إن هذا الاتصال استمر إلى قرب القرن السابع عشر.

كان فرع كانوب فى العصور القديمة ذا أهمية كبيرة. فقد ذكر أرسطو طاليس[١] أن جميع فروع النيل قد حُفِرَت بواسطة أيادى البشر ما عدا الفرع الكانوبى، لكن هذه الملحوظة غير صحيحة بالنسبة إلى بقية الفروع لكنها تدل بوضوح كم كان تفوق الفرع الكانوبى وما يتمتع به من علو الاعتبارات فى القديم. لقد اعتبره سنيكا الأكبر بالنسبة إلى المصبات[٢]، و سماه بطليموس الجغرافى [٣] فى القرن الأول الميلادى، والذى عاش فى هذا البلد "النهر العظيم" كذلك "أجاثوديمون Agatho Daimon" [*] (بمعنى القوى الخيرة). انظر خرائط **(لوحة٢)**. كان هذا الفرع ينفصل عن النيل عند قمة الدلتا الحالية أمام قرية "وراق العرب"، ويتجه شمالاً فى مجرى فرع رشيد الحالى حتى بلدة زاوية البحر (مركز كوم حمادة)، ثم يغادر مجرى فرع رشيد متجها نحو الشمال الغربى فى مجرى ترعة أبو دياب الحالية إلى "كوم جعيف" التى كانت تسمى فيما مضى "نوكراتيس" أو "نقراطيس"[٤]، ثم يستمر إلى قرية "جنباواى"، وبعد ذلك يتجه إلى دمنهور مارًا ببلدة العوجا، ثم قرية دسونس أم دينار وقراقص. ومن دمنهور (هيرموبوليس. بارفا). كان يشغل مجرى قناة دمنهور القديمة التى مكانها الآن

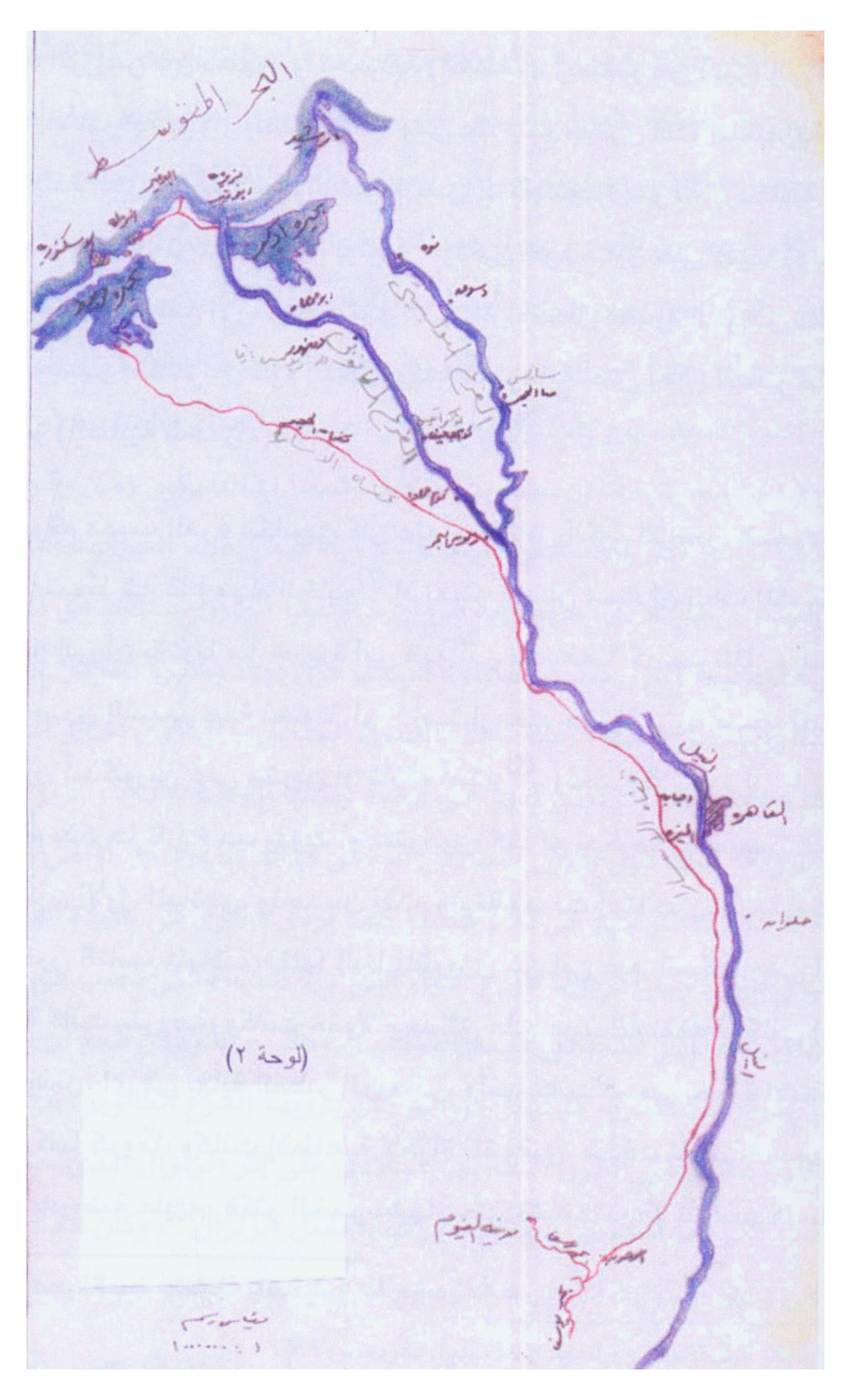
(1) Aristotle , Meteorologica, 1 XIV, 1 2.

(2) Seneca, Natural Quetrions, IV, 11, 12 . Transtated by Alexander Granville.

(3) Ptolemy, Geography, op.cit. p. 16.

(*) اجاثودايمون هو إله فى شكل ثعبان وجدت عبادته عند فتح الإسكندر الأكبر لمصر، وفى أثناء وقوفه على تل كوم الشقافة أو قرية راقوده أمر الإسكندر بتعظيم هذا الإله وبناء معبد له.

(٤) عمر طوسون: تاريخ خليج الاسكندرية القديم وترعة المحمودية، ١٩٤٢، ص ٦ .



(لوحة ٢)

الفرع الكانوبى

قناة الأسارا تصل بين بحر يوسف وبحيرة مريوط

الخط الزراعى بين دمنهور والمحمودية (العطف)، ويستمر فى سيره إلى أن يتصل بترعة الأشرفية بجوار بلدة أفلاقة، ومن هنا يتبع مجرى قناة إسكندرية القديمة حتى بلدة الكريون وشيديا (النشو البحرى)، ثم مجرى ترعة الإدكاوية القديمة (ومجراها الآن ترعة منشأة بولين)[١] وتكون كوم مازن على يمينه، وبعد ذلك يسير متتبعًا مرتفع الأرض الصغير الذى كان يفصل بحيرة إدكو عن بحيرة أبى قير، ويسير بعدئذ بين كوم الذهب وكوم الطرفاية حتى يصل البحر عند الكوم الأحمر (الطابية الحمراء).

وموقع مصب الفرع الكانوبى كان عند سطح تل الكوم الأحمر، فمجرى المصب يرى واضحًا فى قاع مياه الخليج[٢] إذ يعينه رأسان ممتدان تحت الماء من الكوم الأحمر إلى أن يقتربا من جزيرة أبى قير إلى مسافة ٦ كم من البر، وعمق المياه فى المجرى القديم يبلغ نحو ٦ أو ٧ أمتار، فى حين لا يزيد عمق المياه على الرأسين المذكورين على مترين أو ثلاثة أمتار[٣]. وتجدر الإشارة إلى أن بحيرة إدكو لم يذكرها تاريخ هيرودوت أو سترابون، كما لم يذكرها بطلميوس الجغرافى فى القرن الأول الميلادى، ونجد أن أقدم وثيقة وصلت إلينا عن بحيرة إدكو ترجع إلى القرن التاسع الميلادى نقلها إلينا المقريزى عن ابن عبد الحكم، وهى أن "هذه المنطقة كانت منزرعة، وكانت حقولا وحدائق على عهد الأسقف الملكانى (قورش) أو المقوقس، أى فى نهاية العصر الرومانى، وأنها كانت تسمى بحيرة الإسكندرية، وكانت كلها كرومًا، وكانت إقطاعية لامرأة المقوقس، فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم، فكثر الخمر عليها، حتى ضافت ذرعًا فقالت: لا حاجة لى

(١) عبد المنصف محمود باشا: سبق ذكره، ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٨٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ٨٨ .

فى الخمر، أعطونى دنانير، فقالوا: ليس عندنا، فأرسلت إليهم الماء فأغرقها فصارت بحيرة يصطاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدوا جسورها وزرعوها، ثم صارت بحيرة طولها إقلاع يوم فى عرض يوم، ويصير الماء إليها من أشتوم فى البحر الرومى، ويخرج منها إلى بحيرة أخرى دونها، فى خليج عليه مدينتان إحداهما مدينة الجدية والأخرى إدكو، وهى كثيرة المقانىء والنخل، وكلها فى الرمل، ويصب فى هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر، وطوله نصف يوم إقلاعًا، وهو كثير الطير والسمك والعشب، ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ عشرين عامًا، وتبعًا لذلك يكون زمن وقوع هذه الحادثة هو أواخر القرن السادس الميلادى[1]، وإنه ليعزز ذلك الحوادث التاريخية للقرن السادس الميلادى، حيث إنه فى أواخر هذا القرن حدثت فى المنطقة الساحلية المصرية زلازل شديدة فكانت السبب فى إيجاد بحيرة المنزلة[2] كمثال. ولما كانت رواية ابن عبد الحكم تحدد القرن السادس الميلادى لغرق المنطقة، وتكون البحيرة، فهو ما يعنى أنها هى أيضًا جاءت نتيجة حدوث الزلزال مثل بحيرة المنزلة، حيث قبل القرن السادس لم تكن هناك بحيرة، بل أراضٍ زراعية خصبة لا تكاد تضارعها فى بلاد مصر كلها أرض أخرى فى جودة الهواء ولا الخصب والغنى، حيث ترويها فروع النيل التى لا تنضب، والتى تصب فى البحر المتوسط وتعرف آثار فتحاتها باسم البواغيز، وعلى هذا يمكن فهم أن المنطقة الواقعة شرق الإسكندرية مباشرة، والتى كان يرويها الفرع الكانوبى، قد حدث فيها تطور عظيم فى القرن السادس الميلادى على إثر الزلزال الذى حدث فى أواخر هذا القرن، وانخفض مسطح كبير منها بفعل الزلزال[3]، وكان هذا السطح واقعًا فى وادى الفرع الكانوبى فى الجزء الذى يسبق المصب، وبطبيعة الحال

(١) جواد عبد المنصف محمود باشا: سبق ذكره، ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٩٢ .

ارتفعت من حوض النهر أجزاء أخرى، وترتب على هذا انسراح ماء النهر فى ذلك الجزء المنخفض فما كان يحدث هو أن تتشرب الأرض جزءًا منه والجزء الآخر يظل على هيئة مستنقع[1] على مدى السنوات، وكان أكثر ما تنسرح فيه مياه النهر زمن الفيضان صيفًا، حتى إذا ما جاء الشتاء انخفض التيار النهرى وارتفعت أمواج البحر دخلت المياه المالحة من الفتحة نفسها التى يصب منها النهر واختلطت المياه المالحة بالمياه العذبة فى البحيرة الناشئة[2]. وعلى مر السنين أخذت المياه تتركز فى تلك المنطقة المنخفضة لتتحول من مستنقع إلى بحيرة وتتسع رقعتها وتغطى الأراضى والقرى والمبانى، وظلت تختلط فيها مياه البحر بمياه النيل حتى ارتدم الفرع الكانوبى نهائيًا فى القرن الثانى عشر[3] فانقطع اتصال البحيرة بالمياه العذبة وبقيت صلتها مستمرة عن طريق الفتحة التى ذكرناها، والتى هى جزء من مجرى النيل الكانوبى[4]. إن ذلك يفسر ما ذكره برناردى بريدنباخ فى نصوصه عام ١٤٨٤ ميلاديًا، والتى يقول فيها إنه وصل إلى رشيد بطريق النيل يوم ٢٢ أكتوبر (أى بعد موسم الفيضان) واستأجر قاربًا آخر للوصول إلى البحر والتوجه إلى الإسكندرية، ويقول: نزلنا إلى البحر بواسطة ذراع آخر للنيل، وكان مسيرنا فيه غاية فى البطء، ندفع السفينة بالمجداف تارة ونشدها بالحبال تارة أخرى، ثم وصلنا إلى أرض منبسطة فاض عليها النيل من جانبيه بصورة واسعة حتى أصبحت تشبه البحر ومن كثرة اتساع هذه المياه فقد بحارتنا حوض النهر وساروا بنا على غير هدى، وأحيانًا كان الماء ضحلاً، وكانت السفينة تستقر على اليابس والطين فينزل البحارة يعومون السفينة بكثير من الجهد حتى غرزت السفينة، ولاحظ ذلك بحارة السفن الأخرى وابتعدوا عن

---

(١) المرجع السابق، ص٩٢ .

(٢) المرجع السابق، ص٩٢ .

(٣) المرجع السابق، ص٩٣ .

(٤) المرجع السابق، ص٩٣ .

الناحية الضحلة، وأخيرًا تمكنا من الإبحار عن طريق الرياح التى أنقذتنا، ووصلنا إلى ميناء خاصة أوجدت إيجادًا عند مصب النيل فى البحر.

وهنا ربما كانت الترعة الضحلة التى سار فيها بريدنباخ ما هى إلا المجرى القديم للفرع الكانوبى جرت فيه مياه الفيضان[١]، وقد بلغ من اندثار الفرع الكانوبى وارتدامه أنه لم يكن يصل إليه من مياه الفيضان إلا القدر الضئيل فى القرن الخامس عشر، وقد كان حوض الفرع الكانوبى هو المجرى العميق فى البحيرة الذى تسير فيه السفن[٢]، ويبدو من هذا أنه فى خلال القرن الثانى عشر كانت بحيرة إدكو قد أصبحت المصب الوحيد للفرع الكانوبى، سواء أكانت متصلة بالبحر أم ارتدمت وصلتها به، حيث يذكر الإدريسى ذلك فى كتابه ثلاث مرات فى مواضع مختلفة، إذ إنه فى أيامه لم يكن قد بقى من فروع النيل سوى أربعة قال إن ثلاثة منها تصب فى البحر والرابع يصب فى بحيرة يبعد طرفها الغربى عن الإسكندرية نحو ستة أميال. وكما هو معروف فإن مصبات فروع النيل ينشأ عندها مدن أو مدينة مزدهرة على جانبيه، فكانت كانوب هى المدينة المزدهرة ذات المجد والعز الذى أتت عليه الزلازل وردمته الرمال[٣].

وقد ذكر الإدريسى[٤] فى كتابة نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وصفًا لهذه المنطقة نحو عام ١١٥٤، يقول فيه "النيل ينقسم من أسفل أرض مصر إلى أربعة أقسام، ثلاثة أقسام منها تصب فى البحر الشامى، وقسم واحد يصب فى البحيرة المالحة التى تنتهى قرب الإسكندرية، وبين هذه البحيرة وبين الإسكندرية تسعة أميال، وهى لاتتصل بالبحر، بل هى من فيض النيل، وهى تشغل مساحة

(١) المرجع السابق، ص٩٤ .

(٢) المرجع السابق، ص٩٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٩٦ .

(٤) المرجع السابق، ص٣٨ .

محدودة، وتسير موازية لساحل البحر على مقربة منه". كذلك فى موضع آخر يقول".... ويخرج من معظم هذا القسم (من فروع النيل) المتصل برشيد أسفل سنديون وسمديس وأسفل فوه وفوق رشيد، ذراع من النيل فيمر إلى مستقر بحيرة تتصل بقرب الساحل ثم تمر ممتدة مع الغرب إلى أن يكون بينها وبين الإسكندرية نحو ستة أميال، ومن هنا تتحول الأمتعة من المراكب إلى البر إلى الإسكندرية ...". وكذلك يقول ".. وعلى مقربة من أسفل سمديس يخرج ذراع من النيل ليس بالكبير، فيتصل ببحيرة مارة أو كارة ما بين غرب وشمال طولها ٤٠ ميلاً فى عرض ميلين، وماؤها ليس بالعميق حتى تأتى ساحل البحر الملح وتتعطف هذه البحيرة مع الساحل، وعلى بعد ٦ أميال من رشيد، ثم ترجع إلى فم ضيق فى أعلى سعتها مقدار ١٠ أبواع فى طول رمية حجر، ثم تتصل هذه البحيرة ببحيرة أخرى طولها ٢٠ ميلاً وسعتها أقل من سعة الأخرى، وماؤها أيضًا ليس بالعميق، ومن هناك إلى الاسكندرية ستة أميال، ثم يتحول الناس عن المراكب إلى البر فيسيرون على الدواب إلى الإسكندرية. وهنا يتحدث الإدريسى عن فرع النيل الكانوبى الذى اندثر واختفى، ولكن ليس واضحًا كيف لا تتصل بحيرة بالبحر مع أن نهرًا يصب فيها[1] إلا أن تكون بحيرة لم تتكون إلا من فيضان النهر بعد أن اندثر وارتدم فرع النيل الكانوبى. كذلك يوجد من النصوص الغربية[2] التى تؤرخ لمنطقة الفرع الكانوبى وحوضه ما ذكره بابلوان، وهومن أركان حرب الجيوش الصليبية (١٢٨٩ - ١٢٩١) "..... ويوجد أيضًا على الجانب الآخر من النهر بناحية الإسكندرية ترعة تسمى شيديا[*]، حيث يخرج ذراع من النهر ويتجه إلى بلدة تسمى إدكو، ويكون بحيرة صغيرة، وعلى هذا الذراع تنتقل البضائع من الصعيد ومن القاهرة ومن بابليون وتفرغ فى بلدة إدكو ومنها تنتقل

(١) المرجع السابق، ص٣٨ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٠ .

(*) شيديا أو سخيديا وهى قناة كانت تصل الإسكندرية بمدينة كانوب.

برا إلى الإسكندرية أو تنتقل إلى رشيد، حيث تنتقل بحرًا بواسطة مراكب الصارى".

وفى عام ١٥٤٧ نجد بيلون[1] يصف الطريق من الإسكندرية إلى رشيد فيقول إنه بعد نصف فرسخ من الإسكندرية يدخل فى فضاء رملى واسع يمتد خصوصًا على اليمين، أما من الجهة اليسرى فترتفع الأرض ويرى بها بعض القرى والنخيل. ويدخل عليهم الليل وهم فى الطريق فيضلون ثم يتخذون طريق الساحل ولا يتوقفون إلا عند وصولهم إلى الماء الحلو لفرع من أول فروع النيل "... فخضناه خوضًا ملتزمين ساحل البحر، ولم نجد عنده إلا كوخًا للصيادين" "... وهذا الفرع من قنوات النيل ليس الذى كان يسمى بفرع النيل الكانوبى، ولم نعرف ماذا كان يسمى قديمًا، وهو ليس عميقًا لأننا خضناه سيرًا على الأقدام فى وقت كان فيضان النيل قد طفح فى مصر".

وفى عام ١٧٣٠ يقول جرانجر[2] "إنه فى الطريق بين رشيد والإسكندرية توجد قناة كبيرة من النيل تعبر على قارب فى الشتاء، أما فى الصيف فتتكون حافة، وعلى فرسخين منها توجد أطلال (باكير) التى يظن أنها كانوب". وبعد ذلك يتحدث عن مصبات النيل، فيقول إن الفرع الكانوبى بين رشيد وأبى قير وإنه ما يسمى الآن المعدية[3]. وفى ٢٤ أكتوبر عام ١٧٣٧ يذهب بوكوك من الإسكندرية إلى رشيد، ويترك أبا قير على نحو فرسخ من اليسار، ثم يقول[4]:

---

(١) المرجع السابق، ص٥١ .

(٢) المرجع السابق، ص٦٠ .

(٣) المرجع السابق، ص٦٠ .

(٤) المرجع السابق، ص٦٢ .

"..... ووصلنا إلى المعدية أو القطع على نحو فرسخين من باكير، والمعبر على فتحة بحيرة يظن أنها كانت الجزء الأسفل من فرع النيل الكانوبى، لأن هذا القطع المتصل بالبحر لا بد وأنه كان مصب الفرع المذكور".

وفى سنة ١٧٧٧ يسير سافارى فى الطريق نفسه، ويذكر أنه على ستة فراسخ من الإسكندرية (المعدية)، يوجد قطع هو نهاية الفرع الكانوبى، وهو يخرج من (فوه) ويقطع بحيرة (البحيرة) التى محيطها ٧ فراسخ، حيث يصب فى البحر قرب أبى قير (كانوب القديمة)[١].

وفى سنة ١٧٧٧ - ١٧٧٨ يتحدث سوتينى عن بحيرة على بعد ستة فراسخ من الإسكندرية فى اتجاه رشيد"... وهى بقية الفرع الكانوبى، وهى الآن ليست إلا بحيرة من البحر ليس لها اتصال بالنيل إلا فى حالة علو فيضانه عن المعتاد. وهى تعبر على ظهور الخيل إذا كان النهر الذى انحسر أو البحر الهائج لم يزيد فى مائها وإلا وجب عبورها بزورق. ومصب بالفرع الكانوبى القديم قد ردمته الرمال، وعلى الضفة الشرقية منه بناء مربع ضخم يسمى المعدية..."[٢].

فى سنة ١٧٨٢ يغادر روك رشيد ويسير بمحاذاة الساحل نحو ١٥ ميلاً إلى أن يصل إلى "أبعد ذراع غربى للنيل"، فيعبره فوق مصب الفرع الكانوبى بقليل، وبعد ذلك بقليل يرى قصر "باكير" على حافة البحر، ثم بعد بضعة أميال تبدو آثار نيكوبوليس وبعدها بفرسخ يصل الإسكندرية[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص٦٢ .

(٢) المرجع السابق، ص٦٢ .

(٣) المرجع السابق، ص٦٢ .

كذلك وُجِدَ فى الخرائط القديمة ذكر لموقع الفرع الكانوبى وأبى قير أو كانوب القديمة، فنجد فى خرائط من سنة ١٧٦١ أنه فى ٣١ أكتوبر سنة ١٧٦١ توجه نيبور إلى رشيد بحرًا، ونزل بعض رفاقه عند أبى قير ليعبروا بحيرة يصب فيها النيل وتصب فى البحر، وعلى هذه الخريطة حصن أبى قير على رأس داخل البحر شرق الإسكندرية[(١)]، لكنه استمر فى طريقه بحرًا، أضاف فى هامش أن الفرع الكانوبى القديم قد سدته الرمال، ويقول إنه "يرجح أنه ذراع النيل الذى قابل دى بريدنباخ عام ١٤٨٣ - ١٤٨٤ بين رشيد وأبو قير، أو الذى مر عليه رادزيفيل بعد مائة عام من ذلك التاريخ بين القاهرة والإسكندرية، ويقول إنه يحتمل أن اصحابى قد مروا بهذا الفرع التى ذكر جرانجر أنه ما زال يصل البحيرة بالنيل بقرب أبو قير، وإذا كنت لم ألاحظه فلأننى مررت بجانبه عندما كان الجو مظلمًا، أو شغلنى شاغل عنه"[(٢)].

وفى سنة ١٧٩٨ وضع دينون[(٣)] خرائطه الملحقة بكتاب "رحلات فى مصر العليا والسفلى". ويقول فى شرح الخرائط" إن مضيق المعدية هو المصب الكانوبى القديم، وفيه دخل البحر وكون بحيرة تزيد على أربعة فراسخ".

إنه الفرع الكانوبى الذى كان ذا أهمية كبيرة فى العصور الماضية، لقد كان الباب الوحيد لمصر المفتوح على البحر المتوسط، حيث التجارة الأجنبية، وعبره فقط يمكن لأى شخص أن يدخل نقراطيس[(*)] حتى نجد هيرودوت يقول

---

(١) المرجع السابق، ص٦٨ .

(٢) المرجع السابق، ص٦٩ .

(٣) المرجع السابق، ص٧٣ .

(*) بقايا نقراطيس اكتشفت قريبًا من قرية (النبيرا) فى محافظة البحيرة نحو ٧٠ كم من كانوب (أبو قير).

"نقراطيس هى الميناء الوحيد ولا يوجد غيره فى مصر، لو أن أى غريب أتى إلى أى مدخل من مداخل النيل فإنه يجب أن يقسم أنه أتى رغمًا عنه، وبعد أن يقسم هذا القسم فإنه يجبر على التقدم بسفنه إلى الفرع الكانوبى أو على الأقل لو أن الرياح ضد هذا الإبحار فإنه يجبر أن ينقل بضاعته فى مراكب عبر الدلتا حتى يصل إلى نقراطيس"[1]. لقد جف فرع النيل الكانوبى فى القرن التاسع الميلادى[2] كما اختفى مصبه والمدينة الواقعة على هذا المصب، فما أسباب هذا الاختفاء هل هى الزلازل؟ هل هى تحركات البحر واليابس؟ هل هو تعاقب العقائد الدينية والممالك؟ إن هذا ما سوف تكشف عنه دراسة هذه المواقع حسبما قدمته الاكتشافات الحديثة.

---

(1) Herodtus, 11, 179, Strabo xvii , 1 , 18 .

(٢) م. فوستر: الإسكندرية تاريخ ودليل ١٩٢٢ ، ترجمة حسن بيومى، طبعة ١٩٨٢، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠م، ٢٢٨ .

الفصل الثانى

خليج أبى قير

كانوبوس - مينوتس - هيراكليون الموقع والتاريخ من خلال مؤرخى العصور المختلفة ورحالتها.

كانوبوس وضاحيتها مينوتس وميناؤها ثونيس (هيراكليون) هى تلك المنطقة التى أطلق عليها (الكانوبية)، والتى تحتلها الآن شبه جزيرة أبى قير، وهى منطقة صغيرة فى الشمال الغربى لمصر كانت تقع على مسافة بعيدة عن مركز مصر. هذه المنطقة ذات المساحة الصغيرة جابت شهرتها الآفاق، ربما لم تكن ذات أهمية أو أنها لم تلعب دورًا كبيرًا فى أثناء العصور الفرعونية، هذه المنطقة أو المدينة لا تقع مباشرة على ضفة النيل لكنها تقع قريبة جدًا من أقصى الغرب للفرع السابع لنهر النيل والذى يعرف (بالفرع الكانوبى)، حيث وصفها أحد رحالة القرن الأول[1] "جزر أمام آسيا، الأولى فى المصب الكانوبى للنيل تسمى كانوبوس، والثانية فاروس على مسافة من الإسكندرية. كذلك قال عنها رحالة[2] آخر من العصر نفسه "كانوب فى مواجهة مصب النيل الذى يسمى الكانوبى".

خضعت كانوبوس لعدة أساطير تعطى أصلاً لتسميتها منها أنه يقال إن اسمها (كانوبوس) أساسا هو اسم بحار إغريقى[3]. وكما نعرف عن اليونانيين أو الإغريق فهم مولعون بإعطاء المدن التى ينشئونها أو التى تتبعهم أسماء أبطال لهم. وكما حدث فى مصر فقد أعطوا أسماء أبطال أساطيرهم لأسماء مدن مثل

(1) Pline, Livre, V, Chapitre XXXIV , Paragraph I.

(2) Pomponius Mela , Livre II, Ch. VII.

(3) Ibid.

(كانوبوس)، (بيلوزيوم)، و(أبيدوس)، و(فاروس) وهكذا[١]، والأسطور تقول كيف أن مينلاوس في عودته من حرب طروادة جنح على الساحل المصرى، حيث اضطر إلى أن يمكث بعض الوقت، وخلال إقامته الجبرية تسمم البحار أو مدير دفة المركب المسمى (كانوبوس) بواسطة لدغة ثعبان، ومات متأثرًا بها، وقد دفن فى احتفال كبير، وإن مقبرته كانت أول الشواهد المعمارية فى المدينة ومن حولها تمت وتكونت المدينة[٢]، وبذلك فقد خلدت الجزيرة اسمه بعد وفاته وهى بدورها أعطت الاسم لمصب النهر وأيضًا لفرع النيل[٣].

هذا الأصل لكانوبوس قد يكون معروفًا بشكل عام وأيضًا قديكون متفقًا عليه فى العالم اليونانى الرومانى، لكنه لم يكن كذلك فى الوسط المصرى القديم، بل كان مستنكرًا ومرفوضًا[٤]، فإذا نحن وثقنا فيما كتبه المؤرخون فى القرن الثانى الميلادى سوف نجد أن أحد الرواة، وهو أليوس أريستد[٥]، قال "إننى سمعت فى مدينة كانوبوس من أحد الكهنة المعروفين، أن هذه المدينة تسمى كانوبوس منذ قرون عديدة قبل أن ينزلها بحار مينلاوس، لكن الكاهن لم يوضح هذه الكلمة

(1) Letronne, Select Works, Ist Series, Ancient Egypt, vol. 11 , P..58- 59 .

(2) Strabo, XVII. 1. 7 Tacitus Annals, II, 60 .

(3) Paolo Gallo The peninsula and the island of canopus, a history. of water and sand one hundred years in Egypt paths of italian Archaeology, Istituto Italiano di Cultura del Cairo. p 138.

(4) the Revd Father. J. Faivre. Canopus, menouthis, Aboukir translated by Alexander Granville, Alexandria S.P. E, 1918. 0.6.

(5)Aelius Aristides, Jebb's edition, vol, II , P. 359.

كيف كانت، لكن هذا الاسم مصرى صميم وصحته فى الأصل(كاهينوب)(*)، لذلك قد تكون كتبت فى التراث الإغريقى لكنه فقط دللها على أنها كلمة مصرية، ليس من السهل كتابتها، وقال إنها تعنى الأرض الذهبية"، وأضاف أليوس قائلاً "إن الاحتمال هو أن المصريين يعرفون تاريخ بلدهم أفضل من هوميروس أو هيكاتايوس".

مرة أخرى فإن أسطورة جديدة أعطت أصلاً آخر لهذا الاسم لكن هنا وفى حدود يمكن تصديقها[1] حيث يقال إن كانوبوس كان إلها مصريًا، وكان الكلدانيون عبدة النار قد حملوا آلهتهم إلى بعض البلدان للدلالة على سيادتهم المطلقة كآلهة يمكنها إفناء أية مادة تصنع منها بقية الآلهة، ثم جاء كاهن كانوبوس وحور هذه الخدعة ليدحض الكلدانيين، فقد أخذ إناء من طمى الأرض المسامى مثل المستعمل حاليًا فى مصر لتنقية المياه، ثم لطخه بالشمع، ثم لونه بألوان كثيرة ورسوم وملأه بالماء وغطاء برأس تمثال قديم يمثل بحار مينلاوس، وكان هذا هو الإله المصرى الذى سوف يقف أمام الإله الكلدانى، وعندما وضع الإناء فوق النار انصهر الشمع وخرج الماء من مسام الإناء وأطفأ النار، وفاز كانوب فى هذه الخدعة. ونجد فى ذاكرة هذه الأسطورة، الأربعة أوان الخاصة بالتحنيط برءوس تمثل أشكال رجل، جاكل (كلب) - صقر - قرد، وتعرف بالأوانى الكانوبية، والتى استخدمت بواسطة المصريين لحفظ الأحشاء الداخلية المستخرجة من الموتى فى أثناء عملية التحنيط.

(*) الكلمة القبطية Kahi - noub تعنى "الأرض الذهبية "وفى طريقة نطقها تشبه إلى حد ما كلمة كانوبوس لكن ربما لا يمكن كتابتها فى اليونانية، حيث لا توجد حروف يمكن ترجمتها أوتحويلها من Kahi، ولو أن المصريين استعملوا كلمة Kahi - noub فإنهم بالتأكيد استعملوا كلمات غيرها مختلفة مثل Pa - goti كما رأينا فى المرسوم الثلاثى بواسطة كهنة كانوب والذى يؤرخ بـ ٢٣٨ ق.م.).

(1) Father, Faivre, Canopus, Menouthis, Aboukir, op. cit. P. 7.

إنها كانوبوس المدينة التى كانت عمليًا تتحكم فى الطريق النهرى الوحيد للسوق التجارية الوحيدة المفتوحة لمصر، واحدة من أهم المراكز التجارية المصرية على البحر المتوسط قبل إنشاء الإسكندرية. هذه المدينة نجد أنها لم تكن قائمة على ضفتى النهر، حسب ما ذكر الأب فافر، حيث إن ضفتى نهر النيل الطمييتين لم تكونا أرضًا ثابتة، وكان التعدى المستمر أو الفيضان السنوى لا يعطى إمكانية إقامة أية مبانٍ ذات أهمية، كانت هناك المخازن، لكن منازل المعيشة والمبانى الإدارية نجدها كانت تقع فى المناطق المجاورة[1]. كان موقعها الجغرافى الخاص هو سبب هذه الأهمية، فقد أنشئ ميناؤها على مصب الفرع الأوسع فى أقصى غرب النيل، وهو الفرع الكانوبى، الخط الملاحى الوحيد الذى يسمح لمراكب البضائع الواسعة أن تمر من موانئ البحر المتوسط، وتبحر فى النيل نحو العاصمة ممفيس بكل أنواع البضائع الأجنبية[2]. ذكرنا أهمية الفرع الكانوبى سابقًا، حيث إن خطر جنوح المراكب على طول ضفتى الدلتا المصرية لأن ماءها دائمًا يكون ضحلاً بشكل خادع حتى إن السفن تحاول أن تتجنبه على طول فروع النيل الأخرى حيث هناك آلاف من السبخات أو المستنقعات التى تقلل من إمكانية الإبحار فى النهر، والتى تزخر بها الدلتا الوسطى.

وحيث إن العقبات الطبيعية فى هذا الإبحار كثيرة فإن البحارة اليونانيين أو من الشرق الأدنى كانوا مجبرين على الإبحار بسفنهم باتجاه كانوبوس تحت القواعد والقانون المصرى، الذى يحرم على الأجانب الدخول من الفروع الأخرى[3]، فلو دخل بحار فى فرع آخر للنيل عليه - كما يحدثنا هيرودوت[4]- أن يقسم أنه ما اتخذ هذا الطريق بإرادته، وبعد هذا القسم فإنه يضطر أن يبحر بسفينته إلى مصب الفرع الكانوبى".

(1) Ibid, P. 9 .

(2) Paolo Gallo , op . cit. P. 131.

(3) Ibid, P. 131 .

(4) Herodotus, The histories, 11, 179.

خلال نهاية عصر الأسرات كان كل الإبحار يتركز على مصب الفرع الكانوبى كما نرى فى مرسوم الفرعون نختانبو على "اللوحة Stela" التى اكتشفت وهى المؤرخة بـ (٣٨٠ ق. م) الأسرة الثلاثون ويكشف النص فيها عن أهمية المكاتب التى تستقبل العملاء فى (تونيس - كانوبوس) فى تطبيق القواعد عند المرور من البحر المتوسط، حيث تقع أوسع محطات استقبال المارين من هذا البحر، وهنا نجد الموظفين وحراس الحدود يمكنهم بسهولة تركيز جهودهم للحراسة الأمنية وجمع الضرائب والتحكم فى البضائع الداخلة والخارجة من البلاد[١]. لقد كانت كانوب ومحيطها تحتل هذه المنطقة قبل تأسيس الإسكندرية بقرون، وعلى الضفة اليسرى للنيل بدأ المؤرخ هيرودوت (٤٥٠ ق. م) رحلته فى مصر من كانوبوس. وقد ذكر المدينة مع أنه لم يعط تفاصيل عنها لكنه ذكر الفرع الكانوبى كما تكلم عن الـــ (Tarichees)، والتى تعنى فى اليونانية مصنعًا ينتج السمك المملح[٢] تشتهر به هذه المنطقة. إذن لقد ذكر المؤرخون والرحالة والجغرافيون كانوبوس منذ القرن الخامس ق. م. حيث كانت ذات أهمية كافية فى ذلك الوقت ليذكرها هيكاتايوس الميليتى بشعر إسخيلوس والأدميرال المستكشف سخيلاس الكارياندى[٣]. كذلك ديودورس الصقلى الذى زار مصر فى القرن الأول ق.م قال: "فى كل مصب من مصبات النيل توجد مدينة يقسمها النهر، يرتبطان بواسطة جسر، وهما محصنان تحصينًا جيدًا. ربما لم تستثن كانوبوس من وصف ديودورس، وربما كانت كانوبوس أيضًا وضواحيها تقع على الضفة اليسرى، فمن الطبيعى الافتراض أن تكون هناك على الضفة اليمنى مجموعة المنازل المهمة، والتى ارتبطت بطريقة أو بأخرى بالضفة الأخرى[٤]، فى حين كان مثلث الدلتا

(1) Paolo Gallo, op . cit. P. 121 .

(2) Father Faivre, op. cit P 9 .

(3) Ibid, P. 9 .

(4) Ibid, P.19 .

الكبير الذى شكله نهر النيل ينتهى على الضفة اليمنى من الفرع الكانوبى (كانوبوس وضواحيها)، أما الضفة اليسرى فهى أقصى الحدود الشمالية الشرقية لما يعرف بإقليم الإسكندرية.

لقد ازدهرت كانوبوس تحت حكم البطالمة، فالمعابد والديانة والأعياد الوثنية كانت فى ازدهار عظيم آنذاك. لقد كان أقدم معبد موجود هو الهيراكليوم والمخصص لهرقل، والذى سنتحدث عنه فيما بعد، لكن بعد أكثر من نصف قرن من تأسيس مدينة الإسكندرية فإن الملكة أرسينوى زوجة بطليموس الثانى فيلادلفوس قد توفيت (٢٧٠ ق.م)، وهنا أقيمت لها شعائر وطقوس وكرست لها عدة معابد فى أماكن عديدة كان أشهرها ذلك الذى بنى فى كانوبوس قريبًا من رأس تسمى (زيفيريوم)، وقد سميت كذلك لأنها كانت معرضة بصفة خاصة لهبوب رياح (الزفير) الشمالية الغربية السائدة فى هذه المنطقة[١].

فكر القائد البحرى الأدميرال كاليكراتس فى إقامة معبد صغير على هذا النتوء أو اللسان الداخل فى البحر، ليكون حاميًا للإبحار والبحارة ضد أخطار البحر، وهكذا عين مكانة تحت رعاية (أرسينوى)، وكذلك أطلق عليه وهى التى شبهت أو طوبقت بأفروديت[٢]، وصورت أيضًا وهى تتشبه بإيزيس. وهنا نجد أنه توجد أغانٍ شعرية[٣] تمتدح المعبد والمعبودة المكرس لها، وهنا نورد نصين منها:

١- "ما بين شاطىء فاروس ومصب كانوبوس، أحتل أنا النتوء بين الأمواج، فى نقطة ما من ليبيا غنية بالأغنام، إن ساحلى تدفعه الرياح، تمتد رياحه من إيطاليا.

(1) Strabo XVII, 1, 16

(2) Strabo XVII, 1, 16

(3) Didot's papyrus.

- Athenaeus, VII, 106, p. 318.

كاليكراتس أقامنى هنا، وأهدانى قدس أقداس الملكة أرسينوى. تعالى إلى أفروديت زفير، آه يا لابنة العذراء لليونان، وأنت يا راكب البحر، إليك قد بنى الأدميرال كاليكراتس هذا المعبد ملاذًا من الأمواج".

٢- "لتجعله سارا لك فى البحر والبر، هذا المعبد الخاص بأرسينوى فيلادلفوس، والذى كرسه الأدميرال كاليكراتس مكانا فى شاطىء زفير كمأمن. الآلهة سوف تضمن لك رحلة آمنة فى وسط العواصف، لو أنك تصلى لها، سوف تهدى لك المحيط الواسع".

أيضًا عندما تولى العرش بطليموس الثالث يورجيتس بدأ حكمه بحملة ضد الآشوريين، وكانت زوجته الملكة الصغيرة برنيس (برنيكى) قلقة بشأن هذه الحملة، فكانت أن نذرت لو أن زوجها عاد سالمًا فإنها سوف تقص خصلة من شعرها وتكرسها لمعبد أفروديت فى زيفيريوم، وبعد سنة من ذلك، وفى عام ٢٤٤ ق.م عاد بطليموس الثالث من الحرب، واستراحت الملكة، وبرت بنذرها، وعلقت خصلة شعرها فى المعبد، لكن هذه الخصلة اختفت فى اليوم التالى، فأخذها أحد المنجمين الفلكيين الكسندريين، ويسمى (كونون)، وشرح لها مواسيًا أنه رأى هذه الخصلة تطير فى السماء وتتلون، وقد وصف الشاعر كاليماخوس فى قصيدة جميلة كيف أن زفير أرسل إلى الساحل الكانوبى، وبسرعة مع حركة الموج حمل الخصلة الذهبية للإلهة أفروديت ليتكون به نجم جديد ويأخذ بين رمز العذراء ورمز الأسد وموقعه احتفظ إلى الأبد باسم (شعر برنيكي) فقدت قصيدة كاليماخوس، لكن هناك نسخة لها ظهرت بواسطة Catullus n° LXVI[1].

(1) Father J. Faivre, op. cit P 14 .

هناك معبد شهير آخر فى كانوبوس هو معبد أوزوريس لا بد قد شيده بطليموس الثالث أيورجيتس الأول، وهو معروف من خلال لوحة ذهبية تحمل نقوشًا إغريقية "الملك بطليموس، ابن بطليموس وأرسينوى، وآلهة دلفى، والملكة برنيكى أخته وزوجته، كرس هذا المعبد للمعبود أوزوريس[*]، لقد قدمها بطليموس الثالث يوريجيتس وبرنيكى. فى عام ٢٣٨ق. م ماتت ابنة الملك المسماة برنيكى مثل والدتها، فوضعها الكهنة فى "معبد الإله أيوريجيتس فى كانوبوس" ووضوعوا المرسوم الذى قدم إلينا على أنه ممنوح للأميرة الصغيرة "قالوا : لقد فكرنا جيدًا فى إقناع الملك والملكة بأن تأخذ الملكة مكانها كإلهة مع أوزوريس فى معبد كانوبوس، والذى ليس فقط يعتبر فى الطبقة الأولى من المعابد، ولكنه من بين أكثر المشرّفين من قبل الملك والمدينة".

هذا المرسوم[1] يسرد فى تفاصيل الإجلال الذى تحاط به الأميرة، إنها تعيد إلى الذهن الاحتفالات التى شكلت تاريخ كانوبوس، حيث كل عام فى اليوم التاسع

(*) هذا النقش له قصة حيث إنه خلال حفر ترعة المحمودية عام ١٨١٩، وجد العمال الذين كانوا يعملون مجرى لمنع تدفق مياه البحر داخل بحيرة مريوط، وكانوا يحضرون الخامات من كانوبوس القديمة، وجدوا فى أحجار أساسات بين طبقتى قرميد من مادة زجاجية، وجدوا شريحة رفيعة من الذهب بها نقش بارز. هذه الشريحة أرسلت إلى محمد على فارسلها إلى الأدميرال البريطانى سير سيدنى سميث ١٨٢١، وهى الآن فى المتحف البريطانى.

Wilkinson's modern Egypt, Vol I, P. 177.

(١) تحدثنا وثيقة كانوب عن سياسة بطليموس الثالث أيورجيتس نحو الديانة المصرية، فهذه الوثيقة تروى لنا كيف أن "الملك بطليموس بن بطليموس وأرسينوى الإلهين الأخوين، وبرنيكى أخته وزوجته الإلهين الخيرين يجزلان دائمًا للمعابد الوطنية نعمًا كثيرة. وهذا المرسوم صادر من كهنة كانوب الذين قرروا زيادة مظاهر الإجلال التى تقدم إلى الملك والملكة وأبويهما وجديهما، وأن يحمل الكهنة فى كل المعابد لقب كهنة الإلهين الخيرين وذلك إلى جانب ألقابهم الأخرى، وأن تضاف فى كل معبد قبيلة خامسة من الكهنة تحمل اسم الإلهين الخيرين، وأن يقيم الكهنة فى أوائل كل عام فى المعابد كافة حفلاً قوميًا مقدسًا إجلالاً للملك والملكة، وأن تقام لبرنيكى ابنة الإلهين الخيرين التى توفيت فجأة فى مراسم الإجلال فى كل المعابد.

والعشرين من شهر كيهك تتحرك السفينة المقدسة لاوزوريس من هيراكليوم إلى هذا المعبد. لقد صدق الكهنة على بعض الإصلاحات فى التقويم الذى فرضة الملك ذو العقلية العلمية وقد تم حفظ البيان الرسمى حتى صدر فى (مرسوم كانوب) والذى يعد واحدًا من أهم وثائق التاريخ البطلمى(١)، كان هناك دائمًا نوع من الخلط بين أوزوريس وسيرابيس كإله واحد، وربما كان معبد أوزوريس فى كانوبوس يطابق معبد سرابيس(٢).

أيضًا كان معبد سرابيس ذا شهرة كبيرة، وربما تفوق على معبد سرابيس الإسكندرية، وسبب شهرته وسمعته الشعبية الكبيرة هو الاهتمام العظيم بالرعاية الروحية له. نجد أن طقوس التعبد المعتادة فى مثل هذه الأماكن كانت تقتضى النوم فى المعبد للشخص المريض(*) أو من ينوب عنه، وكان يُلبَّى الشىء المرجو فى أثناء هذا النوم المتضرع. ونجد أن هناك قصصًا كثيرة لكثيرين كتبوا تجاربهم هذه فى قضاء حاجتهم، كذلك البعض كتب ذاكرًا تفصيل وصفات للشفاء أعطيت بواسطة الاله(٣). كذلك كان المعبد يستقبل كثيرًا من القرابين أو

(١) أ. م فورستر : الإسكندرية تاريخ ودليل - سبق ذكره ص ٢٣٠ .

(2) Father J. Faivre, op. cit P 15 .

سرابيس أيضًا قد اختلط مع هليوس، هاديس (يوجد هناك أيضًا تكريس آخر وجد لـ (زيوس هليوس، سرابيس العظيم لكانوبوس (W. Hamilton, Egyptiaca, P. 403)

نعرف أيضًا أن هاديس قد عبد فى كانوبوس (Heraclides of Pontus, by Plutarch, Isis and osiris. 27.)

ستيفن البيزنطى تحدث عن قدس أقداس لبوسيدون فى كانوبوس، لكنه ربما أخطأ، ويجب قراءته على أنه بلوتون وليس بوسيدون.

(P.E. Jablonki, Pantheon AEgyptiorum, Vol. III, P. 137 - 138).

الاستنتاج أنه لا يوجد غير معبد واحد لعبادة سرابيبس تحت سيطرة متعددة.

(*) معبد سرابيس فى كانوب كان المعبد الوحيد الذى يوجد به نظام الاحتضان، أى إن المريض حين يشعر ببداية المرض يتجه إلى المعبد ويمكث فيه حتى يتماثل تمامًا إلى الشفاء. وكان الكهنة يتحدثون مع المريض فى أثناء النهار عن الأعراض المرضية التى يشعر بها، وفى الصباح يسألون عن الأحلام التى شاهدها، وإذا بهم يقنعونه بأن الإله زارهم ليلاً وقدم إليهم الدواء الشافى المتمثل فى مجموعة من الأعشاب، ويتم ذلك عن طريق مجموعة أخرى من الكهنة يسمون طبقة المفسرين.

(3) strabo, XVII, 1, 17 .

الهدايا النذرية، ففى نص شعرى لكاليماخوس يتكلم عن إهداء مصباح من ابنة كريتياس إلى إله كانوبوس واصفا إياه بأنه مصباح بهى ذو اثنتى عشرة شعلة (فتيلة) وذلك لإنجابها طفلا[1]. فقد تفوق هذا المعبد على معبد سرابيس الأصلى فى الإسكندرية كما ذكرنا فالمرضى الذين ناموا هنا - وحتى من أنابوا عنهم أحدًا للمبيت وجدوا معافين فى اليوم التالى.

كان المعبد دائمًا مقرًا للسحر والفسق فى رأى خصومه، ومقرًا للفلسفة فى نظر أنصاره، وقد هاجمته المسيحية، وقبل تدميره مباشرة عام (٣٨٩م) أقام فيه أنطونينوس، وهو أحد الوثنيين، وحاول أن يعيد إحياء عقيدته، "وكان كثيرًا ما يقول لأتباعه إنه بعد انقضاء عهده، لن يكون هناك أى معبد، وإن هذا الحرم المهيب العظيم سيصبح ركاما من بقايا بلا قيمة، وسينساه الجميع، وقد كان أنطونينوس محقًا[2].

مع أن السائحين يذهبون إلى معبد سرابيس فى كل مواسم السنة، إلا أن هناك أيامًا مقدسة خاصة تعرف باسم (Panegyries) أى "المديح"، وهى عبارة عن تجمع عام كانت تأخذ العبادة فيه مظهرًا صاخبًا، إذ يقول سترابو "إنه مشهد مثير للاستغراب"، وهو بالتأكيد ذلك الشخص الذى يعتبر شاهد عيان لكل ما وصف، حيث يقول: "الحشود التى تأتى من الإسكندرية إلى كانوبوس بواسطة القناة خلال "أيام المديح" كل الطرق تكون مملوءة صباحًا ومساءً بالرجال والنساء يعزفون آلة الفلوت، يرقصون كثيرًا، وبغير تحفظ، وهؤلاء المسافرون المستمتعون الموجودون فى كانوبوس على ضفتى القناة، يجدون الحانات التى تمدهم وتسهل لهم كل أنواع الإقامة والاستمتاع وقضاء العيد[3].

(1) Greek Anthology, VI, 148.

(٢) أ. م. فورستر: سبق ذكره، ص ٢٣١ .

(3) strabo, XVII, 1, 17

كان قضاء العيد يتم بأشكال متنوعة ومثيرة، فالذين يفهمون جيدًا يقدرون الكعك الذى يصنع فى كانوبوس. كذلك هناك أنواع من الأسماك المعينة، مثل سمك (التتيا) الذى كان مرغوبًا جدًا، وأنواع من المحارات البحرية، خاصة نوع (Tellines) الذى كان مشهورًا، ويقال إن هناك أنواعًا أخرى تسمى (Royal)، وهى أصغر، وأخف، وأسهل فى طهيها وكذلك فإنها مغذية جدًا[1]. أما عطور كانوبوس فكانت ذات شهرة كبيرة[2].

أما عن اعتدال جوها وسطوع شمسها فكانت تنشر أنواعًا من الترحيب على هذه البقعة السعيدة، وقد وصفها المؤرخ اللاتينى المهم Ammianus Marcellinus فى مقطوعة متحمسة بقوله "هذه المدينة لها قصص شائقة عديدة، فالنسيم فيها عليل، فهو ذو رطوبة ملطفة والحرارة معتدلة، هؤلاء الذين يبقون فيها يحسون كأنهم أخذوا بعيدًا خارج العالم ويستمعون إلى خرير الرياح على قرص الشمس وهو يقبل الأرض"[3]. يبدو واضحًا أن أغلب زائرى كانوبوس كانوا قادمين من الإسكندرية.

لقد ذكر سترابون[4] مسافة الرحلة بين كانوبوس والإسكندرية فقال: "عندما تترك الإسكندرية لبداية كانوبوس تلاحظ على اليمين ماء القناة والتى تتبع حدود البحيرة فى اتجاه كانوبوس، باختراق (إليوزيس Eleusis)، وهو اسم ضاحية قريبة من الإسكندرية ونيكوبوليس، تقع على ضفة القناة الكانوبية وتمتلىء بالاستراحات والشرفات التى يستخدمها المسافرون من الرجال والنساء الذين يريدون الاحتفال بالعيد هناك: هنا هى البداية "الكانوبية"، وبالأخص

(1) Father J. Faivre, op. cit P 15 .

(2) Lucian, The Ship, 15, Pliny the elder, XII, 109 .

(3) Ammianus Marcellinus, XXII 16.

(4) strabo, Op. Cit XVII, 1. 17

المنطقة الشهيرة (بالفجور) كما عرفت "لقد أضاف هذا الجغرافى الشهير بعض التفصيلات التى لها قيمة مزدوجة، حيث إنه كان قابلاً للتعرف إليهم وتفحص سلوكهم فى أثناء إقامتهم الطويلة فى الإسكندرية[1]:

"على بعد من (إليوزيس Eleusis) على الجانب الأيمن هناك فرع يقود إلى شيديا... بعد هذا الفرع فإن الإبحار أو السفر باتجاه كانوبوس يستمر موازيًا خط الشاطىء الذى يمتد من فاروس حتى المصب الكانوبى. هناك بين البحر والقناة يوجد شريط ضيق من الأرض. خلف نيكوبوليس يوجد "تابوزيريس الصغرى أو تابوزيريس بارفا (ويسمى كذلك لتمييزه عن تابوزيريس الأخرى الأكثر أهمية فى غرب الإسكندرية)، كذلك رأس زفيريوم فى أقصى نقطة، حيث يوجد معبد (أرسينوى أفروديت)، ويقال إنه هنا مكان مدينة قديمة تسمى (تونيس Thonis)، وهو اسم الملك الذى استضاف مينلاوس وهيلين أو حاكم منطقة مصب النهر"[2].

أما عن موقع مدينة كانوبوس فقد ذكر سترابون أنها تقع على مسافة ١٢٠ ستاديا من الإسكندرية بواسطة البر، وذكر أن هيراكليون بعد كانوبوس، ثم بعد ذلك يوجد المصب الكانوبى للنيل وبداية الدلتا. المسافة التى أعطاها سترابون هى مسافة تقريبية، ونجد أن فيها مبالغة[3] لو حسبت بواسطة وحدة المسافات السكندرية وهى ١٨٥ مترًا طوليًا، فالمسافة بين الإسكندرية وكانوبوس لا بد أن تكون أكثر من ٢٢ كم، والمسافة بين فاروس والمصب الكانوبى لا بد أن تكون ٢٨ كم وهو ما يُعد كثيرًا جدًا[4]. هناك رواة آخرون[*] كانوا أقرب إلى المعقولية فى

(1) Father J. Faivre, op. cit P 17 .

(2) strabo, XVII, 1. 14.

(3) Father J. Faivre, op. cit P 18 .

(4) Ibid. P. 18.

(*) Ammianus marcellinus, XXII, 16, Saint Epiphanus Ancoratus, 106, Pliny the elder, VII.

تقديرهم المسافة، حيث قدروا المسافة بين المدينتين بنحو ١٢ ميلاً، أى بنحو ١٧كم. إذن، خلال العصر البطلمى كانت كانوبوس أيضًا مركزًا من أهم مراكز الديانات فى مصر كلها، حيث شهرة آلهتها القادرين على شفاء المرضى، وأهمية (قدس الأقداس) الذى كرس لعبادة العائلة المالكة، ولأنها قريبة جدًا من العاصمة، ولنقاء هوائها، ووسائل المتعة فيها، فقد أصبحت كانوبوس المكان المثالى للراحة والاستمتاع للطبقة الأرستقراطية بالإسكندرية. لقد شيدت الطبقة الأرستقراطية أيضًا ضياعًا فى شبه الجزيرة لإنتاج الزيت والنبيذ[١]. وأيضًا وُجدَت مصانع لإنتاج النسيج. أيضًا شيدوا على طول الساحل فيلات فاخرة تضم أماكن استحمام واسعة وأرصفة صيد الأسماك[٢]، هذا وقد اكتشفت الأرضيات الموزاييك، والتى تدل على مثل هذه الفخامة التى كانت عليها الحدائق والفيلات فى أبى قير، وذلك فى عام ١٩٦١ بواسطة حفائر المتحف اليونانى الرومانى على يد العالم براتشيا، وهى محفوظة بالمتحف، وهى تعكس مناظر طبيعية وأيضًا صورًا للطيور والزهور والنباتات والمستنقعات والوجوه الأسطورية مثل "ميدوزا" وطائر الإيبس.

مينوتس:

كانت تلك كانوبوس، أما ضاحيتها (مينوتس)، والتى كانت تقع إلى الشرق من كانوبوس، وعلى بعد نحو ميلين منها، فنجد أن اسم مينوتس أو إيمينوتس يقال إنه أولا اسم زوجة كانوبوس، وقيل أيضًا إن الزوجين كانوبوس ومينوتس قد دفنا على هضبة بالقرب من الساحل، وإنهما كانا يتلقيان القرابين المقدسة.

ربما كانت هذه الضاحية أو المدينة قد أطلق اسمها على مستعمرة أخرى قبل أن تشتهر المدينة نفسها، حيث إن الجغرافيين القدماء يتحدثون عن جزيرة فى

---

(1) Preccia. 1926, P. 14 , 47 - 50.

(2) Ibid, P. 35 - 37.

المحيط الهندى اسمها مينوتياس Menouthias، ويعتقد أن أول من أطلق هذا الاسم عليها هو بحار سكندرى كان من عباد الإلهة إيزيس Isis معبودة مينوتس، والتى كانت سببًا فى شهرة هذه المنطقة، حيث كانت تتمتع بشعبية كبيرة فى مصر[1].

وكانت إيزيس المقدسة العظيمة لأهل الإسكندرية وكانوب، وارتبطت عبادتها بسرابيس Serapis، وقد اختلفت صفتها باختلاف الأماكن التى عبدت فيها، فهى فى هيراكليون (إلهة البحار)، وفى كانوب (هادية الآلهة)، وفى مينوتس (إلهة الحق)[2] حيث تماثلت مع إلاهات متعددة فى الصفات.

أما بدايات مينوتس كضاحية أو كمدينة فهى غامضة. وهنا يعتقد بعض العلماء أنه يمكن مطابقة مينوتس مع (من – نوتر) أو (نوتير) الخاصة بالملك (تاف – نخت) من القرن الثامن ق.م. لكن هذه النظرية أهملت ولم تجد تأييدًا[3] إذ لم يذكرها سترابون مع أنه قد ذكر تفاصيل ذات أهمية كبيرة عندما تكلم عن هذه المنطقة.

ولا بد أنه لم يعد لهذه المدينة الصغيرة أو الضاحية فى القرن الأول قبل الميلاد من وجود، أو أنها كانت غير ذات أهمية كبيرة، حيث لم تسترع انتباه سترابو، أو لم تستحق أن تذكر، و ربما اعتبرت أنها تابعة لكانوبوس فذكرها يكون ضمنا مع كانوبوس. لقد وصلت إلينا فقط عنها بقايا نقوش من القرن الثانى الميلادى وضح فيها اسم مينوتس، حيث أهدي أحد المتعبدين إلى إيزيس

(1) Letronne, Collection of Greek and Latin inscriptions in Egypt, vol. I, P. 436.

(2) Grenfell and hunt, Oxyrlnchus papyri, No 1380, lines 60 - 63, Vol. XI, P.197.

(3) G. Maspero, ancient history of the people of the classical East, Vol III, P 167.

المصرية تمثالاً لإيزيس مينوتس[1]، لكننا نجد أنه فى القرن الرابع الميلادى فإن ضريح الإلهة إيزيس كان مزارًا لكثير من الحجاج الذين يتجمعون فى معبدها، هذه التجمعات كانت تمارس طقوس فيها إلى حد ما شىء من العربدة، من مثل الغناء النشوان، والرقص الخليع، حيث يسترجع ما كان يحدث فى ضريح سيرابيس فى كانوب. وقد ذكر القديس إبيفانيوس أن "النساء كن ينغمسن في النشوة خالعات عن أنفسهن كل وقار أو هدوء أو تواضع[2]، ويذكر أيضًا أنه فى هذا الوقت كانت مينوتس متصلة بكانوب بواسطة طريق تقوم على جانبيه الفيلات والحمامات الفخمة.

هيراكليون:

هذا الميناء الذى تحدث عنه هيرودوت عندما زار مصر عام ٤٥٠ ق.م. حيث رأى معبد هرقل الشهير وقرية أو مدينة هيراكليون، والتى نمت حول هذا المعبد، لقد روى له عن "المعبد وما كان من أمر الإسكندر (باريس) وهيلين فى أثناء رحلتهم من إسبرطة إلى طروادة، حيث أتجها إلى هذا البحر المصرى بواسطة الريح المعاكسة حينما كانا في بحر إيجه وقد وصلا إلى شاطىء مصر، ومنه إلى ما يسمى بفرع النيل الكانوبى والملاحات، وكان يقوم فوق الشاطىء ولا يزال إلى الآن معبد هرقل الذى إذا احتمى به أحد العبيد ووسم نفسه بالعلامات المقدسة واهبا نفسه للإله لم يحل لأحد أن يمسه، ولقد ظلت هذه السنة نافذة كما هى منذ البدء إلى زمانى هذا. ولما علم خدم الإسكندر (باريس) بالسنة المتبعة فى هذا المعبد تخلوا عنه وجثوا ضارعين وشكوا الإسكندر للإله بغية إيذائه، ورووا كل ما حدث من أمر هيلين والجرم المقترف فى حق مينيلاوس. وقدموا هذه الاتهامات إلى الكهنة، وإلى حارس الفرع، وكان اسمه "ثونيس". فلما سمع تونيس بهذه

(1) Letronne, Op. Cit, P. 434.

(2) St. Epiphanius, Short Exposition of the Faithy 12.

الأنباء، بعث بأسرع ما استطاع برسول إلى بروتيوس فى منف يقول (وصل رجل أجنبى تيوكرى الجنس بعد أن اقترف جرمًا كبيرًا فى بلاد اليونان، ذلك أن الأجنبى اغتصب زوج مضيفه وأخذها وجاء ومعه أموال طائلة. وقد ألقت به الرياح إلى بلادك، فهل ندعه يقلع سليما معافى أم نجرده مما جاء به؟)، ورد بروتيوس على هذا السؤال برسالة يقول فيها (مهما يكن هذا الرجل الذى ارتكب ذلك الجرم فى حق مضيفه اقبضوا عليه وأرسلوه إلىَّ حتى أرى ما عساه أن يقول). فلما سمع ثونيس هذا قبض على الإسكندر (باريس) وأمسك مراكبه، ثم ساق الإسكندر وهيلين والأموال، فضلا عن العبيد الضارعين كذلك إلى منف، فلما مثلوا فى حضرة بروتيوس سأله عمن يكون، ومن أى مكان أقلع، فسرد له الإسكندر (باريس) نسبه، وذكر اسم وطنه، وروى بالتفصيل رحلته – وبعد ذلك سأله بروتيوس من أين جاء بهيلين، فلما لم يلتزم الصدق والحقيقة، كذبه الذين كانوا يضرعون ورووا قصة جريرته، وأخيرًا أعلن بروتيوس رأيه قائلاً (لو لم أكن أعلق أهمية كبيرة على ألا أقتل أحدًا من الأجانب الذين تطوح بهم الرياح فيأتون إلى بلادى لأنزلت بك القصاص ثأرًا لليونانى، فإنك يا أدنى الرجال بعد أن تمتعت بحسن الضيافة ارتكبت عملاً فى غاية الشناعة والحطة بأن تهجمت على زوج مضيفك نفسه، ولم يكفك؛ بل أطرت لبها وهربت معها بعد أن سرقتها كاللص. ولم يكفك هذا؛ بل إنك سطوت على بيت مضيفك قبل أن تغادره، فالآن حيث إننى أعلق أهمية كبيرة على عدم قتل الأجانب فلن أدعك تأخذ معك هذه المرأة والأموال؛ بل سأحتفظ بها لمضيفك اليونانى إلى حين يشاء هو أن يأتى لاستردادها، أما أنت ورفقاؤك فغادروا البلاد فى ظرف ثلاثة أيام، فإن لم تفعل فسأعاملك معاملة العدو". تلك هى رواية هيرودوت عن الكهنة المصريين[1].

---

(١) وهيب كامل: هيرودوت فى مصر، القرن الخامس قبل الميلاد، دار المعارف، ص ٩٣ .

إنه معبد هيرقل ومدينة هيراكليون الميناء الجديد الذى أعاد إقامته اليونانيون على شرف الإله هرقل[1] وأقاموا هذا الميناء مجاورًا تمامًا لذلك الميناء القديم الذى كان يقع على بعد قليل من مكان قدس الأقداس والحى السكنى للمدينة. إنه الميناء الكانوبى الذى كان يقع آمنا من أمواج البحر المتوسط فى الساحل الداخلى لبحيرة حيث تتقابل مياه البحر مع مياه النيل المتجددة لتكوّن - حسب رأى باولوجاللو[2] وبرتشيا[3] - تكوينًا شكليًا ليس بعيدًا عما صور فى منظر لوحة الموازاييك (بالسترينا Palestrina).

ربما من وجهة نظرى أن هذه اللوحة ليست لوحة واحدة متكاملة، لكنها تمثل أجزاء، أى مجموعة مناظر أو لقطات تخيلية، منها مناظر لجنود رومان فى أحد المعابد، ومنها مناظر لجبال ومناطق صيد برية وأكواخ وسط المياه، وكذلك مجموعة من المراكب بعضها يمكن اعتبارها مراكب حربية والأخرى قوارب صيد، وكذلك أحد المراكب بها حجرة، ويمكن اعتبار القوارب هى قوارب للنزهة والاحتفال.

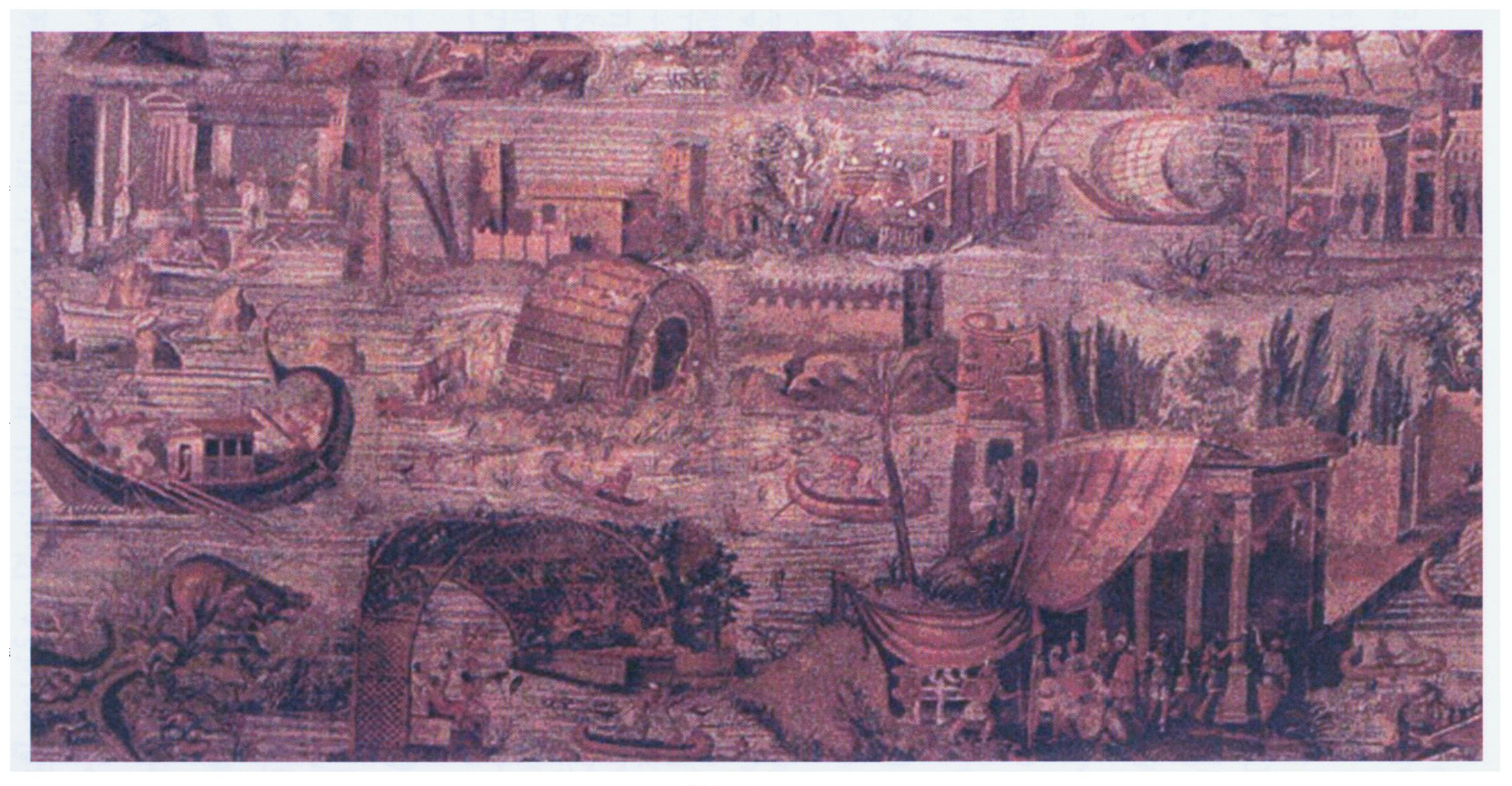
ربما لا يكون المنظر يمثل كانوب بعينها، لكنه يمثل فى أحد المناظر نوعًا من الاحتفال يماثل ما كان يحدث فى كانوب **(لوحة ٢)**.

---

(1) Calderini, 1935, II, P. 215 - 16.

(2) Paolo Gallo, op. cit, P. 131.

(3) Breccia. Ev, l' Egypte Gréco - Romaine, Société Archeologique d'Alexandrie, officine dell'instituto Italiano d'arti grafche, Bergamo, 1926.



(لوحة ٣)

لوحة الموزاييك بالسترينا

اسم ينطبق على الواقع لقد سمى المصريون الميناء الأقدم تونيس Thoni، والتى تعنى المستنقع أو السبخة[1]، وفيما بين القرن الرابع والقرن الثانى ق.م. فإن المياه والرمال قد ابتعلت هذا الميناء الفرعونى تمامًا، وفقد موقعه فى نحو القرن الأول ق.م [2]، وهناك بردية يونانية ترجع إلى القرن الثانى الميلادى تحفظ قصيدة شعرية متعلقة بالجبال "Orgenetic" ، وهى قطعة مكسورة غير واضحة لكنها تؤكد التغيرات الجيولوجية المستمرة فى ساحل أبى قير، وقد جذبت انتباه الدارسين أو العلماء القدامى. فى بداية العصر البطلمى، وليس بعيدًا عن موقع الميناء القديم فى ثونيس Thoni، قام ميناء جديد عند مصب المستنقع كما يقر نص مصرى يحتوى على مرسوم كانوبوس[3]، الآلهة القديمة لتونى (تونيس) Thoni كانوا أوزيريس (سيد المستنقع)، و إيزيس (سيدة البحار)، وأمون جرب Ammon - Ghereb، وخاصة خونسو[4] الإله الطفل الذى امتلك قدرات إعجازية حتى إن الإغريق طابقوه بإلههم هرقل[5]. لقد أعاد اليونانيون صلاحية الميناء ليصبح ميناءً جديدًا باسم هيراكليون[6] (معبد هرقل)، وكان هذا الميناء الجديد الذى أطلق عليه هيراكليون يقوم بنفس كفاءة الميناء القديم فى ثونيس، ويرى على باشا مبارك فى كتابه الخطط التوفيقية أن موقعه كان عند منطقة عرفت بالكوم الأحمر على بعد كيلو مترين من مصب أو فم بحيرة أبى قير التى ردمت الآن، على أن هناك رأيًا آخر يحدد موقعها فوق المرتفعات التى تقوم عليها طابية كوسة باشا مخفر السواحل ومقابر أبى قير على قرب من قلعة البرج[7].

---

(1) Yoyotte, 1958 .

(2) Strabo, Geogrphy, XVII. 1. 16 .

(3) Sethe, urk. II, 144.4 .

(4) Yoyotte, 1997.

.(5) Paolo Gallo, op. P. 131

(6) Calerini 1935, II, P.215 - 216.

(٧) إبراهيم نصحى، تاريخ مصر القديمة وآثارها فى العصر اليونانى الرومانى، المجلد الأول، الجزء الثانى الموسوعة المصرية، ص ٥٨ .

تلك كانت مدينة هيراكليون، الميناء على البحر المتوسط، إحدى مدينتين تحملان اسم الإله هرقل، فمن هرقل صاحب هذا المعبد؟ يقول هيرودوت: "سمعت رواية عن هرقل تقول إنه أحد الآلهة الاثنى عشر، ولكنى لم أستطع أن أعرف شيئًا فى أى مكان من مصر عن هرقل الآخر الذى يعرفه اليونانيون، هو أعظم وأشهر الأبطال الأسطوريين فى الميثولوجيا الإغريقية(*)، والوحيد الذى تمت عبادته كبطل عظيم وكإله فى الوقت نفسه. ولدى براهين كثيرة على أن المصريين لم يأخذوا عن اليونانيين اسم هرقل؛ بل أخذته عن المصريين تلك الطائفة من اليونانيين التى تطلق اسم هرقل على ابن إمفيتريون، وإنى أخص بالذكر منها هذا البرهان، وهو أن "إمفيتريون" و "ألكمينا" أبوى هرقل هذا، كان كلاهما مصرى المولد. ويقول المصريون إنهم لا يعرفون اسم "بوسيدون" ولا "ديوسقورى"(**)، وإن هذين لم يعترف بهما إلهين بين سائر الآلهة عندهم، فلو أنهم كانوا قد أخذوا عن اليونانيين اسم أى إله لا حتفظوا بذكر هذين قبل سواهما. ولقد كان المصريون حتى فى ذلك العصر يمارسون الملاحة كما أعتقد وكما يهدينى الفكر، فكان الأولى بالمصريين أن يعرفوا اسمى هذين الإلهين لا اسم هرقل. لا، إن هرقل إله قديم جدًا عند المصريين، فإنهم كما يقولون أنفسهم يعتبرون هرقل واحدًا من الآلهة الاثنى عشر التى نشأت عن الآلهة الثمانية قبل حكم إمازيس بسبع عشرة ألف سنة"(1).

(*) كان هرقل نصف إله أو بطل مؤله.

(**) الكلمة تعنى فى اليونانية ابنى "زيوس" وهما "كاستور" و"بوللوكس".

(1) وهيب كامل: سبق ذكره.

(اضمحلال المنطقة الكانوبية (كانوبوس - هيراكليون - مينوتس):

عندما أنشئت الإسكندرية ربما كانت تلك نهاية لمنطقة كانوبوس كمدينة تجارية قديمة على الفرع الكانوبى، لكن الحقيقة أيضًا أن ازدهار المدينة الحقيقى والتكوين الكامل لها، والذى كان سببًا فى أهميتها من ناحية أخرى، ذلك أنها أصبحت بعد إنشاء الإسكندرية ضاحية من ضواحى هذه العاصمة الكبيرة لمصر إبان العصر البطلمى[1]. أما عن كيفية انتقال هذه الأهمية التجارية من منطقة كانوبوس وموانيها تونيس وهيراكليون[2] إلى الإسكندرية، فقد تم بعد أن تحرك الإسكندر الأكبر إلى الشرق، وترك فى مصر بانى الإسكندرية وحاكمها "كليومينس من نقراتيس"، تركه مع جامعى الضرائب، حيث فى نهاية القرن الرابع ق.م، بدأ هؤلاء يثقلون كاهل البلد، فقد ذهب إلى كانوبوس وأصدر أمرًا بأن ينقل سوق المدينة الصغيرة من المحال التجارية، وأن ينقل أصحاب الأعمال أعمالهم إلى فاروس، وأعلم الكهنة والتجار والأغنياء أنه جاء ليخرجهم، ولكى يبقوا مع أسواقهم فى كانوبوس فقد جمعوا من بعضهم بعضًا كمية من المال وأعطوها له فقبلها، لكنه بعد ذلك بوقت قصير، وعندما بدأ يستعد للإنشاء الجديد رجع إليهم وسألهم عن فدية ضخمة، كانت هى الثمن الذى قدره لاختيارهم للأسواق بين كانوبوس والإسكندرية، وعندما لم يستجيبوا لطلبه هذا نقلهم جميعًا إلى الإسكندرية[3].

هكذا ضعفت الحياة التجارية فى كانوبوس، لكنها على أية حال لم تكن كذلك تمامًا بالنسبة إلى مدينة نقراتيس التى استمرت فى الازدهار إلى وقت طويل

---

(1) Pseudo - cllisthenes, 1,31.

(2) Paolo Gallo, op. P. 131.

(3) Pseudo - Aristotte, Acconomica, II, 33C.

بعد ذلك، وأصبحت - كما ذكرنا - منطقة كانوبوس بمعبدها الشهير واحتفالاتها وميزاتها لراغبى التمتع مقصداً رائعًا استمر طوال الحقبة اليونانية حتى دخول المسيحية.

عندما انتهى الحكم اليونانى فى مصر بكليوباترا السابعة عام ٣٠ ق.م. بدأ الأباطرة الرومان والذين أصبحوا السادة فى العصر الرومانى ينظرون إلى مصر على أنها ولاية غنية(*)، بل أيضًا نظروا إليها على أنها بلد المعتقدات الخرافية، والتى تسمح أحيانًا بالعصيان(١).

كانوبوس على وجه الخصوص كانت مدينة ذات سمعة سيئة عند الرومان، وخاصة أنهم أطلقوا عبارات فى وصف كليوباترا مثل "الحقيرة المسماة كليوباترا"، و "الملكة الداعرة لكانوبوس الفاجرة"(٢).

أغسطس خطب فى جنوده قبل معركة أكتيوم قائلاً إن أنطونيوس "عضو الحكومة الثلاثية" قد فقد كل صلاحياته كمواطن رومانى، وأصبح "لاعب صاجات فى كانوبوس". تحدث جيوفنال فى بعض الأقوال فذكر: "أليس هو رجلاً رديئًا الذى هرب كعبد من كانوبوس"، ثم تحدث عن "النبيلة الرومانية التى تبعت اللاعب "إلى فاروس، إلى النيل، إلى مدينة لاجوس الرديئة، حيث أعماق البشاعة. كذلك أحد الرومان أتى إلى مصر فى وقت متأخر وتكلم عن المدينة المصرية فقال: "كما رأيت أنا بنفسى خلاعة هذا البلد مثلما المدينة الرديئة

(*) كانت مصر تابعة للإمبراطور مباشرة لأهميتها كسوق احتكارية للقمح الذى كان يغذى العالم القديم كله. وطبقًا لما كان متبعًا فى روما بأن الحاكم الذى يحدث فى عصره مجاعة لا يبقى فى الحكم أما الذى لا تحدث فى عهده مجاعه فيبقى فى الحكم، هذا إلى جانب موقع مصر الاستراتيجى.

(1) Tacitus, Histories, 1. 1 1.

(2) Father j. Faivre, op. cit p. 21.

كانوبوس". كما جاء أيضًا فى وصف سيليوس إيتاليكوس قد أشار إلى خلاعة كانوبوس. وكتب سينيكا إلى صديقة لوتشيلوس أن الرجل العاقل فى اختياره للعزلة أو المأوى يجب أن يتجنب كانوبوس[١]، والزائرون ذوو التميز يعتبرون قليلين. الامبراطور أغسطس منع الخاصة الرومانية من زيارة مصر إلا بعد إذن إمبراطورى منه. جرمانيكوس أراد أن يزور آثار مصر محتسبًا أنه يمكن أن يسقط هذه العادة الرسمية، فبعد رسوه فى كانوبوس ليركب النيل علم أن رحلته أثارت غضب تيبريوس والذى كان يسهل إثارته[٢]. لكنه زار بالفعل مصر ضاربًا بقرار أغسطس عرض الحائط، وبعد زيارته وعلمه بمعرفة الإمبراطور تيبريوس رحل إلى سوريا وفيها لقى حتفه.

لقد كان اسم كانوبوس مألوفًا جدًا للكتاب اللاتين حتى إنهم أحيانًا كانوا يستخدمونه علامة على كل مصر، حيث كتب "فرجيل الشاعر اليونانى" عن سكان كانوبوس "السعداء" كناية عن مصر كلها، والتى أصبحت مقدونية عندما غزاها الإسكندر الأكبر[٣].

لقد زار الإمبراطور هادريان مصر فى القرن الثانى الميلادى وترك فى مذاكرته عن ركن مصرى فى وادٍ صغير أسماه كانوبوس، وقد بنى هادريان ضاحية فى محيط قصره بروما مطابقة تمامًا لكانوب لإعجابه بها. عندما وصل التبشير بالمسيحية إلى الإسكندرية، فالاحتمال أنه انتقل سريعًا إلى الأماكن المجاورة، خاصة كانوبوس، لكن حتى قبل بدايات القرن الرابع الميلادى فإن جذور هذا الدين الجديد كانت ما زالت ضعيفة.

(1) Propertius, Elegies, 111, XI, 39, Lucan, Pharsalia, VIII, 543, x, 64,Ovid Metamorphoses, XV, 828, Dio cassius, Roman history, L,27, Juvenal, Satires, 26.

(2) Tacitus, Annals, II,60

(3) Virgil, Georgies, IV, 287.

من بداية القرن الرابع الميلادى، وفى السنة التاسعة لحكم دقلديانوس فى سنة ٣١٢ ميلادية، شهدت كانوبوس مجد استشهاد القديس قير، والقديس يوحنا وأصحابهم.

كان (قير)، وهو من الإسكندرية، معروفًا بالطيبة، وكان يزاول مهنة الطب، وكان يعطى علمه مجانًا للفقراء، لكنه أعطى الاهتمام الأكبر للناحية الروحية وليس الناحية الجسدية، فكان مبشرًا متحمسًا للديانة المسيحية، وكان بسبب حميته هذه أن وشى به عند سريانوس فهدد بالسجن، فما كان إلا أن خرج إلى الصحراء ناحية (العربية)(*) وفى الطريق كان هناك جنود من مدينة إديسيا (Edesia) فى طريق حجهم إلى القدس فلاقوه وعاشوا معًا يتقاسمون عيشة التقشف القاسية.

وقد علموا فى أثناء ذلك أن الأم المسيحية (إثاسيا) قد سجنت فى كانوبوس مع ثلاث من بناتها هن (ثيوتيست)، و(ثيودوت)، و(إيودوكسيا)، والبالغات من العمر ١٥ سنة، ١٣ سنة، ١١سنة، فشعروا بالخوف على ضعف هذه المرأة خاصة مع صغر سن بناتها، فترك هؤلاء الناسكون البرية ودخلوا السجن الذى به هذه المرأة ليشجعوها على المقاومة والتحمل فقبض عليهم وسيقوا بواسطة الرئيس سريانوس وهددوا وسجنوا كما الأم وبناتها، وأخيرًا قطعت رءوس هؤلاء الستة من المسيحيين فى ٣١ يناير[1]، وتجمع المسيحيون وغنوا للنصر وحملوهم لكنيسة سان مارك، ودفنوا (قير)، (يوحنا) فى كفن واحد، والأم وبناتها فى كفن آخر.

(*) الصحراء الغربية وليبيا كان يطلق عليهما العربية فى ذلك الزمان.

(1) Father j. Faivre, op. cit p. 25.

بعد ذلك بقرن من الزمان تقريبًا نقل رفات القديسين فى احتفال مهيب إلى قرية قريبة من كانوبوس ليصبحوا حراس الإيمان فى البقعة التى شهدت إيمانهم ودماءهم[1].

فى القرن الرابع الميلادى أصبح عدد الرهبان كبيرًا فى الشرق، خاصة فى مصر، حيث منشأ الرهبنة. معظم هؤلاء يسكنون الصحراء، لكن بعضهم الآخر خطط للعيش منعزلاً فى المدن.

كان كما للإسكندرية رهبانها، كان لكانوبوس أيضًا، فهذا أمونيوس المبجل الذى كرس حياته للهدوء والسلام. هذا القديس عانى الاضطهاد الذى حدث من الأريين[*] فى الإسكندرية فى سنة ٣٧٣، بعد موت القديس إثناسيوس، حتى إنه رحل من كانوبوس قاصدًا الأرض المقدسة، ومن ثم إلى حجرة فى دير فى منف.

لكن فترة الرهبنة لكانوبوس بدأت مع تدمير السيرابيوم عام ٣٨٩ ميلاديًا بواسطة البطرك ثيوفيلوس، لكن هذا لا يعنى انتهاء العقيدة الوثنية تمامًا؛ فقد كان لها أتباع لا يستهان بقوتهم، وكانت نقطة الالتقاء عندهم، وما يعرف بلم الشمل، هو الإله العظيم سرابيس.

---

(1) Ibid. . P. 25.

(*) الأريون هم أتباع القديس أريوس الذي قال باختلاف طبيعة المسيح الابن عن الأب، وهو كاهن الإسكندرية.

لقد قاوموا المسيحيين ولم يتركوا لهم فرصة عندما كانوا هم الحزب الأقوى، وكانوا فى غاية العنف والقسوة تجاههم[1]. لقد احتفظت كانوبوس فى ظل المسيحية بمركز ضخم للوثنية وذلك تحت مظهر تعليم العلوم الكهنوتية فازدهرت مدرسة للسحر هناك، إذ يقول رافينوس Rafinus إن الوثنيين قدسوا هذه المدينة كمكان ميلاد لقوتهم الروحية أو روحهم الحارسة، ولهذا السبب كانت تبجل كانوبوس حتى عن الإسكندرية[٢].

إذن كان لكانوبوس أيضًا السيرابيوم الخاص بها، وهى أيضًا امتلكت رجلاً حكيمًا شهيرًا يسمى أنتونينوس Antoninus، فهو ابن الخطيب الشعبى والراوى، وقد تعلم فى برجامه Pergamus على يد الفيلسوف الذى ينتمى إليه فى الوقت نفسه إديسيوس Edesius. بعد موت أبيه وأمه قدم إلى مصر، وبعد إقامة قصيرة بالإسكندرية انتقل إلى كانوبوس، وقد قيل فى هذا الصدد "بكل الإقدام والتقدير لمصب النيل الكانوبى، كتب الوثنى إيونابيوس Eunapius بكل تحمس أنه كرس حياته للأرباب المحليين ولعباده أسرارهم الإلهية،... لقد اجتذب نحوه بواسطة طريق البحر كل هؤلاء الذين أتوا كتلاميذ للإسكندرية. لقد جلب معبد السرابيوم شهرة كبيرة للإسكندرية. كذلك هناك عدد كبير أسرع يقدم البيعة له، وبعد تقديم الإجلال للإله يتجه الحشد إلى أنتونينوس Antoninus، بعضهم بالطريق البرى، والآخرون عن طريق النهر يتحركون باتجاه هذا الغرض المهم. الشباب متشوقون إلى خلاص الروح، يتوقون إلى استطلاع الأسرار الفلسفية المرتبطة به والمعبد (يقصد السرابيوم) الذى يعج بالشباب المشغول بالطقوس المقدسة.

---

(1) Father j. Faivre, op. cit p. 25.

(2) Rufinus, Ecclesiastical history, II, 26.

وقد كان كثيرًا ما يقول لمريديه إن بعد رحيله لن يكون هناك معبد، وإن قدس أقداس سرابيس العظيم سوف يصبح بقايا ليست ذات معنى، فقط بقايا وآثار قد نسيها الجميع(١).

لقد كانت نبوءته حقيقية حيث إنه فى التراث القديم للكنيسة ما يقول إن البطريرك ثيوفيلوس Theophilus فتح المدينة بكامل مبانيها، وأسقط معبد سرابيس فى كانوبوس سنة ٣٨٩ ميلادية، وأقام بدلاً منها كنيسة على شرف الحواريين كانت علامة ليس فقط على عظمة بنائها؛ بل على اتساعها غير العادى(٢).

وهنا فإن المؤرخ إيونابيوس Eunapius يصب جام غضبه على الجنود الذين - كما يقول - كانوا مخلصين فى هدم أحجار المعبد، والذين حملوا كل شىء عدا الأساسات(٣).

كانت كانوبوس ما زالت ذات شهرة حتى برغم انحسار الوثنية، وهى مقولة قالها أحد المؤرخين القدامى(٤)، وذلك "طريقها الصاعد المدهش الذى يؤدى إليها، والذى كانت أرضيته من الحجر المربع المرصوص بعناية بجانب بعضه، وقد ازدهرت ازدهارًا رائعًا بحماماتها العامة (التى أحصيت بـ ٢٤ حمامًا فى ذلك الوقت)(٥)" وكذلك أسواقها العامة التى كانت مملوءة بالبضائع. لقد أسس البطرك ديرًا، حيث دعا فى البداية رهبانًا من أورشليم لكن هؤلاء الوافدين

(1) Eunapius, life of Edesius.

(٢) أ. م. فورستر سبق ذكره، ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

(3) Father j. Faivre, op. cit p. 26.

(4) Zoega, catalogue of the coptic manuscripts in the Borgia Museum, P. 265

(5) Father j. Faivre, op. 26.

الجدد قد أجبروا على الانسحاب بسبب القوى الخفية التى كانت تظهر لهم، فانسحبوا بسرعة وتبعوا الرهبان المصريين من أتباع القديس باخوميوس الذى كان بيته الرئيسى فى تابينيسى Tabennisi فى الإقليم الطيبى.

لكن الرهبان عادوا وأعادوا اسم الموقع بحيث يجسد الدلالات الجديدة، فسموه (التوبة)، وقد أتى الرجال إليه من كل الجهات مدفوعين برغبة اتباع حياة التوبة. نجد فى نهاية القرن الرابع الميلادى قديسًا يدعى أرسينوس ظهر فى كانوبوس، وقد احتل مرتبة رفيعة فى بلاط القسطنطينية إبان حكم ثيودوسيوس، ثم اعتزل العالم وأتى كانوبوس فوجد أنها ما زالت مدينة دنيوية فرحل إلى (تروى) بقرب ممفيس، إلا أنه رجع بعد ذلك إلى كانوبوس وعاش بها ثلاث سنوات[١].

عندما انتشرت فى مصر شعائر الطبيعة الواحدة للمسيح فى نحو منتصف القرن الخامس الميلادى، بقى كهنة منطقة كانوبوس محتفظين بعقيدتهم القديمة الرامية إلى كون المسيح ذا طبيعتين. كان بطريرك الإسكندرية ديوسكورس Dioscorus قد أصبح داعيًا متحمسًا للمذهب الجديد، واضطهد بعنف من خالف هذه العقيدة فى الرؤية، حتى إن هناك قسًا يدعى أثناسيوس Athanasius، وهو ابن شقيق القديس (كيرلس) سيريل St. Cyril، حاول أن يهرب من هذا الاضطهاد بأن قصد مكانًا مقدسًا فى كانوبوس، إلا أن محاولته الهروب فشلت، وإنه لمثير للشفقة الاستماع إلى شكواه، حيث قال[٢]: لقد دخلت دير التوبة، وهو اسم المدينة العظيمة الإسكندرية، والذى يستخدم كاسم لكانوب فى التعاليم القديمة. ومنذ أن وجدت فقد كانت ملاذًا لكل لاجىء، إنها تحت

(1) St Theodorus of studium, life of St Arsenius, in Bollandists' Acta Sanctorum 19th July.

(2) Mansi, collection of councils, vol. VI, col. 1025.

رعاية الدير القديمة لتابينيسى tabennisi، وتضمنت داخل حدودها كنيسة مبجلة مفتوحة للعامة حيث تمنينا أن تبقى وتتوحد بقوة مرة ثانية مع أجسادنا التعيسة، ولنجد فيها ملاذًا من أعدائنا".

إن ديوسكورس Dioscorus رجل غير تقى، لقد نسي كل تعاليم المسيح عندما رأى حالتنا البعيدة التعاسة، لقد حرمنا دخول الحمام، لقد منع أى أحد من أن يعطينا خبزًا، أو يبيع لنا، أو يعطينا أى طعام متطلعا إلى موتنا جوعًا[1].

هكذا عرفنا أنه عندما أطاح ثيوفليس Theophilus بالسيرابيوم فى كانوب عام ٣٨٩م وأقام على إثرها كنيسة على شرف الحواريين، أدرك وقتها أن المعقل الأخير المتبقى للوثنية هو قلعة إيزيس فى مينوتس، فعزم على أن يستبدل بهذه القلعة كنيسة على غرار كانوب، لكنها خاصة بالمبشرين الإنجيليين إلا أنه قد وافته المنية قبل أن ينهى مهمته[٢]، فعهد بهذه المهمة إلى ابن أخيه سيريل Cyril الذى خلفه فى عام ٤١٢ فى بطريركية الإسكندرية ليتحول معبد إيزيس فى مينوتس إلى كنيسة، إلا أن سطوة الوثنية كانت لم تزل قوية، حيث ظل كما اعتقد الذين آمنوا هناك «شيطان مصرى فظيع الشكل اسمه مينوتس يسكن وكرًا بالاسم نفسه يظهر في ملابس تنكرية نسوية، يقوم بالتعامل فى أمور مثل العلاج والتنبؤ بالمستقبل. وكان كل الناس يقصدون مذبحة، ليس الوثنيين فحسب بل الكثير من المسيحيين أيضًا، طلبًا للتداوى أو الاستشارة بشأن المستقبل[٣]». كان محزنًا للبطريرك أن يرى المؤمنين يصلون لمعبود أصم حول أمور عادية دنيوية تفسد أرواحهم، وهكذا فقد اشتكى إلى اللّٰه فى صلاته ورأى فى نومه ملكا

(1) Mansi, collection of councils, vol. VI, col. 1025.

(2) Lives of saint Cyr and saint John, towards the end.

(3) St. Sophron, Praises of Saint Cyr and saint John, 24, 25.

يطلب إليه أن يحمل رفات القديس "كير Cyr"، الذى استشهد فى كانوب منذ قرن مضى، وأن يحمله إلى مينوتس، إلى الكنيسة الإنجيلية التبشيرية.

لم يهدأ القديس "Cyril" نفسًا إلا بعد أن نفذ الأمر السماوى، وهرع إلى كاتدرائية القديس مارك (St. Marc)، حيث يرقد الرفات العزيز عليه، ووجد عظام القديس (كير) والقديس "يوحنا" قد امتزجا امتزاجًا حميمًا بحيث تعذر أن يفصلهما، ورأى أنه من الخير ألا يحاول أن يفصل من ظلا متحدين متلازمين فى حياتهما وفى استشهادهما وفى قبريهما، وعزم على أن ينقل رفاتهما معًا إلى مينوتس.

كان نقل الرفات فى اليوم الثامن والعشرين من يونيو وسط احتفال جنائزى[1]. وكان قبل ذلك بيومين قد تحدث القديس "سيرل" مخاطبًا رهبان كانوبوس فى كنيسة الحواريين (معبد سرابيس سابقًا).

ثم بعد خمسة أيام فى أول يوليو تحدث ثانيةً فى الكنيسة نفسها مادحًا الشهيدين، وراويًا قصة العثور عليهما ونقل رفاتهما، وداعيًا الرهبان إلى الاحتفال فى اليوم التالى، ثم تحدث بعد ذلك فى الكنيسة الإنجيلية التبشيرية (معبد إيزيس سابقًا).

فى مينوتس حيث استقر رفات القديسين، وكان فيما قال "إن شهيدينا كمكافأة للحب الذى جمعهما بالمسيح لهما القدرة على هزيمة الشيطان والتخلص من الأرواح الشريرة، والآن فلتترك أنفسهم تلك الروايات والخزعبلات وليأتوا

(1) Father j. Faivre, op. cit p. 36.

إلى الملاذ الآمن والحصن الحق الذى يملك القدرة على المداواة والشفاء بالفعل(١).

وعلية فقد قدر لإيزيس أن تختفى ويدمر تمثالها، وأطيح بمذبحها، وأسقط معبدها وشيئًا فشيئًا أتت عليه الرمال. غير أن العبادة الوثنية لم تمت وإنما صارت تتنفس فى الخفاء، فكانت طقوسها وممارساتها تحاط بسرية تامة، وقد اكتشفت ذلك فى نهاية القرن الخامس فى عهد الإمبراطور زينو. وهنا يقال إن أحد السحرة فى مدينة الإسكندرية أثار ضجة صاخبة وغضب وتذمر، ووجد صدى واسعًا فى مينوتس، لكن ذلك لم يكن سوى دجل فاضح رتبه مع كاهن وكاهنة إيزيس(٢)، فقد كان ضمن طلبة مدينة الإسكندرية طالب وثنى يدعى باراليوس Paralios، وكان فى مينوتس فى أحد الأيام، حيث رأى فيما يرى النائم الإلهة إيزيس، وسمع منها كثيرًا من الكلمات الشريرة، وبحث عن تفسير لرؤياه، ولكنه رغم بحثه الدءوب لم يصل إلى نتيجة، وقد زعزع صمت الوحى الإلهى إيمانه بإيزيس فانفجر يهزأ من التجاوزات التى تمارس فى مينوتس خاصة فيما يتعلق بحياة الشر والعبث التى ترتع فيها الكاهنة، ولذا فقد ضرب هذا الطالب بشدة وهرب ولاذ بالمسيحيين وذهب إلى دير على بعد تسعة أميال غرب الإسكندرية فى إيناتون Enaton حيث يعمل أخ له راهبًا، وحيث يعيش أحد النساك ويدعى ستيفن Stephen، وقد أخبر البطريرك بطرس مونجس بهذه الأحداث وثار سادات المسيحية بالإسكندرية، وخاصة الطلاب، واندلعت ثورة

(1) St Cyril, Discourse held in the church of the Evangelists on the 8th of the month of Epiphil (2 July) when he placed the remains of st Cyr and st John in their church, two miles to the east of canopus.

(القديس سيريل: خطبة ألقيت في الكنيسة الإنجيلية فى الثامن من شهر إبيفى "٢ يوليو" عندما وضع رفات القديس كير والقديس يوحنا فى الكنيسة التى تبعد عن كانوب بنحو ٢ ميل إلى الشرق).

(2) Sophron, Praises of St. Cyr and st. John, 29 , miracles No 66.

الوثنيين، ووعد بارليوس بأن يكشف الضريح السرى لإيزيس، وحشد العسكر للبحث عنه، واستدعى رهبان تابنيسى Tabennisi الذين يعيشون فى الدير بكانوب للمعاونة على اقتلاع جذور أرباب الوثنية، وجُهِّزَت الحملة، وبعد تلاوة الصلوات المناسبة بدأ السير إلى مينوتس حتى الوصول إلى منزل كان مغطى تمامًا بالنقوش الوثنية. وفى زاوية منه كان قد بُنِىَ جدار مزدوج حيث خبئت خلفه المعبودات الوثنية، وكان له مدخل ضيق يشبه النافذة حيث يدخل منه الكاهن ليضحى بالقرابين، ولما عرف الوثنيون بأمر الثورة التى صارت فى المدينة أرادوا عرقلة هذا البحث كما يروى طالب مسيحى شهدها، فقاموا تساعدهم الكاهنة التى تعيش بالمنزل بإغلاق المدخل بالحجارة والجير. وحتى لا تتكشف الخدعة وتظهر الحجارة الحديثة الصنع وضعوا أمامها قطعة أثاث ملئوها بخور القرابين وفطائرها، وعلقوا فوقها مصباحًا مضيئًا رغم كوننا فى وضح النهار. وحار باراليوس بشأن هذه الخدعة لكنه اكتشفها فى النهاية، ودمر المسيحيون كل المعبودات التى وجدت، والتى يقال إنها نقلت من معبد إيزيس وأحرقت ودمرت كلها فى مينوتس، ونقلت البقية إلى الإسكندرية، فكانت هذه هى الضربة القاضية للمعبد فى مينوتس والوثنية كذلك.

ازدهرت المسيحية فى القرن السابع الميلادى، لكن بالنسبة إلى القديس (كير) (ويوحنا) فلم يرد ذكر لهما على مدار مائتى عام، ثم عاود التاريخ ذكرهما حين جاء أحد الناسكين السوريين واسمه سوفرون Sophron إلى الإسكندرية ومرض بالرمد، وعجز أشهر الأطباء عن شفائه ففكر فى معجزات القديسيين (كير) و(يوحنا) فزار قبرهما وشفى، واعترافا منه بجميلهما أخذ ينشر معجزاتهما، وهناك عملان كانا مثار دراسة دقيقة: مدائح القديسيين ومعجزاتهما وهى كتابات نثرية، وحركات الحج الشهيرة إلى مينوتس فى أوائل القرن السابع، وكان الإعجاب شديدًا بالكنيسة الانجليليه التبشيرية والتى سرعان ما عرفت باسم

القديس (كيـر) والقديس (يوحنا)، والحقيقة فإن كثيرًا من مداواتهما كان مطابقًا تمامًا لتلك التى كانت تتم فى معبد سرابيس[1]. وروى سفرون[2] أنها كانت مبنية قرب شاطىء البحر على أرض منخفضة غير مستقرة بين كثبان الرمال والأمواج وهى تحت رحمة كليهما، فمن الشرق تضربها الأمواج الغاضبة والرمال الطاغية، ومن الغرب يتعدى شاطىء الرمال خلسة على الأمواج. وكان المبنى فخمًا شامخًا يبدو وكأنه يرتفع إلى عنان السماء وكان يبدو أو يظهر واضحًا لهؤلاء المبحرين إلى الإسكندرية أو الراحلين عن مرساها، وكانت من الخارج محاطة بسور له ممشى يفتح على البحر، ومن الداخل كان بها نفس تجهيزات الكنائس، أى المذبح لتقديم القرابين، والمائدة المقدسة حيث يتناول الربانيون العشاء الربانى، والقاعة الصغيرة وبيت المعمودية، إلى آخره، وكان زوار الكنيسة وحجاجها معظمهم من المرضى الذين يشكون أنواعًا مختلفة من الأمراض، وكانوا يأتون حشودًا من جميع أنحاء الأرض من الإسكندرية ومصر وليبيا أو بلاد أجنبية كالرومان أو الفينيقيين والسوريين وأهل القسطنطينية وأثيوبيا، وكان بعضهم يقيم فى مدخل الكنيسة، ولكنهم فى معظم الأحيان يدخلون الكنيسة وينامون على سرير أو فراش على الأرض ويصلون ويصلى معهم الوقوف بالكنيسة، وفى بعض الاحيان كان الناس يحتشدون حولها لمشاهدة المعجزات، وكان التعبير الأساسى عن الإيمان والتعبد هو النوم فى الكنيسة وانتظار ظهور القديسين.

لكن الأيام السيئة باتت قريبة من هذه المنشآت العظيمة، فقد أغار الفرس فى هجمة عنيفة وقاسية اجتاحت معها المدن المصرية، وانتهى أمر الكنيسة إلى حال سيئة؛ أنه كى يتسنى لهم فتح الإسكندرية ساروا غربًا مدمرين تلك الأديار

---

(١) أ. م فورستر، الإسكندرية تاريخ ودليل، سبق ذكره، ص ٢٢٨ .

(2) Sophron, Op. cit, P.29

التى قابلوها حسب مؤرخ البطريركية، لكن كنيسة كانوب وضريح القديسين (كير) و (يوحنا) بقيا دون تدمير[1]، وبعد عشر سنوات من الاحتلال الفارسى، وفى عام ٦٤٠م تقدم العرب فاتحين مصر ليصبحوا هم الحكام الجدد لها، ونُقِلَ رفات القديسين كير ويوحنا فى تاريخ غير معروف إلى القسطنطينية، ثم إلى روما بعد القرن التاسع الميلادى، أما الكنيسة فقد اختفت تمامًا وتبعثرت حجارتها وصارت ركامًا، وقد يكون بعضها لا يزال مدفونًا تحت الرمال[2]. إنه الحدث نفسه الذى تم فى عصر مضى عندما تهدم معبد إيزيس فى المكان نفسه بضاحية مينوتس.

(1) Severus of Ashmounein, History of the patriarchs of Alexandria edited by B. Evetts, in the oriental patrology, Vol. I, Pamphet 4, P. 485 (291) and 487 (223).

(2) Father j. Faivre, op. cit p. 52.

الفصل الثالث

الاكتشافات التى تمت للآثار الغارقة فى خليج أبى قير:

- بداية الكشوفات الأثرية للمنطقة (كانوبوس - مينوتس - هيراكليون):

مما يؤسف عليه أن منطقة أبى قير الأثرية العظيمة ذات التاريخ الحافل لم تلق ما يليق بتاريخها من التنقيب الأثرى العلمى المتخصص أو النشر العلمى المكثف، وقد يرجع ذلك إلى أن كثيرًا من الكشوف كان قد قام بها ملاك الأرض أنفسهم أو جماعات الهواة المستثيرين، وعشاق التاريخ القومى من غير ذوى العلم الواسع، حيث إنهم قد اهتموا باكتشاف الأشياء المتفردة أكثر من اهتمامهم بالتوصل إلى فهم عام وإدراك كلى للموقع الأثرى ككل[1].

لقد تعرضنا فى الفصل الأول للظواهر الطبيعية وحركات البحر واليابس وأثر هذه الظواهر فى سواحل مصر، والتى أدت إلى التغيرات التى حدثت فى السواحل المصرية وفروع النيل، خاصة منطقة كانوب والفرع الكانوبى والإسكندرية، وهو ما يخص هذه الدراسة.

لقد بدأت هذه الكشوفات أو الاهتمام بها فى القرن التاسع عشر، فقد تم العمل فى المجسات بواسطة مسيو (لاروس) المهندس فى شركة القناة فى عام ١٨٥٩ بأمر من نائب الملك سعيد باشا[2].

---

(1) Paolo Gallo, the peninsula and the Island of canopus, a history of water and sand, one hundred years in Egypt, Istituto Italiano di culture delcario, P. 132.

(2) Mahmoud bay El Falaki, Memoire sur l' antique Alexandrie, P. 132.

لقد كانت المفاجأة، فالفرع الكانوبى القديم الذى يأتى حتى قلعة الحمرا على طريق رشيد إلى قرب جزيرة أبى قير قد امتد أيضًا نحو ٨ كم فى خليج أبى قير[1].

لقد ذكر الرحالة بلين فى القرن الأول الميلادى أن هناك "جزرًا فى مواجهة آسيا، الأولى فى الفم الكانوبى للنيل تسمى (كانوبوس)، والثانية فاروس على مسافة من الإسكندرية"[2].

كذلك عام ١٨٩١ بدأت عمليات التنقيب الأكاديمية على يد دانيونس Daninos، وكان على علاقة بقوم من البرجوازيين السكندريين، وكان يمتلك فيلا بالقرب من قرية أبى قير صارت فيما بعد فندق كانوب[3]، وبعد أن أذنت له مصلحة الآثار ركز جهودة على الموقع الأثرى بالقرب من قلعة توفيق على الشاطىء الغربى لشبة جزيرة أبى قير، وهنا يمكن رؤية عدد كبير من الأعمدة والتماثيل الجرانيتية الفخمة فى الرمال وبقايا الحجارة والحطام والأنقاض الأخرى، ثم عام ١٨٩٢ عين جوسبى بوتى Guiseppe Botti أول مدير لمتحف الإسكندرية، والذى كان حديث الإنشاء، وقد كان على معرفة بأهمية موقع قلعة توفيق، وقد طالب بدراسة آثار أبى قير، وسمح له فعلاً بهذا، وفيما بين عامى ١٨٩٢ - ١٨٩٣ استخرج دانينوس وبوتى إلى النور بقايا مبنى يحتمل أن يكون قلعة من العصر اليونانى الرومانى أرضيتها مكسوة بالرخام الأبيض، مثل كثير من قلاع الإسكندرية، وكان زاخرًا بالتماثيل الفرعونية الكبيرة، والتى ربما قد جُلبت إليها من قرى الدلتا ومصر العليا فى أثناء العصر الرومانى[4].

---

(1) Prince Omar Toussoun, Ies ruines sous - marines de la Baie d'Aboukir, conference a la soiciété Royale d' archeologie 1934.

(2) Mahmoud bay El Falaki, op. cit, P. 79.

(3) Prince omar toussoun, les ruines sous - marines - op. cit.

(4) Paolo Gollo, op - cit, P. 132.

ظلت أعمال التنقيب المتقطع تتم فى ذلك الوقت حتى عام ١٨٩٥ م. ومن المؤسف أن بوتى ترك مهمة نشر الاكتشافات لدانينوس، وبعد كل ذلك العمل الدءوب حول قلعة توفيق لم ينشر سوى مقال[١] موجز من أربع صفحات لا يحمل أية تفاصيل أو شروح، وبهذا كان من الطبيعى وجود صعوبات فى تقدير الطبيعة الأثرية المتكاملة للاكتشافات ووقائعها، وظلت المبانى الأثرية الكبرى فى الجانب الغربى من شبة الجزيرة تستغل كمحاجر حتى القرن العشرين، مما أعاق الفهم للشكل الأصلى للمبانى وتخطيطاتها، وبقيت الرسوم الجدارية مجرد انطباعات سلبية عن المبانى.

حاول (بوتى) Botti أن يحسن من وضع وظروف موقع قلعة توفيق الأثرى وهنا فقد عمل على إعادة الآثار الكبيرة ونصبها على قواعدها، ولكنه سرعان ما أدرك أن جهوده لا فائدة من ورائها، ولا طائل وعزم على نقل تماثيل أبى قير العديدة إلى متحف الإسكندرية، وهناك أهملت التماثيل، بل كانت عرضة للاختفاء فى غياب الحراسة والأمن[٢].

بعد وفاة "بوتى" فإنه لم تتم بعد ذلك حفائر منتظمة فى منطقة أبى قير حتى عام ١٩١٥، هذا العام الذى تولى فيه "إفرستو برتشيا" Evaristo Breccia عمله مديرًا للمتحف اليونانى الرومانى، حيث استطاع أن يحول جزءًا من ميزانية المتحف لخدمة هذا المشروع الجديد، وجدير بالذكر أن برتشيا كان قد تنبأ بإمكانات هذه المنطقة الأثرية فى الجذب السياحى[٣]، فكتب يقول: إن الإسكندرية الحديثة ليست ثرية بعدد متنزهاتها وأماكن اللهو والمرح فى أماكنها

(1) Paolo Gollo, op - cit, P. 133

(2) Ibid.

(3) Ibid, P. 133.

الريفية فحسب، والحقيقة تقتضى منا أن نعيد إلى أبى قير ازدهارها القديم، وعلينا أن نعبد أو نمهد الطرق الجميلة والصالحة للارتقاء إليها تمهيدًا جيدًا، وأن نوجد التسهيلات اللازمة للتنزة، والذى يشمل زيارة جزيرة نلسون، وهكذا نضيف إلى المدينة أماكن جديدة للاستمتاع بها(١). وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن ضاحية اليوسيس كانت مقصدًا للمتعة، إذ يقول سترابو(٢) "إذا خرج الإنسان (من الإسكندرية) عن طريق الباب الكانوبى فإنه يجد إلى يمينه الترعة التى تتجه نحو كانوب على حافة البحيرة، ويذهب الإنسان مع هذه الترعة إلى شيديا، متبعًا الفرع الذى يمضى ليتصل بالنهر الكبير وإلى نفس شاطىء الترعة الكانوبية، وهى تشمل أماكن لهو ومتعة ومساكن فى موقع بديع، يؤمها أولئك الذين يبحثون عن المتعة من الرجال والنساء، وهناك يبدأ بشكل ما نوع من حياة الانحلال التى يحياها القوم فى كانوب".

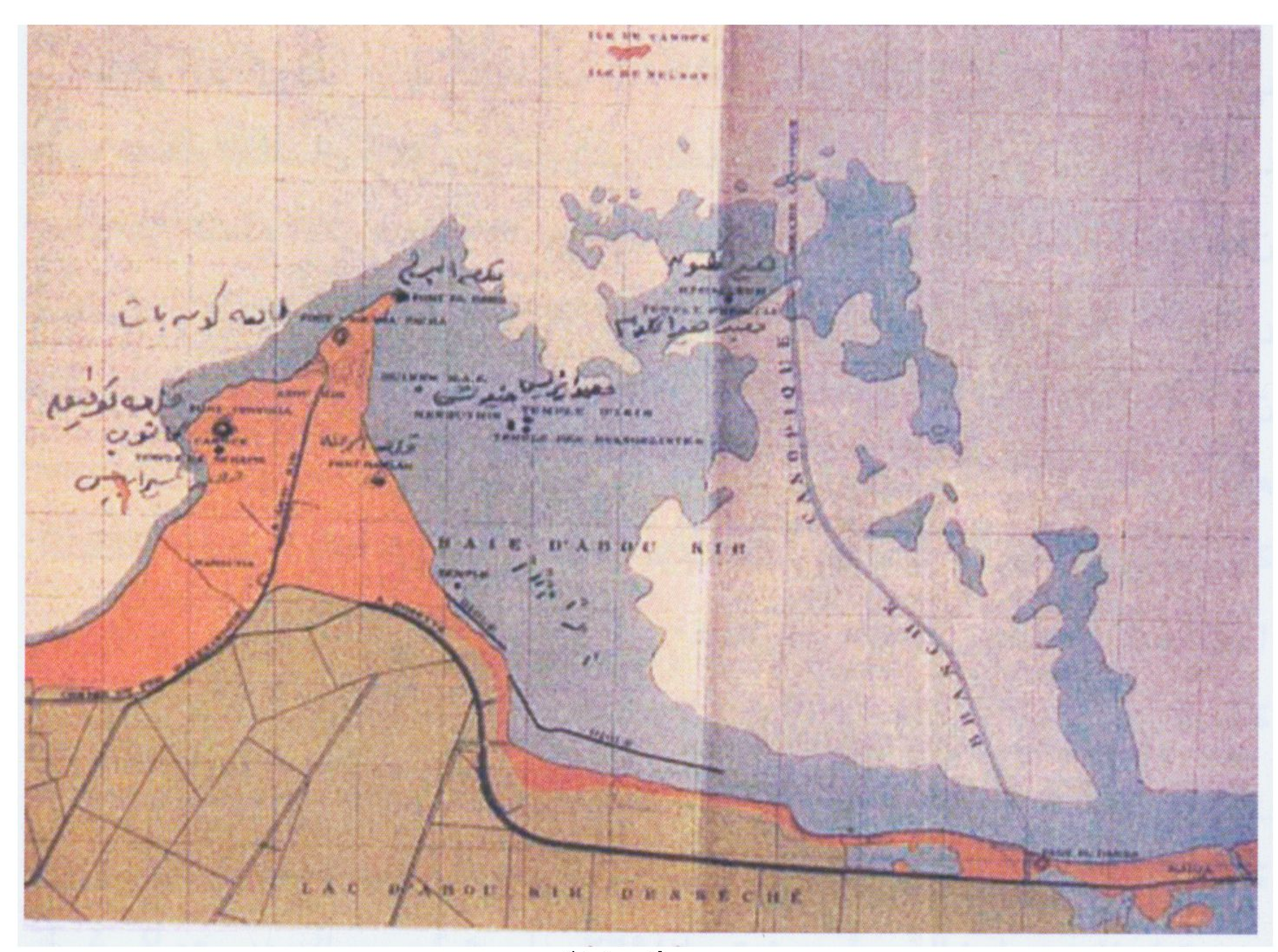
أيضًا مع استمرار أعمال برتشيا الأثرية بين عامى ١٩١٦، ١٩١٧ قام "دانينوس" بحملة جديدة شرقى شبه الجزيرة (قلعة الرملة) **(لوحة ٤)** فى منطقة لم تفحص أو يبحث فيها من قبل. لم تكن نتائج السنوات الأولى من عمليات التنقيب هذه مشجعة "لبرتشيا"، خاصة فى عدم وجود منشورات علمية تتناول أبحاث وحفائر الماضى حيث لم تنشر أو لم يكن هناك تخطيط للموقع فى قلعة توفيق فى المذكرات التى تركها "بوتى" عن حفائره، كذلك لم تكن هناك توضيحات أو رسوم فى التقارير المتواضعة التى كتبها "دانينوس" عن عمليات البحث المهمة التى أجريت بين عامى ١٨٩١ و ١٨٩٥، حتى إن دانينوس لم ينشر نتائج حملته الأحدث بالقرب من قلعة الرملة(٣).

---

(1) Bricca, 1915, P. 4.5

(2) Strabo, XVII, 1, 10.

(3) Paolo Gollo, op - cit, P. 133



(لوحة ٤)

نجد أنه فى هذا التوقيت نفسه قام الأمير عمر طوسون، والذى كان ينسب إليه معظم الأعمال التنقيبية فى شبه الجزيرة وقد تحدث عن كيفية اكتشاف عدد من القطع الأثرية فى الخليج بقوله "إن فريق الكابتن كول CULL كومندان مجموعة R. A. F. فى أبى قير، قد أعلمنى أنه فى أثناء التحليق فوق خليج أبى قير يمكن رؤية بعض الأشياء التى تشبه حدوة الحصان تحت الماء، فاستعلمت من صيادى القرية ما إذا كانت لديهم معرفة بوجود بقايا آثار قديمة فى هذه المنطقة، فأجابوا بأنه فى بعض النقاط توجد بعض البقايا الأثرية تغطى مساحة 1/2 فدان، وتحتوى على نحو من ٣٠ إلى ٤٠ عمودًا، وأنه على بعد ٢٠٠م من هذا إلى قرب الشاطىء على امتداد آخر يمتد إلى فدانين توجد أساسات لمبانٍ قديمة مع بعض الأعمدة. الموقع الأول حدد بواسطة مهندسينا على مسافة ١٨٠٠ متر فى الخليج فى شرق قلعة الرملة حيث خزان الماء الخاص بمعسكر مجموعة R. A. F وفى يوم الجمعة ٥ مايو ١٩٣٣ استعنت بأحد الغواصين الموثوق بهم وأعددت المكان السالف الذكر، وبمرافقة كل من بروفسور برتشيا Briccia، ومسيو أندريانى Andriani، وكذلك د. بوى هوبيرت Puy - Haubert بعد تعيين العمق والتأكد من العمق، وهو أنها على عمق نحو خمسة أمتار، بدأ الغطاسون فى العمل مظهرين مهارة لا يمكن إنكارها فى إيجاد مجموعة أعمدة من الرخام على الأرجح أنه جرانييت أحمر. من وقت إلى آخر قاموا باستخراج بقايا أو أنقاض للسطح مثل رأس تمثال من الرخام الأبيض على ما يبدو كان فى معبد وقد تم تنظيفه، وفى هذا الصدد قد أوضح البروفسور برتشيا مع دهشتنا بأنه يرجح أن يكون الرأس للإسكندر الأكبر، الأمر الذى يثير الدهشه. يبلغ ارتفاع رأس التمثال نحو قدم، مما يوضح أن التمثال كان أكبر من الحجم الطبيعى للإنسان، وأن وضعه كان مستندًا إلى جدار، وهى من السمات الأساسية للفن الفرعونى، وعلى الرغم من اكتشافات بقايا أثرية أخرى إلا أن الرياح وارتفاع

الأمواج حالا دون اكتشاف مزيد من هذه البقايا الأثرية نظرًا لضعف الرؤية[1]، ويجب أن أضيف بأنه بداية قد كنت تحت تأثير اكتشاف هذه البقايا الأثرية التى عينها جروب كابتن (كول) والتى ذكرتها، وهى أنها لمعبد وأن الرأس للإسكندر، لكن عندما تفضلوا بتصوير الموقع المكتشف وحصلت على صورة منه، لاحظت أنه مختلف تمامًا، وأنه أقرب إلى الشاطئ منه إلى المعبد، حيث إنه على بعد نحو ٤٥٠ م من الأرض، والآخر يقع على بعد ١٨٠٠ متر، وفى هذه الحالة الأخيرة، فقد عملت مع مهندسىّ عدة استكشافات بالخليج أسفرت عن اكتشاف آثار أخرى كالتالى:

١- معبد وجد على مسافة ٢٤٠ مترًا من الشاطئ فى مواجهة رأس أو سد أو حاجز أبى قير، ويبدو أيضًا وجود مجموعات من الأعمدة، وقد حاولت شد أحدهم لمعرفة نوع أحجار هذه الأعمدة، ووجدت أنها الجزء الأسفل من عمود مكسور، والقطعة التى انتشلت من الجرانييت الأحمر ويبلغ طولها مترين بقطر ٧٥ عند القاعدة، و ٧٤سم عند منطقة الكسر. وعن الآراء الأخرى التى قيلت فإنها لابد أن تكون بطول نحو ٦ أمتار وتدل على أنه لا بد أن تكون لبناء شديد الأهمية.

٢- فى مواجهة حاجز أبى قير الفعلى، فإنه يوجد حاجز آخر على الطول والتوازى فى البحر، على مسافة تختلف من ١٠٠ متر إلى ٢٥٠ مترًا، ورأسها يمتد على طول ١٢٥ مترًا فى كتلة صحيحة، ووجودها يدل على أن الحاجز أو الرصيف الفعلى لم يكن هو الأول الذى تم عمله، كذلك على أنه ربما يوجد أرصفة أخرى لكنها مغمورة تحت الماء.

---

(1) Omar Toussoun, op. cit.

٣- هناك أيضًا فى الخليج سبعة أرصفة أو حوائط مبنية بأطوال بين ١٠٠ و٢٥٠ مترًا وبعرض ٤ - ٦ مترات، وبمستويات ارتفاع نحو متر واحد، وواحد منها وهو الخامس من بداية الشمال هو من الطوب، والباقى من الأحجار، وموضعها وترتيبها ليس منضبطًا، ومن الصعب تحديد شكله الإنشائى وهل يمكن أن تكون هى الحافة التى ذكرها لنا هيرودوت، والتى كانت تقع داخل المصب أو الفم الكانوبى.

٤- بعض قواعد الأعمدة من الجرانييت الأحمر والتى خرج من مكانها نفسه رأس تمثال الإسكندر الأكبر"[١].

إذن فالآثار التى اكتشفت بواسطة الأمير عمر طوسون عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ تحت الماء في خليج أبى قير كانت فى المكان الذى اكْتُشِفَ فيه رأس الإسكندر الأكبر، وهناك مكان آخر يقع على بعد قليل منه إلى الشرق لكنه بمساحة أكبر منه، حيث إن الموقع الأول هو موقع المعبد بتأكيد من عمر طوسون، ويسوق الدلالات فى طبيعة المكونات الأثرية ؛ حيث الأعمدة وقواعدها ووجود الرأس المكتشف، أما المكان الآخر، والذى هو بمساحة أكبر، ويحتوى - على ما يبدو - على أساسات مبنى حجرى مع عدد قليل جدًا من الأعمدة، وهو يفضل توقيعه كمكان سكنى، وعليه فهو يحدد أننا أمام مدينة بمعبدها، ويأخذ كقاعدة مدينة كانوب والمصب الكانوبى. وموقع هذه المدينة يتصل أو يؤدى إلى جوار قلعة التوفيقية (كما ذكر فى ذلك الوقت "١٩٣٢")، وهذه المدينة بمعبدها الخاص بسرابيس والذى كان يقوم بأعمدته الجرانيتية والموازييك الذي وجد جنوب هذه القلعة[٢].

---

(1) Omar Toussoun, op. cit, p. 346

(2) Ibid, P. 346

لقد ذكر المؤرخون والرحالة القدامى، ومنهم الرحالة بومبونيوس ميلا Pomponius mela فى كتابه الثانى[1] أن كانوب فى مواجهة مصب النيل الذى يسمى الكانوبى، وأيضًا سمى المصب الهيراكليومى كما ذكر بواسطة مؤرخين آخرين، حيث اشتق الاسم من مدينة هيراكليون التى توجد بقرب مصبه، والذى يبدو أنها أكثر ملاءمة من الأول، حيث إنها تقع قريبة جدًا من مصبه عن مدينة كانوب[2].

وهنا نجد أن نتائج الاكتشافات، والتى دعمتها الخريطة التى قدمها أمير البحار الإنجليزى[3] فى وثيقة رسمية حيث الدقة لا تحتمل أى شك، وفيها رسم الامتداد الذي عينه للعمق يضع خطًا ذا عمق يصل إلى ٢٤ قدمًا (٧,١٢ متر) ويوضح مجرى الفرع قديمًا، فى حين أن العمق على يمين وعلى يسار هذا المجرى لا يتعدى ١٨ قدمًا (٥,٤٩ متر) وهو يوضح ضفتى النهر قديمًا. فى نهاية الضفة الشرقية فإنها تنحدر مباشرة بعد الـ ١٨ قدمًا (٥,٤٩ متر) إلى عمق يصل إلى ٣٣ قدمًا (١٠,٦٥ متر).

لم يكن لأحد أية معرفة بهذا الامتداد، لا أحد استطاع ولو بالشك بطريقة أبعد أن هذا الخليج يحتوى فى حضنه بقايا بهذه الأهمية التى اكتشفت، والتى تعد جزءًا صغيرًا من الذى اختفى تحت ماء هذا الخليج ورمله[4]، إذن ما من شك فى أن موقع مصب الفرع الكانوبى كان فى سطح تل الكوم الأحمر، ومجرى المصب يرى واضحًا فى قاع مياه الخليج، ويعينه رأسان ممتدان تحت الماء من الكوم الأحمر إلى أن يقتربا من جزيرة أبى قير إلى مسافة ٦ كم من البر وعمق

(1) Pomponius mela, Livcre II, ch. VII

(2) Omar Toussoun, op. cit, p. 343

(3) Ibid, p. 343.

(4) Ibid, p. 343.

المياه فى المجرى القديم نحو سبعة أمتار[١]، كذلك فإن هذه الأراضى الواطئة عند المصب لا بد أنها كانت فى الماضى فوق مستوى سطح البحر.

كذلك يقول الأمير عمر طوسون إن مدينتى مينوتس وهيراكليون بقى مكانهما محددًا فى رأى المهتمين بالآثار (حتى ذلك الوقت) فى قلب الرمال فى جنوب قلعة الرملة بالنسبة إلى المدينة الأولى، أما هيراكليون فمكانها فى قعلة الحمرا. لكن بهذه الاكتشافات الجديدة لم تعد هناك موضعًا للجدل، فهاتان المدينتان موجودتان تحت مياه خليج أبى قير[٢].

ومع أن مينوتس كانت موجودة بمعبدها المكرس للمعبودة إيزيس من قبل القرن الثانى الميلادى بالنسبة إلى المؤرخين والرحالة الجغرافيين إلا أنه من الغريب أنه لم يذكروها قبل ذلك التاريخ وربما كان هذا على اعتبار أنها ربما ضاحية أو قرية فى كانوبوس لذلك اعتبروها ضمنا مع كانوبوس، وأن معبدها لم يكن قد اكتسب شهرته بعد التى اكتسبها بعد ذلك، وأنه كانت تحجبه شهرة سرابيس كانوبوس[٣].

ولو أخذنا مقوله سترابون وأردنا تحقيقها نجد أنه قال لنا[٤]: - "مسافة أخرى نحو ١٥٠ ستادًا[*] (٢٨,٨٤كم) تفصل المصب أو الفم الكانوبى عن جزيرة فاروس". وفى موضع آخر بعده[٥] "مدينة كانوب على بعد ١٢٠ ستادًا (٢٣,٠٧٢كم) من الإسكندرية بواسطة الطريق البرى". وكما فى ثانى هاتين

---

(١) عبد المنصف محمود: سبق ذكره، ص ٨٨ .

(2) Omar Toussoun, op. cit, p. 343

(3) Ibid, P. 347

(4) Strabon, Liv XVII, ch, I, Parag. 6.

(*) وحدة القياس (ستاد) المستخدمة هى الاستاد الأوليمبى، ويوازى 27 . 192 مترًا.

(5) Ibid, Parag. 17.

المقولتين فإن الطريق تحدد بأنه برى، فيكون فى الأولى، والتى لم تحدد لا بد بالتأكيد تكون بالطريق البحرى. نقطة الانطلاق من كلتيهما التى من الجزيرة والأخرى التى من المدينة لم تكن لتشكل بأية صورة أى شكل من أشكال الاختلاف، حيث على خط الطول والطريق البرى أمام الامتداد الموازى للساحل، وبالتبعية، البحر كذلك، نستطيع أن نقول دون مخاطرة الوقوع فى خطأ كبير، إن الفرق بين المسافتين سيكون ٣٠ ستادًا (٥,٧٦٨ كم)، وهو الذى يجب أن يكون أيضًا بين كانوب والمصب الكانوبى. المسافة الفعلية التى وجدناها بين معبد سرابيس والمصب أو الفم الكانوبى والمذكورة على الخريطة هى ٦,٨٠٠ كم، أى ستكون بزيارة كيلو متر واحد عن قيمة الـ ٣٠ ستادًا، لكن لا يجب أن نفقد الرؤية بأن معبد سرابيس ليس لازما أن يوجد فى وسط المدينة، وإذا استبدلنا رأس القياس لنمتد مسافة ما إلى الشرق، فإن هذا الفرق سيكون اعتباريًا غير موجود وربما يختفى[1]. نحن الآن قد حققنا موقع المدينتين المختفيتين، كل واحد بمعبدها، مينوتس ومعبدها(إيزيس)، وهيراكليون ومعبدها (هيراكليون أو معبد هرقل)، وكلتا المدينتين سوف نطابقها بآثار المدينة والمعبد اللذين وجدناهما فى خليج أبى قير، وهو ما سوف أحاول أن أوقعه بما يخص كل من الموقعين[2].

لقد ذكر أميان مارسلين فى كتابة[3]، المسافة بين الإسكندرية وكانوب، فقال لنا إنها كانت ١٢ ميلاً رومانيًا. أما السكولاستى (زخارى) Zacharie فقد ذكر فى كتابة عن حياة سيفروس[4] إن مينوتس كانت تبعد عن الإسكندرية ١٤ ميل رومانيًا وهى تجاور كانوب، وهكذا فإنه يوجد فرق تبعًا لما قاله أميان مارسيلين وزخارى يقدر بنحو ميلين (٢,٩٦٠ كم) هما المسافة الفاصلة بين مينوتس وكانوب، ويمكن القول إنها ٣ كم[5].

---

(1) Omar Toussoun, op. cit, p. 347

(2) Ibid, P. 348.

(3) Ammien, Liv. XXII, Ch. 16.

(4) Zacharie, Patrologie orientale, T. I P. 17

(5) Omar Tunssoun, op. cit, p. 348.

هكذا فإن الأطلال أو البقايا الأثرية التى تحت الماء نجدها تبتعد عن معبد سرابيس بنحو ٢,٢٥٠ كم[1]. هذا الفرق يجب أن نعتبره حدًا أدنى، ومع الوضع فى الحسبان الملاحظة السابق ذكرها؛ وهى أن معبد سرابيس يوجد فى منتصف مدينة كانوب، وهكذا يمكننا التأكيد بانتساب هذه الآثار إلى مدينة أوضاحية مينوتس ومعبدها إيزيس[2]، إذن لقد تحدد موقع مينوس، فمن السهل إذن تحديد موقع الهيراكليون أيضًا، والتى توجد على الشاطىء حسب هيرودوت، وقريبة من المصب الكانوبى حسب سترابون، والتى ذكرت قبل ذلك (بعد كانوب يجد الإنسان هيراكليون وبها معبد هرقل، ثم المصب الكانوبى حيث تبدأ الدلتا. هذه التحديدات لموقع الهيراكليون يمكن بسهولة إتمامها بواسطة سوفرونيوس[3]، والذى يقول لنا إنه بين مينوتس وهيراكليون ميلان (٢,٩٦٠ كم)، ولو وضعنا على الخريطة هذه المسافة من الآثار التى نسبناها إلى أول هاتين المدينتين، وتركنا كذلك نحو كيلو متر واحد بين الثانية والفم الكانوبى سنجدها التى تطابق ما قاله لنا هذان المؤرخان عن الموقع[4].

لقد انتهت الحفريات، وقد منح عمر طوسون للمتحف كل الآثار التى تم الحصول عليها من خلال أعمال الحفائر العادية التى قام بها محبو الكنوز فى الماضى.

ومن هنا لقد كان هذا هو رأى الأمير عمر طوسون واكتشافه لكل من مدينتى مينوش وهيراكليون عام ١٩٣٣، والتى بقيت رهن البحث والتأكيد، كما ظلت المدينتان تحت ركام الرمال والأمواج حتى كانت الاكتشافات الحديثة.

---

(1) Ibid, P. 348.

(2) Ibid, P. 348.

(3) Sophronuis, Miracles des Saints dyr et Jean, 39, et 43.

(4) Omar Toussoun, op. cit, p. 348

وهنا كذلك يصف فورستر عام ١٩٢٢م منطقة أبى قير حيث يقول إن هناك بقايا حول قلعة التوفيقية تراها على اليسار عند دخول القطار إلى المحطة، وكانت يوما ما ذات قيمة، دمرت على يد السلطات العسكرية التى استخدمت الأحجار الجيرية فى تسوية الطرق، ومن الصعب اكتشاف البقايا، حيث إن المنطقة مليئة بالحفر، وعلى مسافة ٥٠ ياردة من بوابة القلعة يوجد فى تجويف على يسار الطريق جزآن كبيران من معبد من الجرانيت، وهنا وجدت أيضًا تماثيل رمسيس الثانى النصفية الموجودة بالمتحف، وتماثيل ضخمة لرمسيس وابنته فى المتحف، وبعد ذلك إلى اليسار حول القلعة، يوجد موقع معبد سرابيس، ومن المحتمل أن المعبد كان واقعًا على أعلى منطقة من الأرض فى العصر القديم، ولكن الارتفاع العام فى السطح أدى إلى وقوعه فى منخفض عميق يحتاج الوصول إليه إلى بعض الصبر[1]. كذلك يصف فورستر عام ١٩٢٢ المنطقة فيقول "الحمامات الشمالية" تقع على بعد نحو ١٠٠ ياردة بالقرب من البحر على المنحدر الذى يقع وراء طرف الخليج العظيم الذى يمتد إلى المنتزه، وعندما عُثِرَ عليها منذ عدة أعوام كانت تقريبًا فى حالة ممتازة، والحمام المغطى بالملاط الوردى الصلب - الذى يميز العمل البطلمى أو الرومانى - له عند الحافة درجتان للمستحمين، وكان محشورًا حولها من جميع الجهات فى أوان فخارية كبيرة كانت فوهاتها بموازاة السطح ولا يتبقى من هذا البناء الفريد سوى أجزاء صغيرة، ويمكن العثور على بعض آثار الحوض الرئيسى والحمامات الساخنة، والحمامات الجنوبية والتماثيل الضخمة المكسورة. وبالسير حول قلعة التوفيقية تصل إلى الساحل، ونتبعه باتجاه الشمال الشرقى، وتوجد فى جزء منه تصل إلى مياه البحر - أساسات بعض الحمامات الكبيرة، والتى تظهر مدخل القنوات التى

---

(١) أ. م . فورستر، الإسكندرية تاريخ ودليل ١٩٢٢، ترجمة حسن بيومى، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠، ص ٢٣٠ .

ربما كانت مغلقة بسدود ذات بوابات. وعلى الساحل بعد ذلك توجد حمامات ساخنة تابعة للمبنى نفسه، ولا تزال توجد بعض آثار الملاط الوردى وكتل جرانيتية[١]. وبعد خمسين ياردة فى منتصف المسافة بين الساحل والقلعة توجد مقبرتان تقع كل منهما فى تجويف[٢].

أيضًا فى يناير عام ١٩٢٥ وضع برتشيا كتابه (آثار كانوب[٣])، وكان الكتاب يتناول التساؤل القائم والجدل المطروح حينئذ عن موضع كانوب، وهذا الكتاب يعد وصفًا قيمًا لكل الآثار القديمة التى ما زالت موجودة فى المنطقة، ودراسة وافية عن الأثريات التى اكتُشِفَتْ وصارت بعد ذلك جزءًا من مجموعة المتحف اليونانى الرومانى[٤]. ومما يؤسف عليه أن المواقع الأثرية الباقية فى موقع أبى قير قد دُمِّرَتْ بالزحف العمرانى، أو بضمها إلى القواعد العسكرية، ومن هذه البقايا يرى (برتشيا) فى كتابه أن كانوب القديمة لا بد أنها واقعة بين هذه الحطام بالقرب من قلعة توفيق على الجزيرة وهو افتراض يسانده كثير من الدارسين والمصادر التاريخية الصادقة والموثوق بصحتها، كذلك نجد أنه أيضًا مبنى على حقيقة أنه فى زمن (برتشيا) لم يكن هناك أى موقع أثرى فى المنطقة أكبر من ذلك الموقع حتى يكون هومكان المدينة القديمة[٥]. هذا وفيما بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٣٠ اكتشف برتشيا فى حفائره بالقرب من قلعة توفيق أعظم وأهم اكتشافاته فخرجت إلى النور بقايا جبانه كبيرة ترجع إلى العصر الرومانى وأحواض سباحة صناعية **(لوحة ٥)**، وحمامات وأدوات صيد، وبقايا نقوش،

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٢

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٢

(3) Briccia, Le rovine e di monumenti di canope, 1925.

(4) Paolo gallo, one hundres years in Egypt, op. cit, P. 134

(5) Ibid, P. 134.

وعدد لا بأس به من التماثيل الرائعة من العصرين الفرعونى والبطلمى (برتشيا ١٩٣٢). بعد ذلك تولى أدريانى Adriani إدارة المتحف لكنه لم يقم بأعمال حفائر كبرى فى منطقة أبى قير لأنها كانت منطقة عسكرية بريطانية، وظلت هذه منطقة عسكرية حتى الآن.

كانت هذه هى الحفائر التى تمت على مدى أكثر من قرن من الزمان لهذه المنطقة الغنية بالتاريخ والآثار، سنوات من البحث الشاق والدائب عن هذا التاريخ، سواء فى البحر أو فى البر، لقد توقفت هذه الحفائر والأبحاث سنوات طويلة عند هذا الحد حتى بدأ مع نهاية القرن العشرين ما عرف فى العالم بالكشف عن الآثار المطمورة تحت الماء والمدن الغارقة، وأصبح هناك أثريون ومتخصصون وممولون، بل مغامرون عشاق لهذا الفرع من البحث عن الآثار والكشف عن التاريخ.

الاكتشافات الحديثة للآثار الغارقة.

منذ عام ١٩٢٢، وكذلك مع بداية العقد الأخير من القرن العشرين، بدأت الأبحاث والتنقيبات فى مصر. ومن الإسكندرية وضاحيتها الشهيرة أبى قير كانوب القديمة بدأت بعض البعثات الأجنبية المتمثلة فى المعهد الأوروبى برئاسة فرانك جوديو، ومركز الإسكندرية للدراسات الأثرية برئاسة أمبرور، والبعثة الإيطالية برئاسة باولو جاللو، تقوم بالحفائر فى الاسكندرية و كانوب بالتعاون مع جماعة مارينوسترم Marenostrum، وكذلك كانت هناك البعثة اليونانية برئاسة هارى تزالاس.



(لوحة ٥)

كانوب

لقد بدأ العمل فى منطقة أبى قير عام ١٩٩٦ للبعثة الأثرية الإيطالية بمساعدة قسم المصريات بجامعة بيسا "Pisa"، واستمرت تحت رعاية قسم العلوم الأنثروبولوجية والأثرية والتاريخية بجامعة تورين "SAAST"، وذلك تحت إدارة باولو جاللو بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار المصرية وذلك لاكتشاف موقع كانوب.

نجد أن منطقة أبى قير، والتى تزخر بالموروث التاريخى والأثرى والثقافى الكبير، قد تعرضت على مدى الزمن لكثير من التدمير والتردى والتصدع، سواء خلال عمليات إنقاذ الآثار أوبسبب الاستثمارات العقارية التى امتدت من الإسكندرية إلى أبى قير فأصبح لزامًا أن يتم الإسراع فى التنقيب ليتمكن الدارسون من إنقاذ ما يمكن إنقاذه من معلومات تاريخية قبل أن تدمر كلية[1].

كانوب التى كانت مزارًا أثريًا جميلاً يؤمه السكندريون والغرباء للاستمتاع، والتى كانت تبدو ذات فنادق مرفهة وفخمة وهواء نقى وحرارة معتدلة، حيث الأجانب والزوار يستمعون إلى همسات "زفير"(*)، هذه المدينة انتقلت إلى عالم مختلف عن هذا العالم الذى كانته يومًا ما. أصبحت الآن مع الزيادة العشوائية المتنامية وقد تحولت إلى واحد من أكبر أحياء الإسكندرية اكتظاظًا بالسكان،

(1) Paolo Gallo, op. cit, P. 135.

(*) هناك معبد باسم: "أرسينوى زفيرتس" يقع شرقى مدينة الإسكندرية ناحية كانوب وقد أهداه "كاليكراتس" إلى الملكة أرسينيوى فيلادلفوس التى شبهت بالإلهة أفروديت، وقد أشار كل من اثنايوس وسترابو إلى المعبد الذى ربما اتخذ تسمية "زفيرتس" من رأس زفيريون الذى تقع عليه والذى ربما اخذ اسمه من رياح «زفير» الشمالية الغربية التى تهب عليه.

Athenaeus, VII, 318, Adriani, Repertorio, c, P. 249, Strabo, XVII, 1, 16

لكن ما زال هناك بعض مراكب الصيد الصغيرة تستعيد شكل المراكب فى الجنوب الإيطالى، أما المحزن حقًا فهو هذه المنشآت والمبانى الجديدة التى تهدد بإزالة المناطق الأثرية المتبقية، فالمبانى الأثرية الضخمة التى اكتشفها (دانينوس)، و(بوتى) و(برتشيا) فى القرن الماضى انتهكت كقواعد عسكرية ولا يمكن معرفة حالتها حيث ممنوع دخولها[١].

كذلك تم التعدى على بعض الآثار الأخرى، سواء بالبناء أو الإخفاء أو الإهمال فى حال عدم تقدير قيمتها من قبل المواطنين. هذا إلى جانب أن المواقع الأثرية الواقعة على البحر تعانى غالبًا خطر التدمير قبل أن يتم اكتشافها ودراستها.

لكن هذا لم يمنع من أن تركز البعثة الإيطالية مع المجلس الأعلى للآثار - قسم الآثار الغارقة - التنقيب فى جزيرة نلسون، وهذا المشروع يمتد إلى الأرض الرئيسية حيث إن جزءًا مهمًا من المدينة القديمة كانوب أصبح الآن تحت مستوى البحر. إن البحث قد استخدم وسائل وأساليب تمكن من الاستكشاف تحت الماء[٢]. كذلك فإن البقايا الموجودة حول جزيرة نلسون تمكن الدارسين من أن يحددوا التغيرات التى طرأت على مستوى سطح البحر على مدار الزمن واضعين فى الحسبان أهمية جيولوجية كبيرة عن نسبة غرق الشواطىء بالقرب من دلتا النيل فى منطقة أبى قير على مدار الألفى عام الماضية[٣].

أيضًا لقد قامت جماعة مارينوستروم Marino Strum بتزويد مجموعات الأثريين بالعاملين المتخصصين فى رسم الخرائط والبناء الأثرى وهو العامل المهم جدًا فى الاستكشافات تحت الماء.

---

(1) Ibid, P. 135.

(2) Paolo Gallo, op. cit, 137

(3) Ibid, P. 137.

جزيرة نلسون، والتى تقع على بعد أربعة كليو مترات فى البحر المفتوح إلى الشمال من أبى قير هى جزيرة صغيرة نوعًا، ويبلغ طولها الحالى ٣٥٠ م، وقديمًا كانت هذه الجزيرة أكبر نوعًا، لكن العوامل الجيولوجية وعمليات اقتلاع الأحجار أدت إلى انكماش المساحة كثيرًا. أطلق الاسم الحديث (جزيرة نلسون) على هذه الجزيرة على يد قوات البحرية البريطانية بعد انتصار الأدميرال الشهير على الأسطول الفرنسى فى الخليج القريب المحيط بالمنطقة.

وتؤكد المصادر القديمة[١] أن الجزيرة كانت تسمى (جزيرة كانوبوس) حيث مات مدير دفة مركب (مينلاوس) فيها بعد عودة الأخير من (طروادة) فأطلق اسمه على الجزيرة تخليدًا له[٢].

هذا وقد وجد أن سطح الجزيرة مغطى ببقايا التوابيت والمنازل والصهاريج الكبيرة والمبانى الأثرية التى لم يسبق التنقيب عنها أو اكتشافها **(لوحة ٦)**، وهى التى تقع على بعد كيلو مترين من ميناء هيراكليون، و لا بد أن هذه الجزيرة لعبت دورًا استراتيجيًا فى مراقبة المرور البحرى الداخل إلى الفتحة الكانوبية أو الخارج منها، وكذلك السيطرة عليها[٣]، خاصة أنها جزيرة معزولة ولا تمتلك أى مصدر للمياه. ولأن شبه الجزيرة كان قدرها أن يغرق جزء منها والجزء الآخر احتل كقاعدة عسكرية منذ الاحتلال الإنجليزي فإن جزيرة نلسون قد تفردت بالأهمية الأثرية إذا ما قورنت بالمواقع الأخرى المحيطة بأبى قير[٤]، وهى حاليًا الموقع الوحيد فى "المنطقة الكانوبية" التى لم ينشأ عليها مبانٍ حديثة، ومن ثم فهى الموقع الأقدر على الكشف عن تتابع الفترات والحقب والعصور التاريخية

(1) Scylax, periplus, 106 - 107

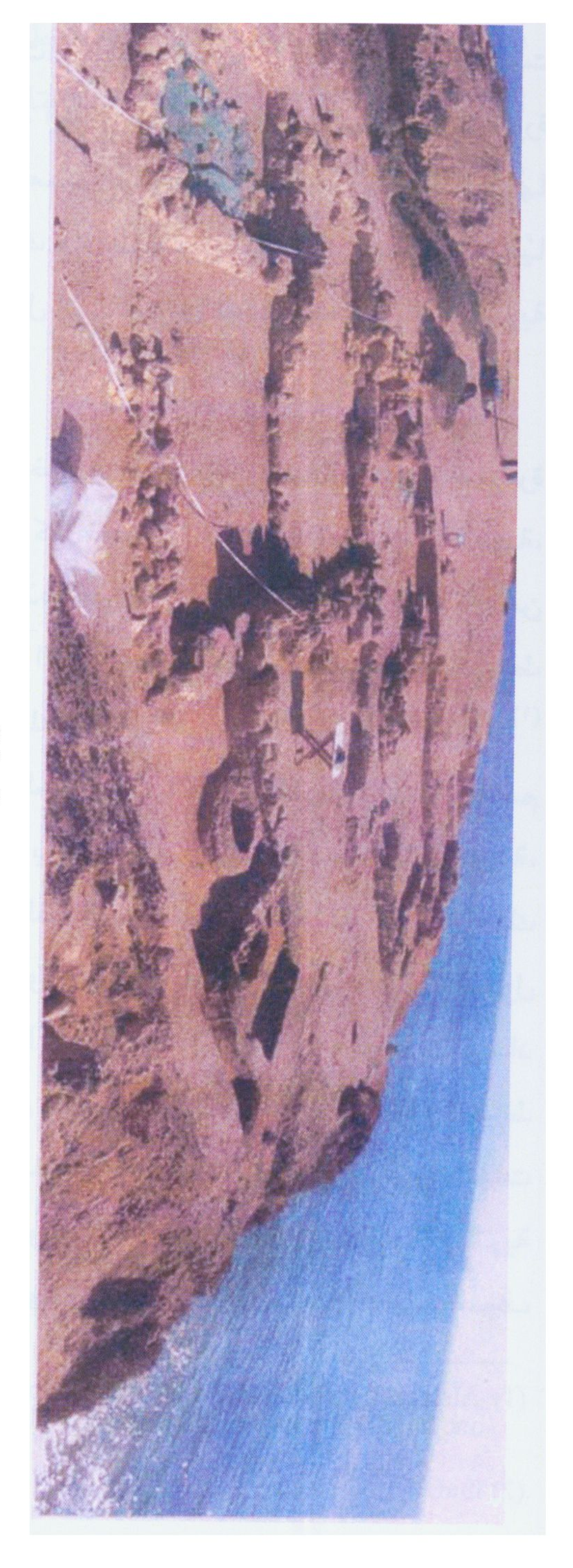
(2) Paolo Gallo, op. cit, 138.

(3) Ibid, P. 139.

(4) Ibid, P. 139.

المختلفة، لذا فإن دراسة هذا الموقع قد اعتبره الباحثون أقدر موقع يسمح لهم بإيجاد التسلسل الزمنى الدقيق للفترت المتعاقبة على المنطقة المحيطة بأسرها بما فيها عمليات التنقيب تحت الماء للوصول إلى نتائج أخرى.

حسب الترتيب الزمنى منذ أوائل القرن التاسع عشر فإن آخر تنقيب تم على جزيرة نلسون قام به "كولسون Coulson"، وكان عمله يستهدف تتبع العلاقات التجارية والثقافية بين اليونانيين والمصريين فيما قبل عصر البطالمة، وقد حاول فى نهاية السبعينيات من القرن العشرين أن يبدأ حمله أثرية لكنه لم يفعل.



(لوحة ٦)

هذا إذا نظرنا أيضًا إلى الصعوبات، سواء الطبيعية أو الأمنية، التى أحاطت بالجزيرة، فهى كانت دائمًا عائقًا ضد التنقيب الأثرى، حيث إن المنطقة المجاورة لها تمثل قاعدة عسكرية بما يصعب معها استخراج التصاريح والإقامة عليها لمتابعة أعمال الحفر والتنقيب، كذلك فإن البحر أيضًا يعتبر عائقًا طبيعيًا لعمليات التنقيب إما لصعوبة الوصول إلى الجزيرة لهياج البحر وإما لصعوبة عبور المضايق.

ولما كان من الصعوبة بمكان وجود خرائط طوبوغرافية ملائمة لهذه الجزيرة ولا تدعم أبحاث عملية وأثرية لعظم كم المحتوى الأثرى للمنطقة من ناحية، وصغر مقياس الرسم المستخدم فى هذه الخرائط من ناحية أخرى، فقد كان من الضرورى فى أثناء حملات البحث الأولى وضع خرائط مفصلة للشريط الساحلى ومرفولوجية الجزيرة، وكذلك وضعها فى نظام الخرائط المصرية[(١)] باستعمال البعثة لجهاز GPS فى الحالة الثابتة، وعن طريق توصيل القمم والأجزاء موضع البحث فى الجزيرة بالقمم المعروفة الواقعة بالإسكندرية، ووضعت خرائط مفصلة لمساحة المنطقة البارزة فوق سطح الماء كلها، وكذلك صورة للشريط الساحلى بما فيها حدود الحاجز نصف المغمور بالماء للحصول على نموذج رقمى للأرض Digital terrain DTM model، وهو ثلاثى الأبعاد يمثل الخطوط المحيطة بجزيرة نلسون **(لوحة ٧)**، وقد حُدِّدتْ مواضع النقاط بدقة شديدة من قبل البعثة المستكشفة[(٢)]، ومن هذا، ومع كل الاستخدامات التكنولوجية المستخدمة لمعرفة التربة ومدى تجانس مكوناتها والمقارنة بالتربة المحيطة، كذلك تمثيل شكل الساحل مهم أيضًا فى هذه العمليات، حيث سوف

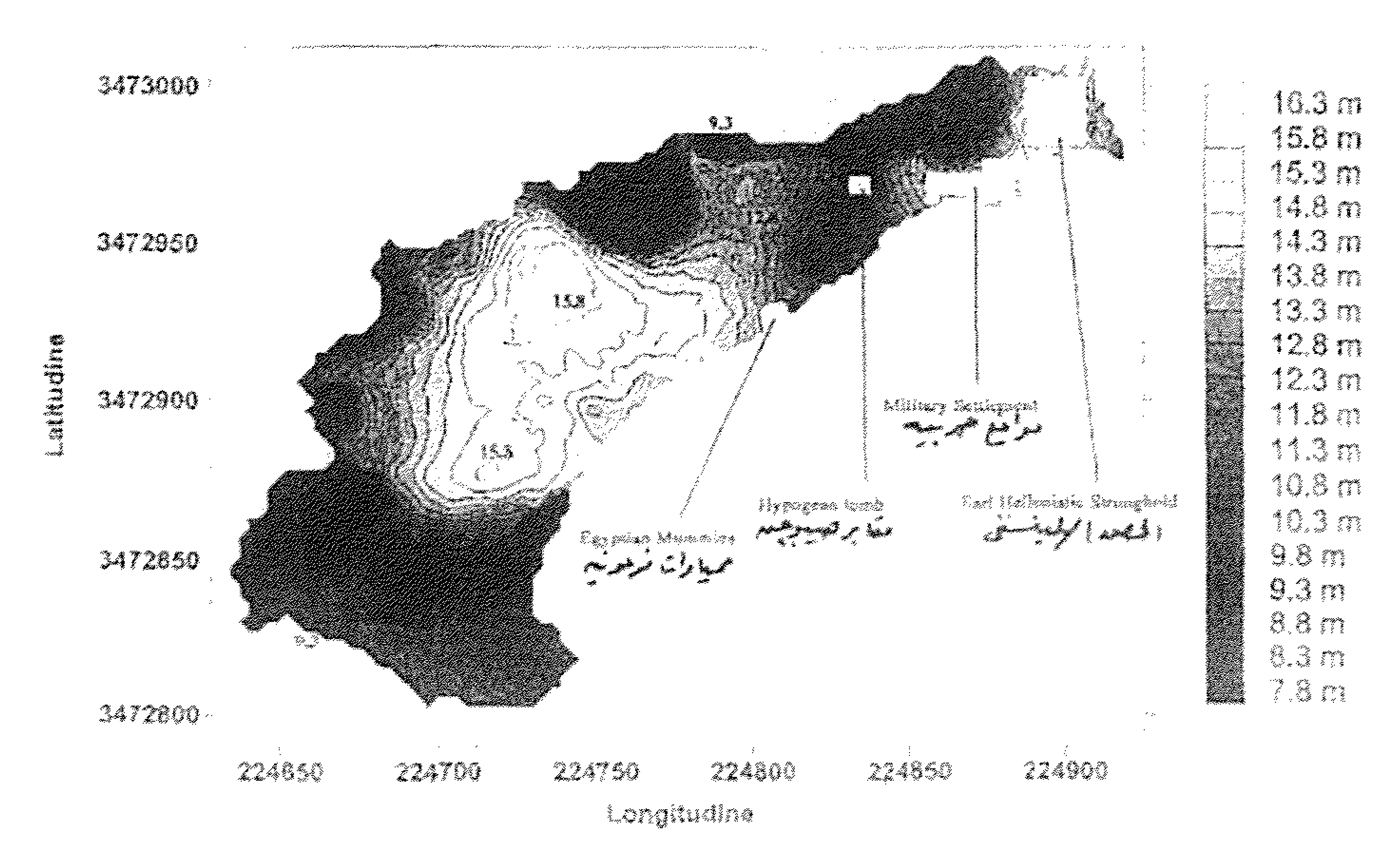
---

(1) Alssandro capra, three dimentional topographical relief of canopus Island, one hundred years in Egypt, op. ci, P. 143 - 145.

(2) Ibid, P. 143 - 146.

يسمح بمقارنة طبوغرافية التخطيطات التى رُسِمَتْ فى أزمنة مختلفة فى الماضى لاستعمالها فى إعادة وبناء الاختلافات فى الشكل الخارجى للجزء الغارق من الجزيرة عبر الأزمنة المختلفة[1].

(1) Ibid, P. 143 - 146.



(لوحة ٧)

موقع جزيرة نلسون مواضع النقاط (عن البعثة الإيطالية للآثار)

فى الوقت الذى نجد فيه أن مقابر أهل الإسكندرية الأوائل معروفة تمامًا نجد أن البقايا الأثرية للمدينة التى عاشوا فيها قد اختفت كلية، ولم يستطع أى عالم آثار أن ينقب عن الطبقات الأرضية التى تمثل المرحلة المبكرة من العصر البطلمى فى العاصمة الإسكندرية، ويبدو هذا مثيرًا للتعجب[1]. لأن التنقيبات الحديثة التى تمت على جزيرة نلسون قد كشفت عن مفاجأة مهمة وغير متوقعة، إن هناك بقايا منازل هلينستية ترجع إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، فقد كشف فوق قمة النتوء الجبلى الشرقى الداخل فى البحر ونحو خمسة عشر مترًا فوق مستوى سطح البحر، بقايا بناء مربع ضخم يبلغ طول جوانبه أربعين مترًا. يبلغ سمك الجدران الحجرية الضخمة من البناء (هذا البناء لم يبق منه سوى الأساس وعدد ضئيل من الشقوق) مترًا واحدًا، وهى مكونة من كتل ضخمة من الحجر الرملى المحلى، ويبلغ متوسط أبعاد كل كتلة مترًا واحدًا للطول ونصف متر للعرض، فى حين يتراوح السمك بين ٣٥ سم - ٥٠ سم. : أما الأساس فهو أعرض، حيث يصل عرضه إلى ١٢٠ سم، ويصل عمقه داخل الأرض فى بعض النقاط إلى مترين. وجد كذلك أن بعض المصاطب قد بنيت وهى من كتل ضخمة لتعوض عدم الاستواء الطبيعى فى الأرض، وفى وسط هذا التكوين الكتلى الرباعى الزوايا ذى الأجزاء الغربية التى ما زالت مختفية تحت غطاء من الأحجار الرملية نجد بقايا لمبانٍ أخرى أقل أهمية، وكذلك بعض الصهاريج والأحواض[2]، أما الفخار الذى اكتشف على السطح وداخل خبايا أساسات البناء فهو يمثل فترة زمنية ما بين أواخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد كما سيأتى ذكره.

---

(1) Ibid, P. 142

(2) Paolo Gallo, op. cit, P. 142.

أيضًا عند هبوط المنحنى المؤدى إلى البحر، وعلى بعد نحو خمسة عشر مترًا غربى المبنى الضخم الأثرى - كشفت البعثة عن بقايا بيوت فقيرة كانت فى الأصل مغطاة برقائق من الطين المحروق، وما زالت جدرانها المبنية من الحجر المحلى والمكسوة بالحجر الأبيض باقية إلى ارتفاع لا يزيد على أربعين سنتمترا ومع أن الطبقات المكتشفه كانت متقاربة إلا أن جانبًا كبيرًا من الأوانى الفخارية عثر عليه فى موضعه[١].

هذا وقد حوى التقرير التمهيدى عن الفخار المكتشف فى جزيرة كانوب أن الفخاريات التى اكْتُشِفَتْ فى أثناء المسح الذى قامت به البعثات الأثرية على جزيرة نلسون ترجع إلى فترتين زمنتين محددتين:

أولاً : هناك فخار من العصر الهلينستى المبكر

وهى ممثلة فى الخامات أو الأدوات التى وجدت فى المبنى الضخم الأثرى أو الصرح الأثرى والمنازل المحيطة التى وجدت فى الطرف الشرقى من الجزيرة.

ثانيًا: هناك فخار يعود إلى العصر الرومانى المتأخر

وقد كُشِفَ عنه كله ضمن منشآت تجميع المياه على الجانب الغربى من الجزيرة[٢]. ومن الغريب أن الموقع لم يكشف به حتى انتهاء الحفائر عن قطعة واحدة من الفخار تعود إلى العصر البطلمى المتأخر أو العصر الرومانى المبكر. ومن الملاحظ والمقرر مبدئيًا أن المواد الفخارية الخام التى وجدت بالموقع، والتى أرجعتها البعثة المكتشفة إلى العصر البطلمى المبكر، أنها بين نهاية القرن الرابع

---

(1) Ibid, P. 142

(2) Cecile Harlaut, Preliminay note on the ceramics discovered on capopus Isand, one hundred years in Egypt, op. cit, p. 146 - 148

والنصف الأول من القرن الثالث ق. م[1] (ويُعد هذا تقريرًا مبدئيًا حتى يتم الفحص الجيد والمتأنى لتحديد تاريخها الفعلى). وهذه الفخاريات التى ظهرت فى جزيرة كانوب والتى يعود تاريخها إلى هذه الفترة:

أولاً : العصر البطلمى المبكر:

تتمثل فى ثلاثة أقسام حسب المواصفات التالية:

أ - فخار مصرى على الطراز الفرعونى[٢]:

هذه الفخاريات هى من وجهة النظر الشكلية والتقنية والمورفولوجية تتبع المنتجات المحلية التى يرجع تاريخها إلى الأسر الفرعونية المتأخرة (من الأسرة ٢٦ إلى الأسرة ٣٠) وتتضمن هذه المجموعة:

أباريق ذات جوف دائرى أو كمثرى وعنق اسطوانى. وقد كانت هذه تستعمل لتخرين الأطعمة.

ب - فخار مستورد من البلاد الإغريقية[٣]:

وهذه تتمثل إما فى الأدوات الدقيقة وإما الأمفورات، وتتمثل الفخاريات فى الأوانى الفخارية الدقيقة الصنع المطلية باللون الأسود اللامع ووجدت فى ثلاثة أشكال وفى حالة غير سليمة:

---

(1) Ibid, P. 142.

(2) Ibid, P. 146 - 148.

(3) Ibid, P. 146 - 148.

١- قاعدة كانثاروس Kantharos صغيرة

٢- عنق ليكيثوس Lekythos ، ويحتمل أن تكون أثينية

٣- قاعدة مزججة دائرية الجوف

إلا أنه يلاحظ أن الأمفورات المستوردة متوافرة بكثرة، فهناك عدة أعناق تتميز بفتحة على شكل عين الغراب، ويد مدموغة. وأيضًا هناك قواعد سفلية قد تكون منتمية إلى أمفورات رودية (من رودس).

ج - أوانٍ فخارية مصرية الصنع مستوحاة من الإغريقية[1].

وهى تمثل أشكالاً إغريقية الطابع كلها مصنوعة فى مصر. والطين المستعمل فيها طين مصرى، وهذا القسم هو أكثر هذه الأقسام توافرًا واستعمالاً.

ويوجد كم كبير من أشكال الأوانى ذات الحلية فى أعلاها وقد صنعت من الطمية النيلية المحروقة، ذلك لتكتسب اللون الأسود أو اللون الطوبى، وهو اللون الأحمر الضارب إلى البنى. وجد أيضًا أن هناك كمًا قليلاً من أطقم الفناجين الصغيرة المزركشة ذات الشكل الجميل مصقولة برقائق سوداء، أحد هذه الفناجين مزين بطرز بطلمية. (وقد عثر على مثلها مرسومة على فناجين تعرف بفناجين الساحات العامة فى أثينا[2])، كذلك يوجد بكثرة أطباق ذات أُطر مثلثة سطحها معالج بنفس طريقة السلاطين ذات الحليات المستديرة، أما الشكل الأخير من هذه الأشكال فهو شكل قليلاً ما يظهر، وهو شكل كانثاروس Kantharos ذى الفتحة السوداء المنزلقة.

---

(1) Ibid, P. 146 - 148.

(2) Ibid, P. 146 - 148.

أما الأدوات والأوانى المستخدمة فى الطهو فتتمثل فى بقايا أجزاء من أوانٍ ذات أعناق مستقيمة أو مستديرة، وكذلك كسرولات (وهى أطباق من الخزف عميقة القاعدة ذات مقبض) تتميز بوجود حافة على شكل جرس. أيضًا هناك بعض من بقايا حاملات الطعام التى تستخدم لتحضير الطعام أو تقديمه، مثل الحوامل ذات المقابض المشقوقة، والأطباق المقعرة ذات الحواف المسطحة، والأطباق المقعرة Mortaria ذات الفتحات المثلثة[1].

ثانيًا: العصر الرومانى المتأخر:

الأوانى الفخارية تتكون عادة من أمفورات ذات أشكال معروفة، ومن بينها أجزاء من الفخار المستورد والمحلى الرقيق. وبوجه عام يعود تاريخ هذا الفخار إلى ما بين القرنين الرابع وبداية السابع الميلادى[2]، ويتكون من:

أ - فخار مجلوب من شرق حوض البحر المتوسط: وجد ضمن الفخار المكتشف طراز الفخار القبرصى من نوع سيجيلاتا Sigillata وامفورات تعود إلى اواخر العصر الرومانى ربما كانت تحتوى على النبيذ والزيت وكانت تصل بانتظام.

ب - مجموعة الفخار المصرى ولأمفورات المنتجه محليًا: وتتمثل فى مجموعة سجيلاتا المصرية أما الأوانى والأطباق المكتشفه فهى إما من الطينه المصرية أو الكاولينا أما الأمفورات فمن المؤكد انها استعملت لتخزين العديد، من المنتجات. بالإضافة إلى عدد من البقايا والأجزاء الصغيرة المتناثرة. عثرت بعثة التنقيب على ماسورة مياه متقنة الصنع تمثل قناة مؤلفة من هذا النوع من الأمفورات

---

(1) Ibid, P. 146 - 148.

(2) Ibid, P. 146 - 148.

وضعت معًا على هيئة سلسلة بعد أن بترت نهاياتها **(لوحة ٨)** استخدمت كأنابيب لتجميع مياه الأمطار، وقد أثارت الاهتمام أعناق أمفورات مصرية من الصلصال المصرى الخشن لأنها مثال نادر لنماذج محاكاة الفن المصرى للفن الرومانى فى العصر الرومانى المتأخر.

وأخيرًا الأمفورات ذات الصلصال الباهت والتى تصنف على أنها من العصر الرومانى المتأخر، ومن المحتمل احتواؤها على النبيذ، وهذه أيضًا نماذج نادرة، وحتى الآن لم تكتشف سوى قطعة واحدة من أعلى رأس هذه الآنية، وهذه الندرة الشديدة تناقض بشدة الوفرة التى ميزت العثور على مثل هذه الأمفورات فى مواقع مختلفة فى منطقة الإسكندرية بأسرها[١].

إذن فيرجع تاريخ الأوانى الفخارية المعثور عليها فى المنزل المكتشف إلى الفترة التاريخية نفسها للأعمال الخزفية الموجودة داخل التكوين المقابل على النتوء الداخل فى البحر[٢].

وبفحص الفخاريات المحلية والمستوردة، وكذلك بفحص الأمفورات المدموغة (ذات الفتحة على شكل عيش الغراب) يتضح أن المبنى الأثرى المكتشف والبيوت المجاورة كانت متزامنة، فقد كانت جميعها مبنية فى أوائل الفترة البطلمية (أواخر القرن الرابع قبل الميلاد[٣]، وأنها جميعها أيضًا هجرت بعد بنائها بفترة قصيرة (فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد). هذا وبناء على هذه المعلومات فإن بعثة التنقيب على جزيرة نلسون (جزء من شبه جزيرة كانوب القديمة) ترى أن البيوت والمساكن المتواضعة هذه كانت منازلا لأناس يعملون فى البناء القريب على النتوء الجبلى الداخل فى البحر، ويرون أن هذا الجزء من المساكن كان على هذا الجانب من الجزيرة.

---

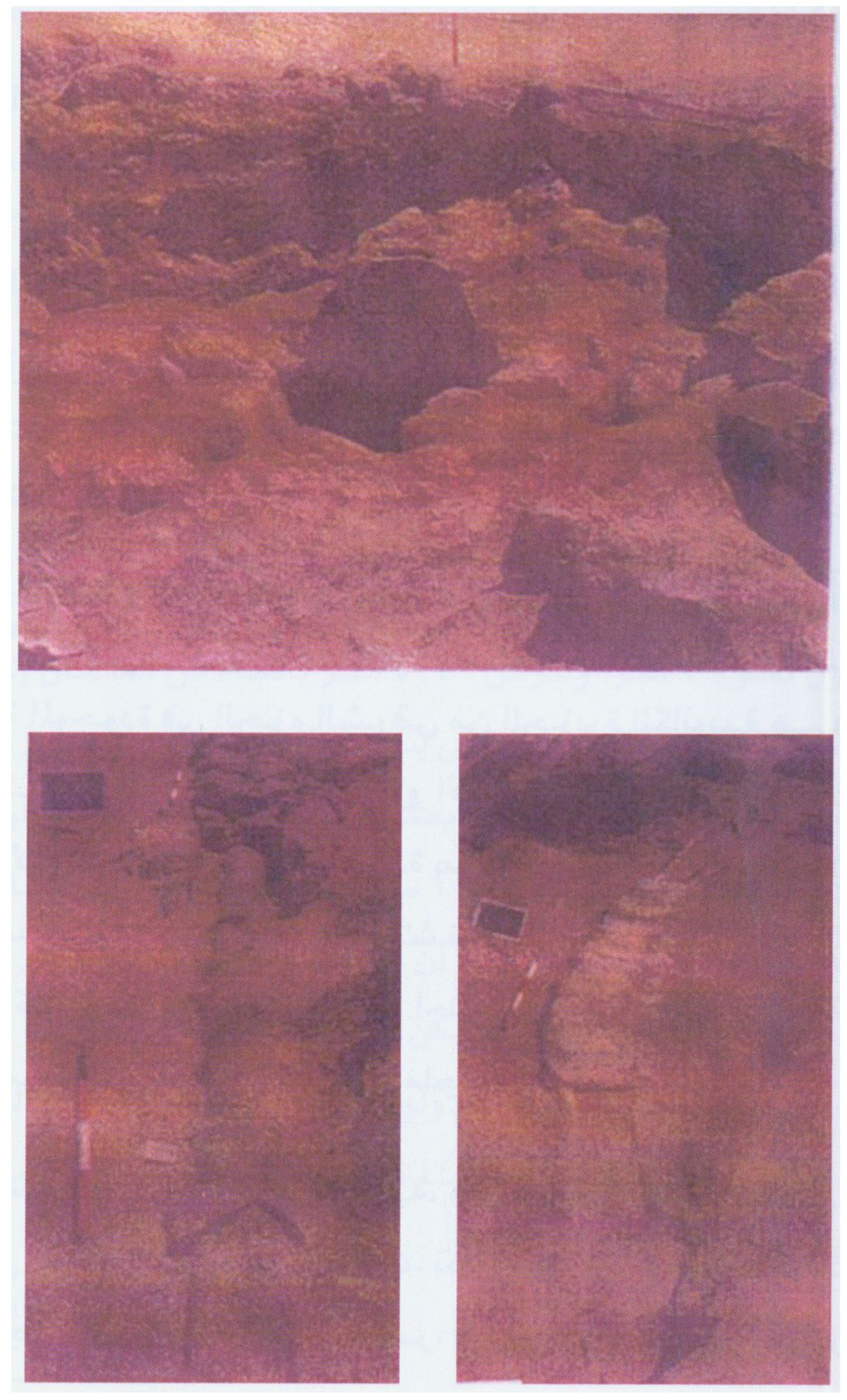
(1) Ibid, P. 146 - 148.

(2) Paolo Gallo, op. cit, P. 142.

(3) Ibid, P. 142

فتحة البئر المؤدية إلى الصهريج يجمعها مبنى صغير غير منتظم

(MAIA)



(لوحة ٨)

أنابيب المياه التى تجمع ماء المطر والمصنوعة من أمفورات محلية الصنع (من القرن الخامس حتى السابع الميلادى) والقناة التى تجمع ماء المطر والمصنوعة من الحجر الرملى المحلى والمتجهة إلى مدخل بئر الصهريج الضخمة (عن MAIA)

أما الجزء الغربى من منطقة الاستكشافات، فإن المنازل التى اكتشفت فيها تُعد أكثر أهمية، حيث جدرانها مزخرفة برسوم ملونة وطبقات الجص ذات النقش الغائر(*)، وربما أن هذه المنازل كانت تخص قائد هذا الموقع العسكرى(1).

لقد وجدت طلقات منجنيق رصاصية أخرى ورءوس حراب أيضًا داخل حجرات المنزل، ووجدت أيضًا سلع أو بضائع أثينية مزخرفة أرجع تاريخها إلى نحو عام ٣١٠ ق. م. كذلك وجدت أوانٍ يونانية مستوردة، وعدد كبير من أختام الأمفورات ودلائل كثيرة أخرى وجدت على الأرضيات كلها تؤكد أن هذه المستوطنة قد بنيت فى نهاية القرن الرابع ق. م، وهى الفترة التى غزا فيها الإسكندر الأكبر مصر. كذلك تبين الدلائل السابقة أنها أيضًا قد اختفت خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادى، ويمكن القول إنه حتى الآن فإن المستوطنة الموجودة فى الجزء الشرقى من الجزيرة الكانوبية هى فقط التى تخص الفترة المقدونية، أى فترة غزو الإسكندر الأكبر لمصر، حيث الفخار والقدور والأدوات تعطى معلومات جيدة عن الحياة اليومية للجنود الإغريق فى منطقة الإسكندرية. كذلك فإنه قد اكتشفت على بعد بضعة أمتار إلى الشرق بقايا مبنى كبير يمكن أن يعتبر قلعة قد احتلت كل مساحة النتوء الشرقى الداخل فى البحر من الجزيرة، أما المنازل فهى ملحقة بهذا المبنى الدفاعى.

هذا المبنى كان يخدم أغراضًا عملية، مثل أن يكون حصنًا للتحكم فى المرور الملاحى فى مخرج النيل من جهة كانوب. نظرًا لهذا النوع من الواجهات ووضعها الاستراتيجى، والتى لم تعرف فى مصر، فإن القلاع المعاصرة للفترة نفسها

(*) إنها تماثل مجموعة منازل اكتشفت فى أولينثوس وديكوس والمدن اليونانية والمقدونية الأخرى.

(1) Italian archeological mission at Alexandrie of Egypt, report, 2001.

(تقرير غير منشور - ادارة الآثار الغارقة)

موضع الحديث والمعسكرات من العصر البطلمى قد اكتشفت في مواضع عدة فى اليونان[1] (كان يوجد على شواطىء الإسكندرية ١٧ نقطة حماية من كانوب إلى الصحراء الليبية) وهنا فليس إذن بمستغرب أن تكون جزيرة كانوب موقعًا للوجود العسكرى الذى كان يختص بالدفاع عن شاطىء الإسكندرية، وقد هُجِرَ الموقع بعد هذا الصراع للسيطرة على البحر المتوسط[2]. لقد تتابعت حملات الاستكشاف من قبل البعثة الإيطالية على جزيرة كانوب (نلسون) بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار على مدار عدة سنوات تم فيها تتابع الاستكشافات.

الحصن:

الحائط الدفاعى: الأساسات الواضحة من الرمال تعطى انطباعًا عن سور واقٍ[3] بطول نحو ٣٠ مترًا وعرض ٥,٢٠ متر باتجاه من الشمال إلى الجنوب. هذه الاستحكامات أو السور الواقى بنى من كتل الحجر الرملى المحلى التى اقتطعت من المحاجر، والتى ما زالت يمكن رؤيتها فى الناحية الشمالية للجزيرة، حجم كل واحدة من الكتل نحو ١٠٥ سم للطول، ٥٠ سم للارتفاع و ٥٠ سم للسمك. هذا الأساس مصمت حتى أن فى بعض النقاط يتغلغل فى التربة إلى عمق أكثر من ٢,٥ متر[4] حتى يتمكن من تحمل جدران ضخمة جدًا. اليوم يمكننا أن نحدد أو أن نرى الصفين الأولين من القاعدة **(لوحة ٩)**، فالكتل المتبقية تظهر أن جدران المبنى كانت أساسًا مزخرفة بالـ Bossage، وهى حليات معمارية على كل جانب.

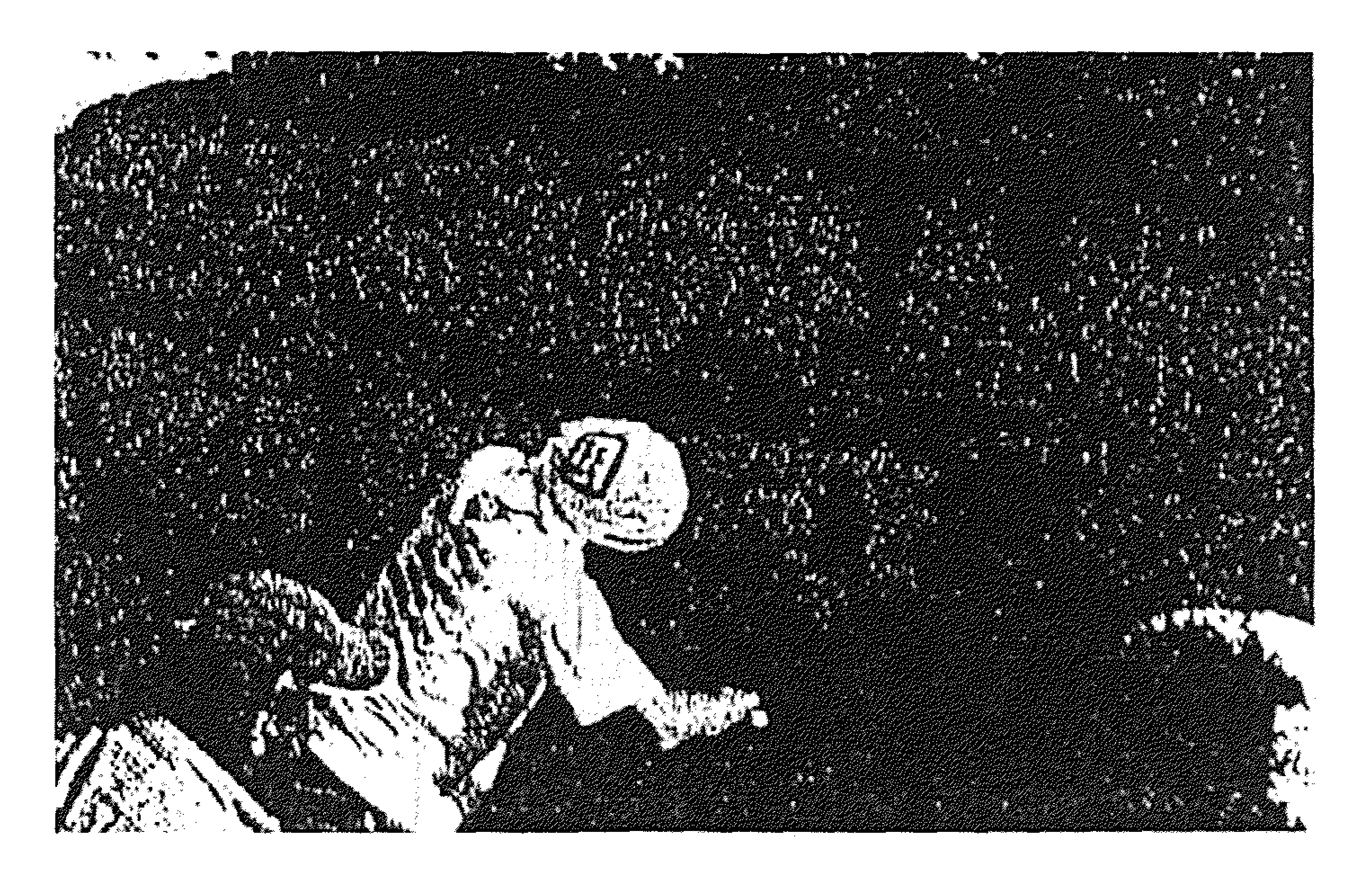
---

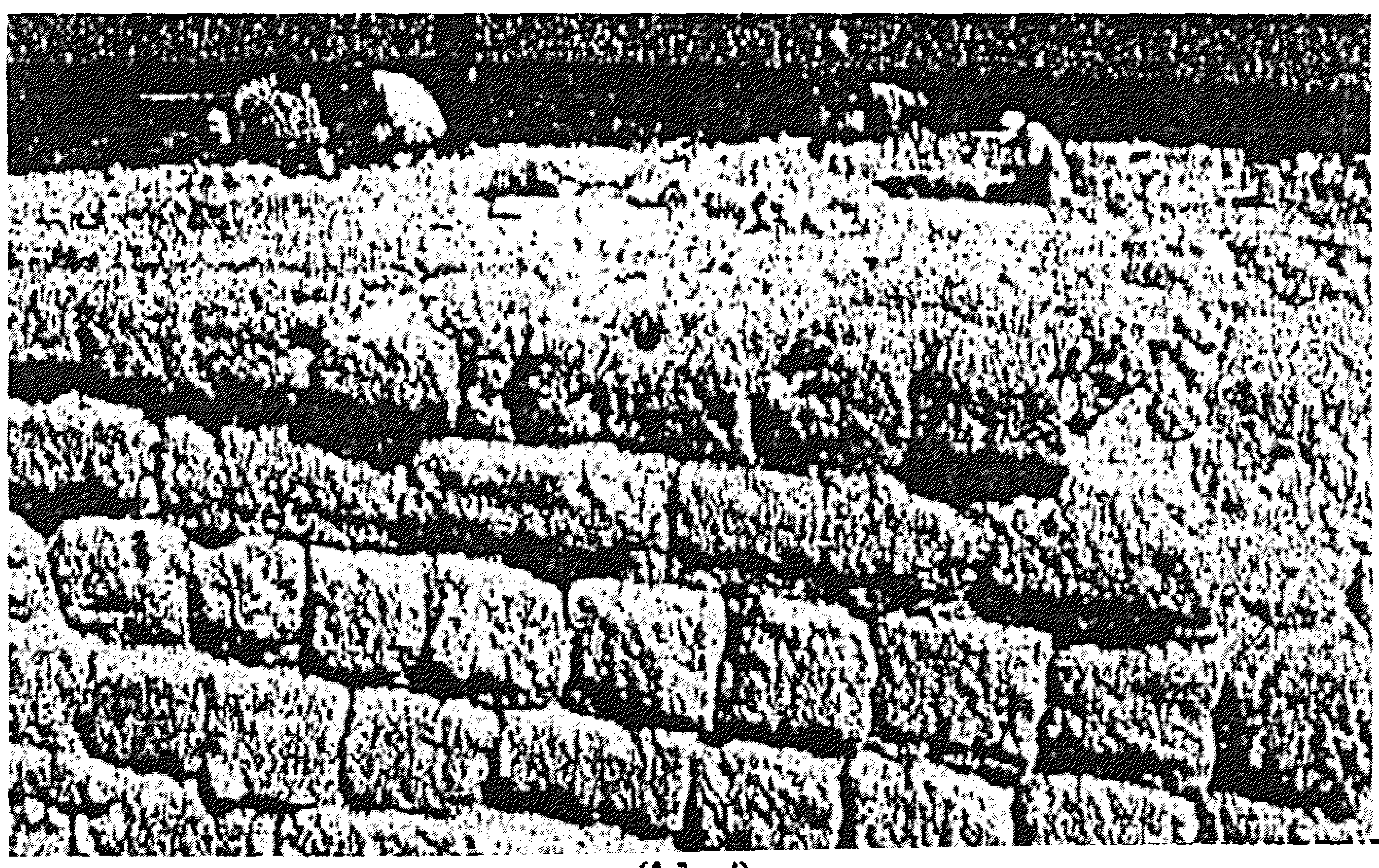
(1) Paolo Gallo, op. cit, P. 143.

(2) Ibid.

(3) Paolo Gallo. Nelson's Island. Italian archeological mission at Alexandria of Egypt report 2002. (تقرير غير منشور - ادارة الآثار الغارقة)

(4) Paolo Gallo, archeological society of Alexandria, Newsletter, issue no 13, 2003. (تقرير غير منشور - ادارة الآثار الغارقة)





(لوحة ٩)
منظر مقرب للحائط الدفاعى والمزخرف بالحليات (Bossage) على جانبية (عن البعثة الإيطالية)

وإذا كان الجزء الشمالى من السور الواقى ما زال باقيًا حتى الآن فإن نهايته الجنوبية سقطت فى البحر، وذلك نتيجة انزلاق وانهيار فى الأرض وعوامل التآكل أو التعرية، لذا فإنه من الصعب حسم الطول الأصلى لهذا السور فعليًا.

أيضًا الجنود الفرنسيون اشتركوا فى تدمير جزء منه حينما وضعت بطاريات المدافع والبنادق بالقرب من الجزء الجنوبى المنحدر. هذا السور الأثرى يقطع تمامًا النتوء الشرقى عن باقى الجزيرة، ليتحول هذا المبنى المنعزل إلى حصن دفاعى أو منشآت دفاعية، و له نظير فى اليونان وآسيا الصغرى. فى منتصف السور الواقى هناك بعض الكتل الجيدة من الحجر الجيرى الأبيض ما زالت يمكن رؤيتها. كذلك ليس من المستحيل أن السور الواقى قد كان له برج مراقبة أو فنار، وأن تكون هذه الكتل هى بعض آثاره المتبقية.

النموذج الأوسع للكتل المستعمل فيها الـ (Bossage) أو الحليات يرجع إلى أوائل الفترة الهلينستية، أما الفخار الذى وجد بداخل طبقات أساس السور الواقى، وأيضًا نماذج الأمفورات التى وجدت فى الكتل، فإنها تؤكد أن السور الواقى قد بنى واستعمل بين نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق. م. الوجود الكبير للفخار المحلى أيضًا ينتمى إلى التقاليد الحرفية الفرعونية، وربما كان انعكاسًا لمرحلة مبكرة عن الفخار الذى وجد فى داخل مبنى السور الواقى.

هذا البقايا الأثرية المتواضعة تعطى معلومات علمية مهمة جدًا، حيث إنها تنتمى إلى طبقات ترجع إلى العصر البطلمى ولا يعلوها طبقات أخرى، مما يساعد على إلقاء بصيص من الضوء لمعرفة تلك الفترة التى هى من أكثر الفترات الأثرية غموضًا بمدينة الإسكندرية بالنسبة إلى العلماء والدارسين. وقد سمحت كمية الفخار السابق التحدث عنها أو ذكرها، وهى كمية كبيرة من الأشكال تركت جميعها فى مكانها، سمحت بتصنيفها كما سبق أن ذكرنا.

فى قمة المرتفع الشرقى، فإن نشاط الميناء فى داخل المبنى يمكن أن يلاحظ فى مرحلتين:[1].

- ***المرحلة الأولى:*** بعد مبنى السور الواقى فإن النتوء ينحدر فى الرمال من أجل استعدال اختلافات المنسوب وخلق أو إنشاء مبنى متناسق، المستوى الأرضى من المبنى مغطى جزئيًا بطبقة عازلة للماء من الملاط الضارب إلى الحمرة (الحمره) لتجميع مياه المطر، والماء يجرى فى خزان (تنك) صغير مغطى بالخامة السابقة نفسها، لكنه الآن مدمر، حيث استعمل بواسطة العسكرية المصرية. آثار بسيطة لأساسات جدران صغيرة وجدت أيضًا على هذا المبنى أو البناء، لكن لا يوجد فخار أو لقى أثرية مختلطة مع الخامات السابقة.

الجانب الشمالى من النتوء أيضًا محمى بواسطة جدار هو الآن غارق فى جرف فى البحر، هذا الجدار صنع بنفس طريقة الكتل التى فى الجزء الغربى لكنه أقل سمكًا، ومظهره يبين جيدًا أن الحدود الشمالية الأصلية لهذا المبنى كانت تقريبًا هى نفسها التى تتضح الآن. لا توجد دلالة على أن الجانب الآخر من النتوء محمى بالجدران نفسها، مع أن هذا ممكن. الأرضية المكونة من المونة الحمراء، وهى السطح الواقى من الماء، مغطاة بطبقة سمكها نصف سنتيمتر (٠,٥ سم) من الرماد، يحتمل أنها بسبب محرقتين كبيرتين فى شمال المبنى أو موقعين مخصصين للحرق فى شمال اللسان استخدم أحدهما لتجهيز الجير اللازم لعملية البناء. وكما هو معروف فى المنطقة الساحلية من الإسكندرية فإن الرياح السائدة تأتى من الشمال الغربى. عامة، فالأفران الكبيرة والنيران مكانها فى الحافة الجنوبية من الموقع الأثرى، من أجل تجنب الرماد والدخان والروائح الكريهة حتى لا تزعج السكان.

---

(1) Paolo Gallo, Nelson's Isand, op. cit.

إن مـوقع هـاتين المحـرقـتين الكبـيـرتين إذن غـيـر عـادى، وهو دليل على شخصيتهم المعاصرة فى تجهيز الجير اللازم للبناء، حيث عثر بين الرماد على بقايا الجير وكتل صغيرة من الحجر الرملى. إن تسلسل الطبقات الأثرية يبين أنهما تنتميان إلى فترة تسبق مبانى المبنى الداخلى. فلا بد أن أحداهما ربما استعملت لإنتاج الجير المستخدم فى المبانى داخل المبنى كما ذكرنا، والمحرقة باتساع نحو مترين وفيما بين رمادها الدقيق جدًا وجدت كميات كبيرة من الحجر الجيرى والحجر الرملى. الأحجار الأخرى من نفس النوع والحجم (١٠ - ١٥سم) ما زالت بجانب المحرقه.

- ***المرحلة الثانية:*** خلال المرحلة الثانية فإن هناك مبنى قد بنى داخل المبنى الأثرى، جدرانه شيدت فوق طبقة الجدران القديمة العازلة للماء ومن الملاط وفوق طبقة الحمرة الرماد الذى يغطى المبنى بوضوح. هذا هو المبنى الوحيد الضخم داخل المبنى الأثرى، جدرانه صنعت من الأحجار الرملية المحلية غير المحددة الشكل، واستعملت كتل مربعة واسعة أو عريضة فقط عند الأركان والأكتاف[1].

فى الجانب الغربى، فإن المبنى يميل عكس الجدار الداخلى للسور الواقى وهو ليس تامًا. إلى الجانب الجنوبى والجانب الشرقى فالمبنى محمى بجدار جيد الصنع بسمك ٨٠ سم. لم يوجد شىء داخل المبنى يعطى فكرة عن وظيفته الخاصة. هناك أيضًا ثلاث حجرات، ربما تتصل بصهاريج لتجميع ماء المطر والإمداد بالمياه، وهى مغطاة بملاط عازل للماء جيد النوعية، والمبنى نصف الدائرى فى حجرة، وهى آخر درجة فى السلم تسمح بالهبوط إلى الصهاريج لكى يمكن تنظيفها. ليس هناك دليل أن المبنى كان له طابق أول. الماء ربما كان يتجمع

---

(1) Ibid.

من السطح المنزلق للمبنى والمغطى بمساحة متسعة من القرميد، حيث وجدت قطع عديدة منه. ليس من المستحيل أن المبنى لتجميع ماء المطر من السور الواقى القريب ومن الأبراج، وأن الحجرات تمثل بقايا خزانات للمياه متصلة بعضها ببعض. غياب الأفران مثله مثل ظهور الفخار فى الطبقات الأثرية؛ يظهر أن داخل المبنى لم يخدم كمكان إقامة أو سكن. لقد اكتشفت ستة أوان كاملة فى مكان الحفرة و وقوعها داخل المبنى كل هذا يظهر أن الحصن اختفى بشكل مؤكد فى أوائل القرن الثالث ق. م.

تلاحظ أيضًا أنه على النتوء الشرقى من الجزيرة مجاورًا للمستوطنة المقدونية فإن العواصف قد كشفت عن فتحة أو فوهة نفق تقع على ارتفاع مترين فقط من شاطىء البحر، وهى تمتلىء تمامًا بالرمال إلى حافتها. إن عملية الحفر أوضحت أن هذه الماسورة أو هذه النفق كان مكانًا كبيرًا قديمًا للماء، حيث كانت تتجمع فيه مياه المطر لتجد طريقها إلى خزان يقع فى جسم النتوء البحرى ومغطاة تمامًا بالجص[1]، وتمتد فى المرتفع إى نحو ٢٠ مترًا، وتتعرج فى منحنيات قبل الوصول إلى الصهريج.

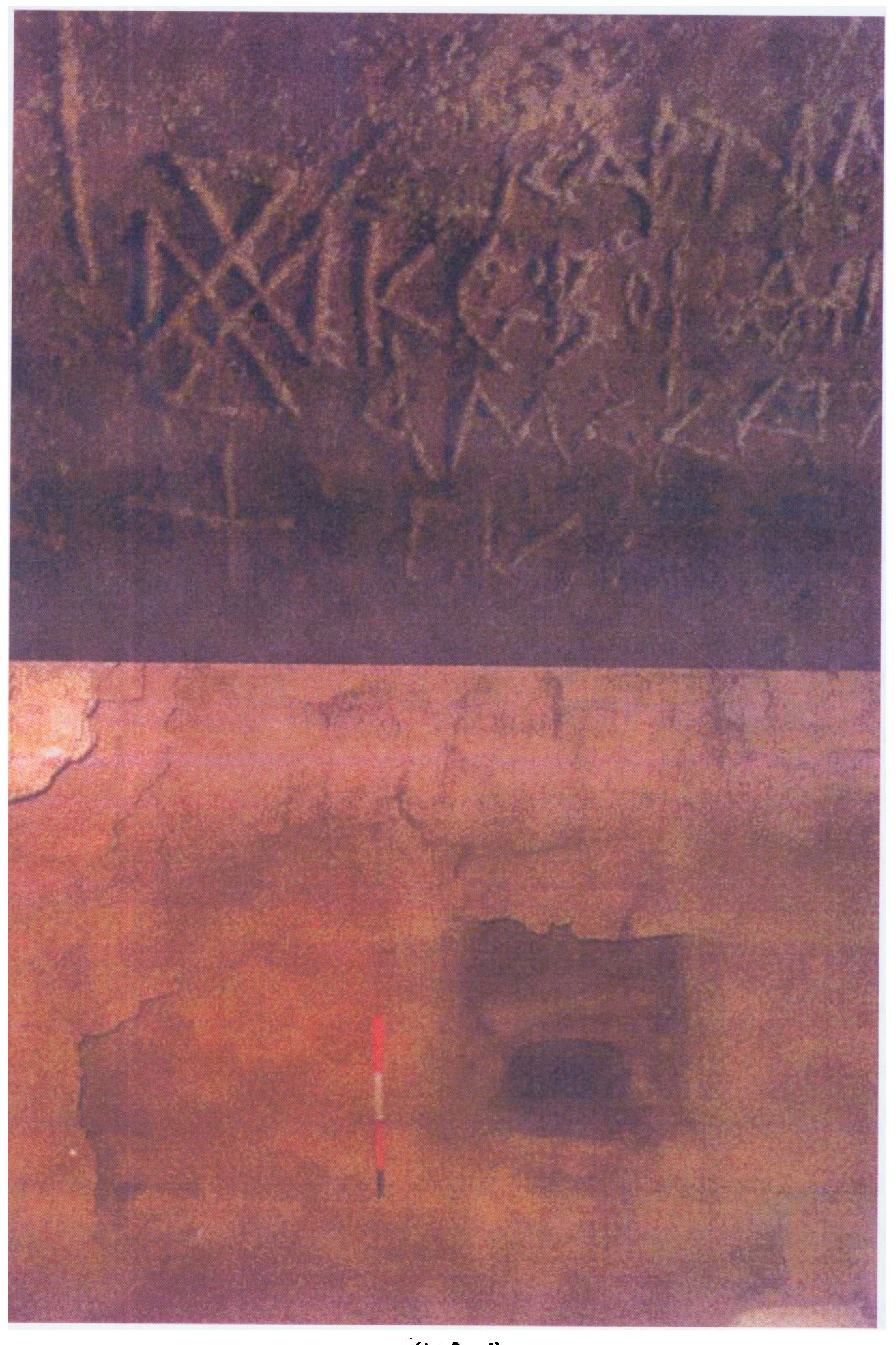
الصهريج نفسه يقع تمامًا تحت ما سمى بالمبنى الأثرى، أما الجزء الغربى من الجزيرة فقد اكتشف به صهاريج، حيث كانت الجزيرة محرومة من المصادر الطبيعية للمياه العذبة، وكانت الطريقة الوحيدة للحصول على الماء لاستخداماته الأساسية هى تجميع مياه الأمطار. فى هذا الجزء الغربى، وهو المنطقة التى عانت بسبب وجود محاجر حجر رملى أحدث، توجد عدة أشكال لتجميع مياه الأمطار. ولما كانت قد تكونت وتشكلت عبر الزمن فإنها تتداخل وتتشابك بعضها مع البعض، وأشكالها الأثرية غريبة.

(1) Italian archeological mission at Alexandria of Egypt, report 2001.

(تقرير غير منشور - ادارة الآثار الغارقة)

- نظام التزود بالماء:

هناك حجرة من المبنى الأثرى داخل الحصن تحمى بئر الصهريج الواسع ولها حوض لتصفية الماء، التفجيرات التى استعملت فى تدريبات الجيش فى العصر الحديث دمرت جزئيًا جدران نظام التزويد المائى لكن ما زال يمكن التعرف على ملامحها الرئيسية. فوهة البئر محمية بواسطة مكعبات حجرية دائرية هى الآن محطمة، جزؤها الداخلى لها قطاع مربع وتهبط إلى عمق ٦,٤٠ متر **(لوحة١٠)**، البئر تؤدى إلى صهريج تحت أرضى واسع جدًا اكتشف كاملاً.



(لوحة ١٠)

هذه البئر ليس لها شيء يوصل إلى القعر، بمعنى أنها استخدمت فقط لرى الماء على السطح، وأن للصهريج مخرجًا آخر يسمح بالصيانة.

الصهريج نفسه له شكل نفق متعرج غير منتظم **(لوحة ١١)** باتساع ٨٠ سم وارتفاع ١٨٠ سم، يصل إلى الجنوب نحو ١٦ مترًا قبل الوصول إلى البحر، والواقع أنه حدث هبوط جيولوجى حطم أو دمر الجزء النهائى من هذا الصهريج، حيث هو الآن غارق فى البحر مع ما تبقى من الجزيرة. الصهريج لم يحفظ فى حالة جيدة إلى وقت طويل بعد بنائه، وهناك جدار داخلى بُنِىَ ليفصل النفق عن البئر. أبعاد الصهريج قد نقصت بالنسبة إلى البئر نفسها. وجدت نقوش بيزنطية ومن العصور الوسطى على جدران النفق تظهر أن الصهريج لم يكن يحوى ماء فى ذلك الوقت **(انظر لوحة ١٠)**، وأن النفق الخالى قد استعمل للحماية بمرور الوقت حتى حرب نابليون.

حوض صغير فى إحدى الحجرات استعمل لتصفية أو صب الماء الخارج من الصهريج، وواضح أنه بنى بعد معكب البئر، حيث يتصل به أنبوب تفريغ الماء. وقد وجدت أرضية صهريج آخر مربع لجمع ماء المطر يبلغ عرضها ٦٤ سم إلى الشرق من المبنى.

الماء الموجود فى المكان كان يجمع فى صهريج كبير تحت الأرض خلال أنابيب من الفخار جيدة الحفظ جدًا حيث تخترق ارضيات الحجرات.

- التاريخ:

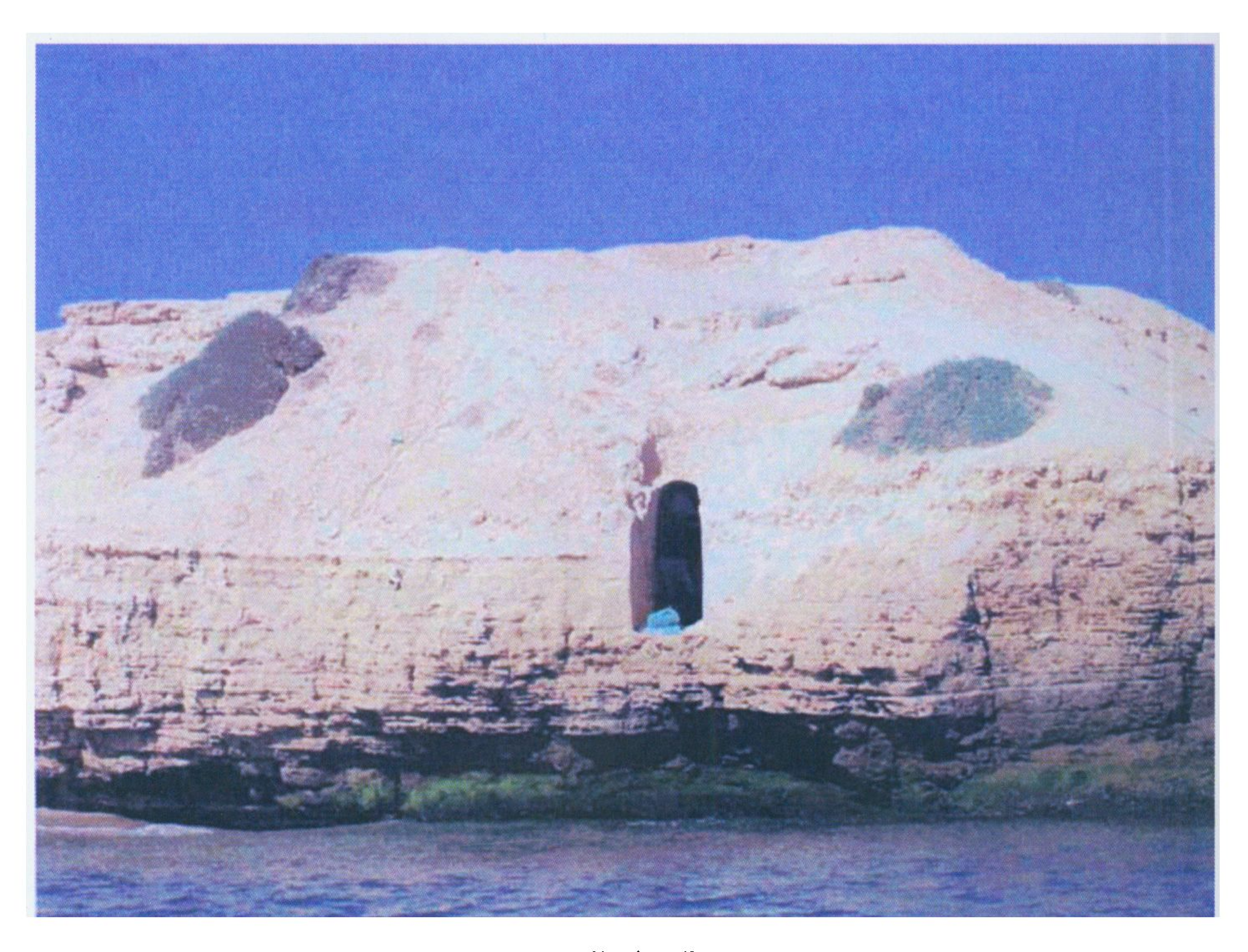
إن الفخار الذى وجد فى الحجرات فى الموقع يؤرخ للفترة من نهاية القرن الرابع ق. م إلى بداية القرن الثالث ق.م. وختمان من أختام الأمفورات من أواخر القرن الرابع إلى بدايات القرن الثالث ق. م وجدا أيضًا داخل حوض التصفية

الموجود بإحدى الحجرات، وهما يظهران أن نظام إمداد الماء والصهريج قد أنشئا واستخدما خلال العصر البطلمى المبكر.

والحصن والمبنى الذى بداخله مثل الصهريج قد هجرا نهائيًا فى أوائل القرن الثالث ق. م ، ولم يعد لهما استعمال قط. بعض الفخار النادر الموجود يشترك فى أنه يبين أن الحفرة قد اكتشفت فى العصر الرومانى قريبًا من البئر. على كل فالبئر والحوض لم يستعملا لاحقًا لتجميع الماء، وليس هناك أى فخار بطلمى أوبيزنطى وجد بداخلهما فقط فإن الجزء المحطم من الصهريج استمر خلال الفترة البيزنطة والعصور الوسطى كنوع من الحماية.

وقد أثار تاريخ إنشاء هذه الصهاريج كثيرًا من التساؤلات: التساؤل الأول يتعلق بهدف إنشاء هذه الصاريج. فهل كان الغرض منها توفير الماء لمستوطنى أرض الجزيرة أنفسهم؟ أو الغرض منها هو تزويد السفن المارة عبر هيراكليون بالماء للحد من كثافة السفن فى الميناء؟ أما التساؤل الأشمل والأعم فهو يتعلق بالدور الذى تلعبه الصهاريج فى الإسكندرية بوجه عام[1]، فإن الباحثين والمؤرخين يتحدثون عن أن هذه الصهاريج كان يملؤها فيضان النيل، إلا أن الصهاريج فى جزيرة كانوب، والتى كانت وظيفتها تجميع مياه الأمطار فحسب، تشير إلى أن الأمطار الغزيرة بالإسكندرية كانت قادرة على ملء حاويات ضخمة أيضًا، مما يضمن نقاء المياه وقصر الوقت المطلوب لتقطيرها، وهو الذى يعتبر معروفًا بالنسبة إلى وجود صهاريج فى الإسكندرية لتجميع مياه الأمطار فعلاً.

(1) Paolo Gallo, op. cit 142 - 143.

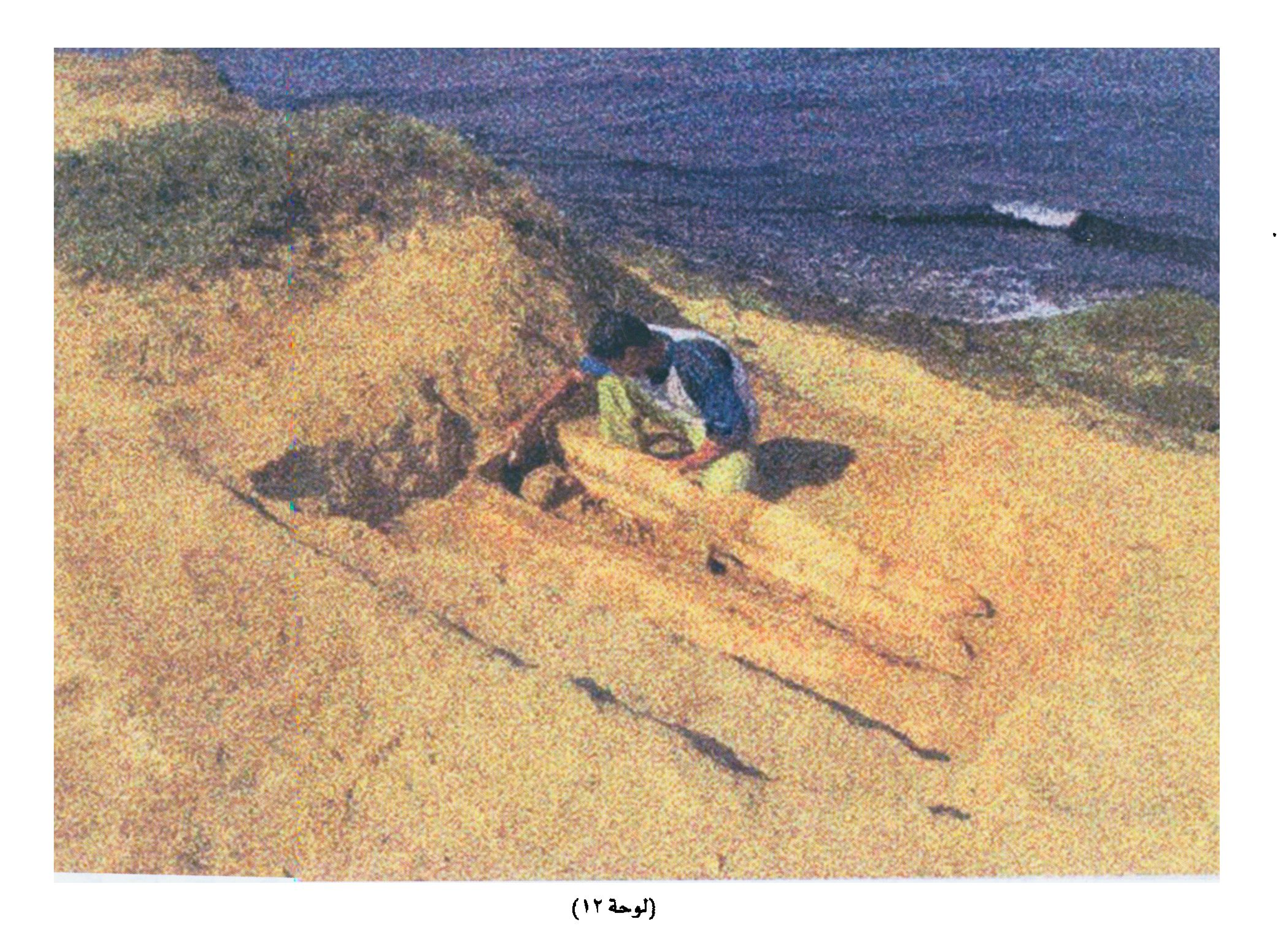


(لوحة ١١)

جزيرة كانوب (نلسون) مدخل الصهريج

- المقابر

فى المقطع فى المنحدر الذى يفصل الجزء الغربى من الجزيرة عن النتوء الشرقى الداخل فى البحر تبين وجود مقبرة تحتية نحتت فى الصخر، هذه المقبرة تعرضت للسرقة فى فترة سابقة. ويوجد نفق أو أنبوب نحت فى الصخرة، ولم يستكمل اكتشافها وهى تؤدى إلى حجرة رئيسية. فى الجدار الأمامى أو المواجه توجد حجرة صغيرة بها تابوت صنع من الحجر الجيرى صمم على الطراز المصرى، وقد تعرض للكسر نتيجة السرقة. (**لوحة ١٢**).



(لوحة ١٢)

أيضًا عثر على نوع مقابر (مقابر من طراز الفتحات أو اللوكولى) Louculus منحوتة فى الجدار الجنوبى وما زالت تحتوى على مومياوات ما زالت فى مكانها الأصلى، وقد دفنت بدون تابوت، مما أدى إلى تعرضها للملح والرطوبة وتسرب مياه الأمطار؛ الأمر الذى أدى إلى تكوين مادة سوداء حولها أو تفحمها. هذه المقبرة(*) يبدو أنها ترجع إلى عصور متأخرة، وتظهر أن جزيرة كانوبوس كانت مهمة للدفن(1)، ولقد أدى هطول الأمطار إلى الكشف أيضًا عن تابوت من الحجر الجيرى فى المنطقة الجنوبية من شاطئ الجزيرة، ويبدو أن هذا التابوت أيضًا من العصر المتأخر.

تم الكشف عن مقابر للمومياوات مغطاة، والجزء العلوى مزخرف بأقنعة جبسية ملونة بالأزرق والأحمر ورقائق الذهب، والأصباغ بدأت ألوانها تخف. بعض القلادات المصنوعة من أصداف البحر وجدت فوق هذه المومياوات. هذه المقابر وبعض الأوشابتى المصنوعة من الأحجار الجيرية وجدت مبعثرة فى المناطق المجاورة، ويبدو أنها ترجع إلى الفترة من نهاية عصر الأسر الفرعونية إلى العصر البطلمى.

- **المقابر المصرية من (هيبوجن)** تقع فى المنحنى الفاصل بين البروز (النتوء) الشرقى وبقية الجزيرة، ولم تعثر على شىء داخل المقبرة الخالية من أية نقوش. وترجع الأجزاء التى وجدت فيها وأيضًا شكل المقبرة إلى العصر الفرعونى المتأخر.

(*) طراز الفتحات ظهر فى العصر البطلمى، وهو طراز مستورد من فينيقيا، وموجود فى كل المقابر السكندرية تقريبًا.

(1) Italian archeological mission at alexandria of Egypt, report 2001.

(تقرير غير منشور - إدارة الآثار الغارقة)

- **المقابر الجنائزية:** بسبب الانجراف قد اكتُشِفتْ بعض المومياوات فى الجزء الجنوبى من الجرف الصخرى فى وسط الجزيرة، وقد انتُشِلَتْ مومياوتان من قبل البعثة المكتشفة، حيث إن جزءًا من عظامهما كان غارقًا فى البحر، فى حين أن المومياء الثالثة وهى الأحسن حالاً تركت فى المكان، يبدو أن المومياوات ترجع إلى العصر الفرعونى المتأخر أو بداية العصر البطلمى، كما أن بعض تماثيل الأوشابتى التى وجدت مبعثرة فى المنحنى الشمالى تنتمى إلى الفترة نفسها.

كذلك اكتشف فى الجزء الغربى للجزيرة من الناحية الشرقية للنتوء الداخل فى البحر بعض الأدوات من الحجر الصوان وجدت مبعثرة على التربة، ربما أحضرت من الجزء الغربى بواسطة تيار الماء.

كذلك فإن بعض قطع من القلائد والأساور المصنوعة من العظام أو العاج بقطر ٥ مم وجدت مباشرة بجانب أدوات الحجر الصوان، وهذه القطع لم توجد فى مواقعها الأصلية، وتؤيد فكرة أن جزيرة كانوبوس كانت فعلاً دائمًا موجودة منذ العصور القديمة، وذات صلات تجارية أيضًا، حيث إن إحدى الأدوات التى عثر عليها من الصوان ليست صناعة مصرية[1]، بل هى صناعة إيجية، مما يثبت صحة أن كانوبوس كانت أيضًا الباب التجارى لدخول مصر.

لقد كان اللسان الشرقى يمثل امتدادًا لليابسة فى البحر، وقد ثبتت أهميته العسكرية؛ فمنه يمكن ملاحظة حركة الملاحة فى مدينة هيراكليون التى كانت من أهم موانىء مصر قبل تأسيس الإسكندرية، وكانت الثكنة العسكرية عند هذا اللسان الشرقى من أهم المعالم الباقية التى تمثل العصر البطلمى المبكر فى الإسكندرية، وربما تكون هى المثال الوحيد للحصون الهلينستية[2] فى مصر. ومن

---

(1) Ibid.

(2) Paolo Gallo Archaeological society of Alexandrie, op. cit.

المحتمل أن هذا الحصن أقيم للسيطرة على مدخل الفرع الكانوبى للنيل، وليستخدم كمحطة دفاعية عند حدوث أى هجوم[1]. وقد زود مثل جميع القلاع اليونانية بالصهاريج التى تتجمع فيها الأمطار لتأمين الحياة وقت الحصار، وزود بحجرات سفلية لتخزين الطعام، ويمكن من خلال هذه المكتشفات والحفائر القول بأن الثكنة العسكرية السابق اكتشافها قد هجرت تمامًا فى بداية القرن الثالث ق. م وبعد رحيل الحامية العسكرية عنها، ولم يستغل هذا الجزء من الجزيرة حتى عصر نابليون[2].

كانت كشوفات الأمير عمر طوسون فى أوائل القرن الماضى قد أثبتت وجود هيراكليون تحت الماء، مؤكدًا أن كشفه هذا لا يقبل الشك، ومع تقدم العلم الحديث من تطوير لإمكانات البحث العلمى من أجهزة ومعدات متطورة انتهى بها هذا القرن ليعلن فى نهايته تأكيد ما قام هذا الأمير المثقف من استنتاجه نتيجة لبحثه وكشفه لمنطقة خليج أبى قير.

كذلك ما قام به كل من بوتى وبرتشيا لتوقيع مدينة كانوب، حيث امتدت الاكتشافات الحديثة إلى جزيرة نلسون، والتى كانت تسمي جزيرة كانوب، والتى تُعد فعلاً جزءًا من مدينة كانوب.

هيراكليون (لوحة ب)

لقد بدأت أعمال الاكتشافات التى قامت بها بعثة المعهد الأوروبى بالاشتراك مع المجلس الأعلى للآثار بالمسح الأثرى عام ١٩٩٦، وبدأت أعمال الكشف الأثرى عام ١٩٩٧ فى منطقة خليج أبى قير، والتى استمرت حتى عام ٢٠٠٢، وكان من نتيجتها اكتشاف موقع هيراكليون ومينوتس.

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.



قطعة موزاييك تذكر اسم مدينة هيراكليون وجدت فى تل الروساس قرب مادايا بالأردن (ب)

إن نتيجة البحث الإلكترونى أعطت نتائج مهمة بالنسبة إلى المواقع الأثرية ذات الأهمية الكبيرة، وذلك على بعد ستة كليومترات ونصف من ساحل أبى قير.

لقد التُقِطَ عدد كبير من الصور لقاع الخليج أدى إلى نوع من الاكتشاف العام للخليج وذلك تم باستعمال (السونار) وأجهزة الماجناتيك، والتى تكشف عن أية مواد أثرية سواء أكانت معادن أو أحجارًا أسفل رمال القاع بعمق من ٥ إلى ١٠ أمتار تحت الرمال، كذلك استخدام جهاز تحديد المواقع الجغرافية Global Positioning System (G. P. S)، وقد بينت تلك الصور حدوث اجتياج للساحل[١]. وثبت وجود بعض العناصر فى الرمال على أنها تشير إلى وجودها فى ذلك الوقت وقت حدوث هذا الاجتياح، وتوضح أيضًا مناطق كثيرة جدًا أصبحت متحجرة أو صخرية قد كانت موجودة فى خليج أبى قير. **(لوحة١٣)** لكن نظرًا إلى أن الرؤية لم تكن واضحة تمامًا تحت الماء، حيث إنها تبلغ نحو ٣٠ سم فقد كان من الصعب العمل بسهولة فى ذلك الموقع.

كذلك فإن التحوارات التى حدثت لهذه العناصر جعلتها على شكلها الراهن لا تشبه أشكالها الأصلية، حيث أصبحت صخورًا ليس لها شكل معين، فمثلاً هناك قطعة لا تمثل شكلاً معينًا عندما اكتشفت كانت كتلة عرضها من ٦٠ سم إلى ٨٠ سم وُجِدَ أنها من الحجر الجيرى المنحوت.

كذلك مثلاً كشف عن ممر من الموزاييك طوله نحو ٥٠ مترًا وهكذا. كذلك فقد تم عمل خريطة مغناطيسية أشارت إلى شبكة بطول غير عادى باتجاه الشمال - الشمال شرقى، الجنوب - الجنوبى غربى، وهى أساسًا فى منطقة تبلغ مساحتها ٧٠٠ متر × ١٥٠٠ متر[٢].

(1) Heracleion, Institut europeen d'archeologie sous marine,rapport de mssion 2002

(تقرير غير منشور - إدارة الآثار الغارقة)

(2) Ibid.

هذا الموقع المتميز يعد الأكثر أهمية، حيث إنه يكشف عن كثير من الأهداف الأثرية التى تبرز من خلال الرواسب الموجودة فى القاع، وتدخل ضمن منطقة القياس المغناطيسى **(لوحة ١٤)**.



(لوحة ١٣) ساحل الإسكندرية وخليج أبى قير

(لوحة ١٤) خليج أبى قير الحفائر الفعلية

لقد استخدمت البعثة الأثرية الفرنسية فى اكتشاف هذا الموقع، وهو موقع خيلج أبى قير، الأسلوب العلمى نفسه الذى استخدمته فى اكتشاف الميناء الشرقى الغارق وعمل خريطة له، إلا أن الموقع هنا كان أكثر صعوبة نظرًا إلى كبر المساحة، إذ كان يشغل رقعة كبيرة من الأرض مطمورة الآن تحت البحر فى خليج أبى قير الواقع فى نطاق الإقليم الكانوبى **(لوحة ١٥)** وخاصة منطقة هيراكليون، وبينما نجد الميناء الشرقى بالإسكندرية كما سيتضح فيما بعد، كانت إمكانية المسح الطبوغرافى فيه أيسر؛ الأمر الذى أدى إلى تحديد نوعية المبانى الغارقة، وذلك بمساعدة ما تيسر من معلومات ساعدت فى عملية التنقيب.

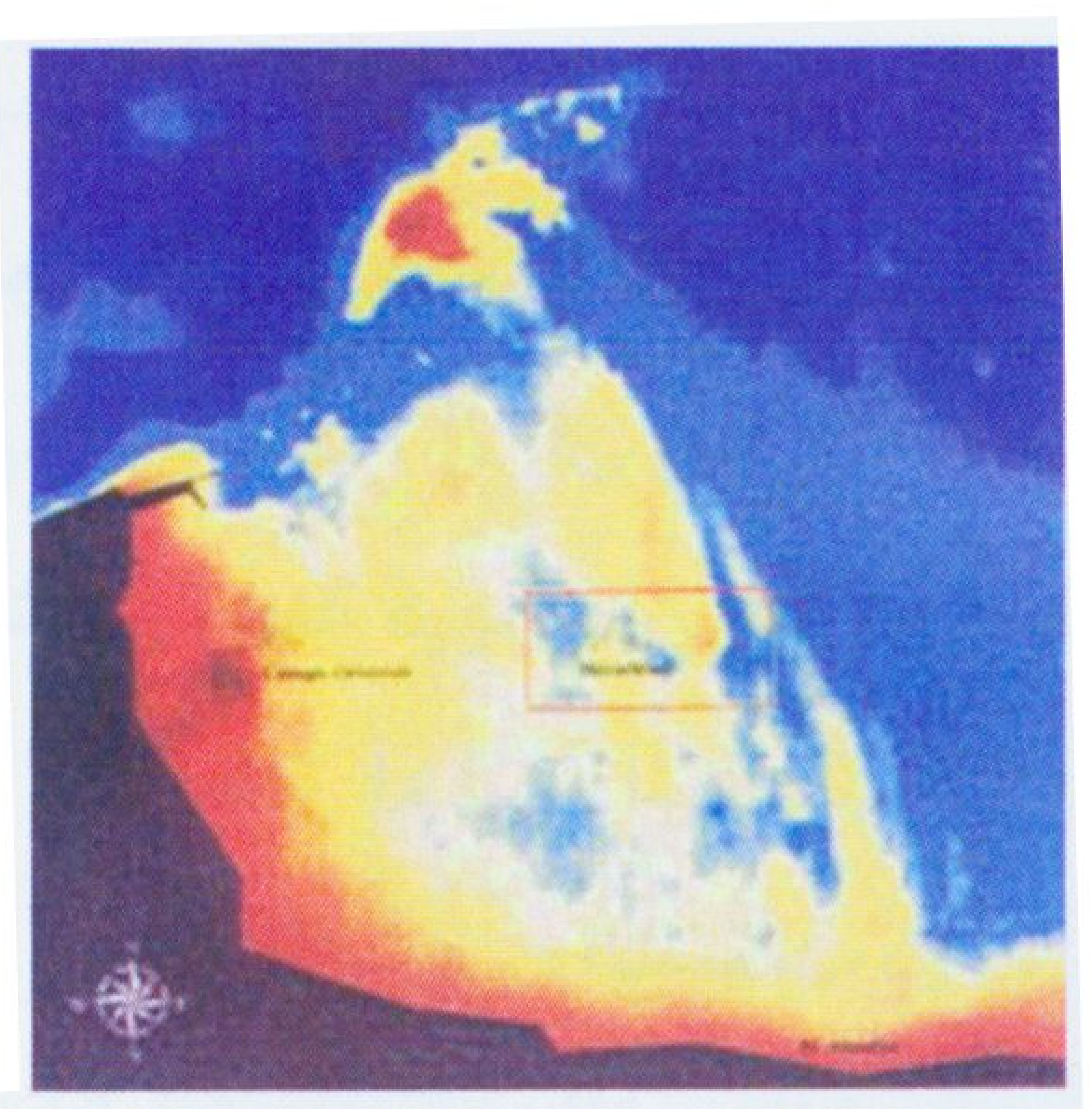
أما فى حالة هيراكليون فالأمر يختلف؛ إذ يظهر نوع من التماثل ظاهريًا وأحيانًا طبيعيًا بين الأرض التى غرقت قديمًا وعمق الميناء والقنوات المائية.

نجد بعض الأراضى الغارقة **(لوحة ١٥)** بفعل الهبوط وانزلاق الأرض ذات مستوى يماثل أو ربما منخفض أكثر من أعماق الموانىء الملاصقة لها. ونجد أن أعماق هذه الموانىء لم تحتمِ هى نفسها؛ بل نجدها قد قاست - كما المنطقة حولها - من ظاهرة التآكل، تلك المتسببة عن اضطراب الأمواج، فهذه الأمواج المضطربة دائمًا ما تسبب فى تآكل أو تعرية القاع الطمى.

على أن الترسبات التى تغطى الأرض الواسعة أو السهلية التى كانت موجودة فى القديم قد انتزعت أرضية أعماق الموانىء والأجزاء التى غرقت فى القديم، وظهرت الآن كسطح مستو مغطى متناسق كسجادة من القواقع سمكها نحو ١٢ سم وفوقها طبقة من رمال البحر[1].

---

(1) Ibid.



CORDON LITTORAL
DE
DUNE DE SABLE

BRANCHE CANOPIQUE

HERACLEION

E 30° 4' E 30° 5' E 30° 6' E 30° 7' E 30° 8' E 30° 9' E 30° 10' E 30° 11'

N 31° 22' N 31° 21' N 31° 20' N 31° 19' N 31° 18' N 31° 17' N 31° 16'

12000 10000 8000 6000 4000 2000 0

0 2000 4000 6000 8000 10000

(لوحة رقم ١٥)

(لوحة ١٥) الأراضى الغارقة فى الاقليم الكانوبى هيراكليون

قسم هذا الموقع، والذى يبعد عن الشاطىء بمسافة ٦ كليو مترات تقريبًا إلى ثلاثة مواقع ذات مجموعات أثرية رئيسية، ووُضِعَ خط محور من الشرق إلى الغرب بطول ١٥٠ مترًا.

(١) موقع رئيسى يرمز إليه H1 (HI OA)

(٢) موقع شمال غرب الموقع الرئيسى H2 (H2 OA)

(٣) موقع شمال شرق الموقع الرئيسى H3 (H3 OA)

(٤) موقع يمتد من الشمال إلى الجنوب H4، وهو موقع المعبد.

١- موقع *H1*:

لقد اكتشف هذا الموقع فى صف كبير جنوب البقايا التى أمكن معرفتها من العناصر البارزة أوالظاهرة من الرواسب التى رُصِدتْ بواسطة السونار الشاطئى، وقد حدد امتداده فى الاتجاه والطول بفضل التنقيبات. وقد اكتشف بهذا الموقع[1].

- بقايا جدار كبير بنى من الحجر الجيرى بمقاسات طوب اختلفت أبعادها بين:

١- الطول ١٣٥ سم إلى ٦٠ سم.

العرض ٨٠ سم إلى ٤٠ سم.

السمك ٧٠ سم إلى ٤٠ سم.

---

(1) Ibid.

هذه البقايا الأثرية تحتوى أحيانًا على ما يصل إلى ٣ طبقات من الكتل المتراصة بعضها فوق بعض، الطبقة الأولى هى الطبقة التى تقع على طبقة الطمى السفلى. لقد لوحظ فى مواقع مختلفة طبقات من عناصر نباتية يبدو أنها تهيأت أو استقرت على الطبقة الأولى من الكتل الحجرية، الجدار يحتفظ بطول نحو ١٤٠ مترًا واتجاهه عامة إلى ٧٥° ، ويظهر تراجعًا أو تفككًا صافيًا من ٤,٥م إلى ٣٤ مترًا من نهايته الغربية، وفى هذه النقطة هناك جزء يحتفظ جيدًا بكتل مرتبطة تشير إلى رصف أو رصف منتظم باتجاه شرقى - غربى إلى شمال التراجع أو التفكك الغربى، وفى الوسط من هذا الجزء نجد نوعًا من البناء على طراز مختلف تمامًا[1]، يبدو أنه بقايا بناء كان مستديرًا من المونة والطوب المستخدم بمقاسات ٢٠ سم × ٢٠ سم، والقطر الداخلى للبناء ١٦٠ سم، وسمك الجدار نحو ١١٠ سم، وقمة هذه البقايا التى تتجاوز الرواسب أمكن معرفتها بواسطة السونار.

- نجد أيضًا أنه إلى نحو الشمال من هذا بنحو ١٨ مترًا ظهر جدار آخر يحتوى على ست طبقات من كتل الحجر الجيرى المتراصة متوازية نحو الجدار الجنوبى. الشكل الدرجى أو السلمى المتجمع يشير إلى أن قاعدة الجدار يبدو أنها قد تعرضت لانهيار أرضى من ناحية الجنوب **(لوحة ١٦)**.

هذا الجدار قد بنى بأنواع من الحجر الجيرى الطويلة قليلة السمك متوسط حجمها كالتالى:

إما ١٢٠ سم × ٤٠ سم × ٤٠ سـم.

وإما ١٢٠ سم × ٣٠ سم × ٣٠ سم.

(1) Ibid.

والأحجار مرتبة بحيث إن الطول يكون عموديًا على محور الجدار.

وقد احتفظت هذه البقايا على وجه الخصوص بحالتها الجيدة فيما بينها فى مناطق الجوانب من ٢٢٢ حتى ٢٣٠ من خط القاعدة.

هناك كتل أخرى من هذا الشكل السابق نفسه ظهرت منتشرة أو مبعثرة على الخط نفسه نحو الغرب من تركيز على الجوانب ١٧٦° حتى ١٨٥° [1].

(1) Ibid.



(لوحة ١٦)

جدار من كتل الحجر الجيرى بأطوالها عمودية على محور الجدار. المنظر مأخوذ من الواجهة الجنوبية للجدار - إلى أعلى قبل التنظيف من الرواسب والصورة إلى أسفل بعد التنظيف (عن المعهد الأوروبى للآثار)

وقد أجريت أيضًا حفائر أخرى تجاه شرق - غرب الموقع (H1) للجوانب من ١٧٥ حتى ١٩٠ بعرض ٥ أمتار، وفى اتجاه شمال - جنوب بعرض ٤ أمتار وطول ٢٥ مترًا[1]. وكان من نتائج حفائر هذه المنطقة اكتشاف سجادة من حشف البحر أو ما يعرف بالقواقع البحرية بسمك ١٢ سم تحت طبقة من الرمال البحرية المحتوية على عناصر جيرية (كسرات، أحجار، كتل صغيرة مبعثرة) تخللت كتل الحجر الجيرى الكثيفة.أيضًا وجد العديد من القطع الخشبية إحداها عبارة عن قطعة مستديرة قطرها ١٦ سم، بعض القطع الأخرى بأبعاد ١٣×١٠×٢٠،١٠×٢٣،١٣×١٣، وقد رُفِعَتْ هذه الأخشاب لتحليلها من قبل بعثة المعهد الأوروبى[2]. **(لوحة ١٧)**. توجد تحت طبقة الرمال البحرية مع أحجار الجير ذات الحجم الصغير، طبقة رقيقة من الطمى المدكوك، وعلى سطح هذا الطين وُجِدَ فخار، وبعض قطع النقود بكميات كبيرة، وبعض العناصر من البرونز وكلها مبعثرة[3]، هذا الطمى يغطى طبقة من الرمال الطميية مع كسرات من الجير والقواقع. كذلك هناك كثير من القطع الأثرية المهمة من مادة الجرانيت الوردى وجدت فى موقع قريب جدًا من الأوتاد الخشبية، وتم كشفها كما سيرد ذكرها فيما بعد.

- على بعد نحو ٤٢ مترًا نحو الشمال تنتشر بقايا آثار جدار بطول ٣٢ مترًا موازٍ للجدارين السابقين **(لوحة ١٨)**، وتتشكل كتل الحجر الجيرى من الأحجار بمقاسات:

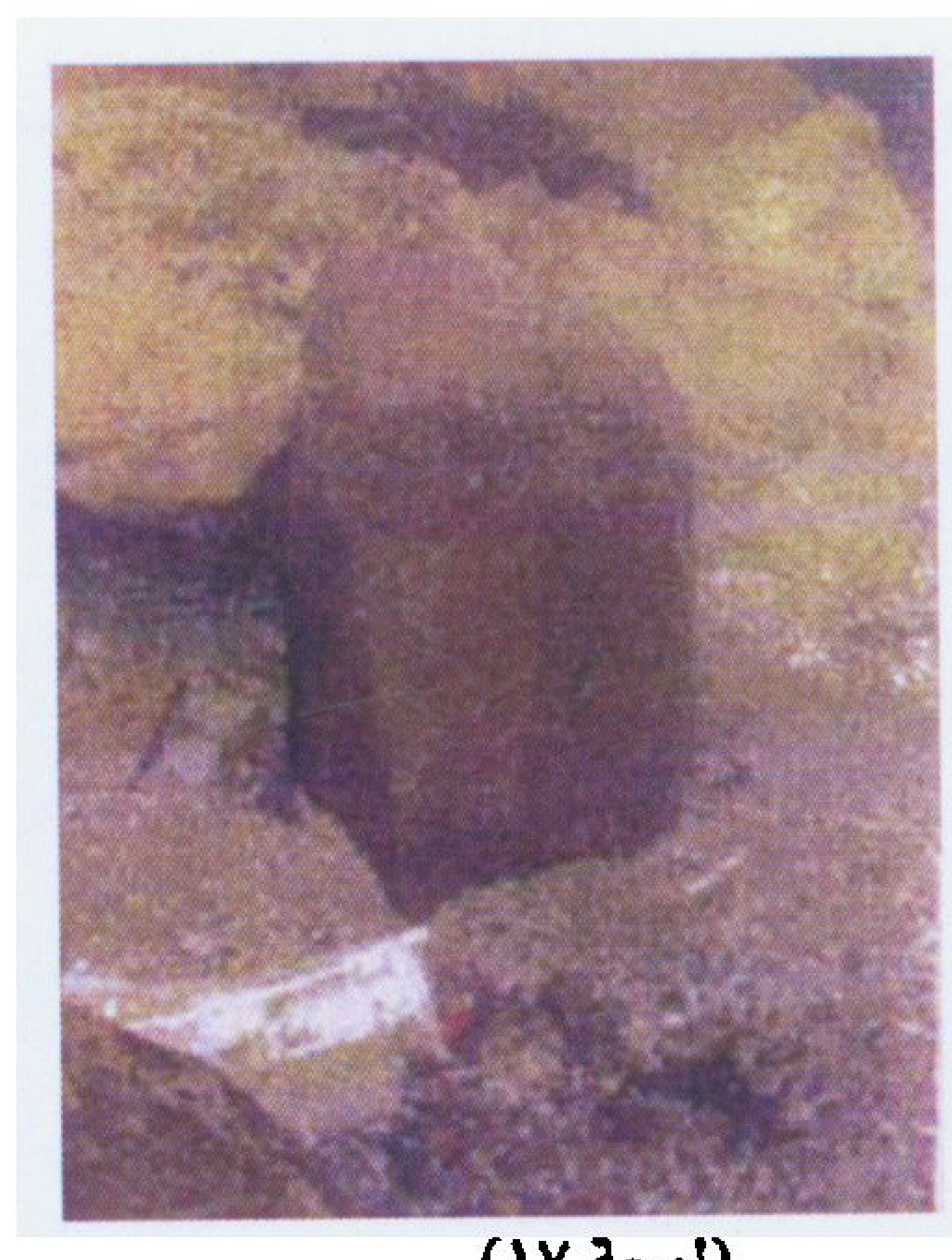
الأطوال بين ١٤٠ سم و ٨٠ سم.
عرض بين ٧٠ سم و ٣٠ سم.
سمك بين ٦٥ سم و ٣٠ سم.

---

(1) Ibid.

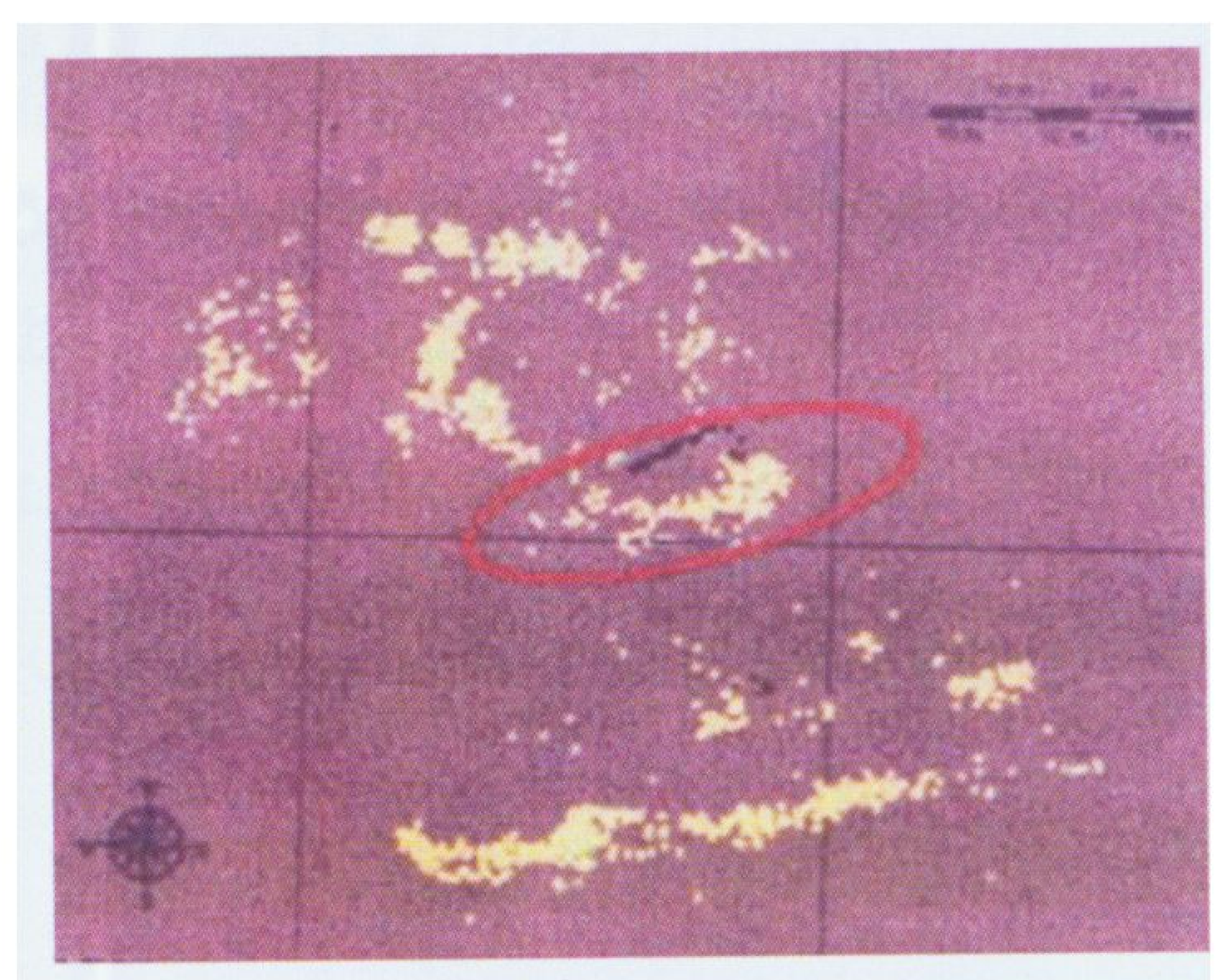
(2) Ibid.

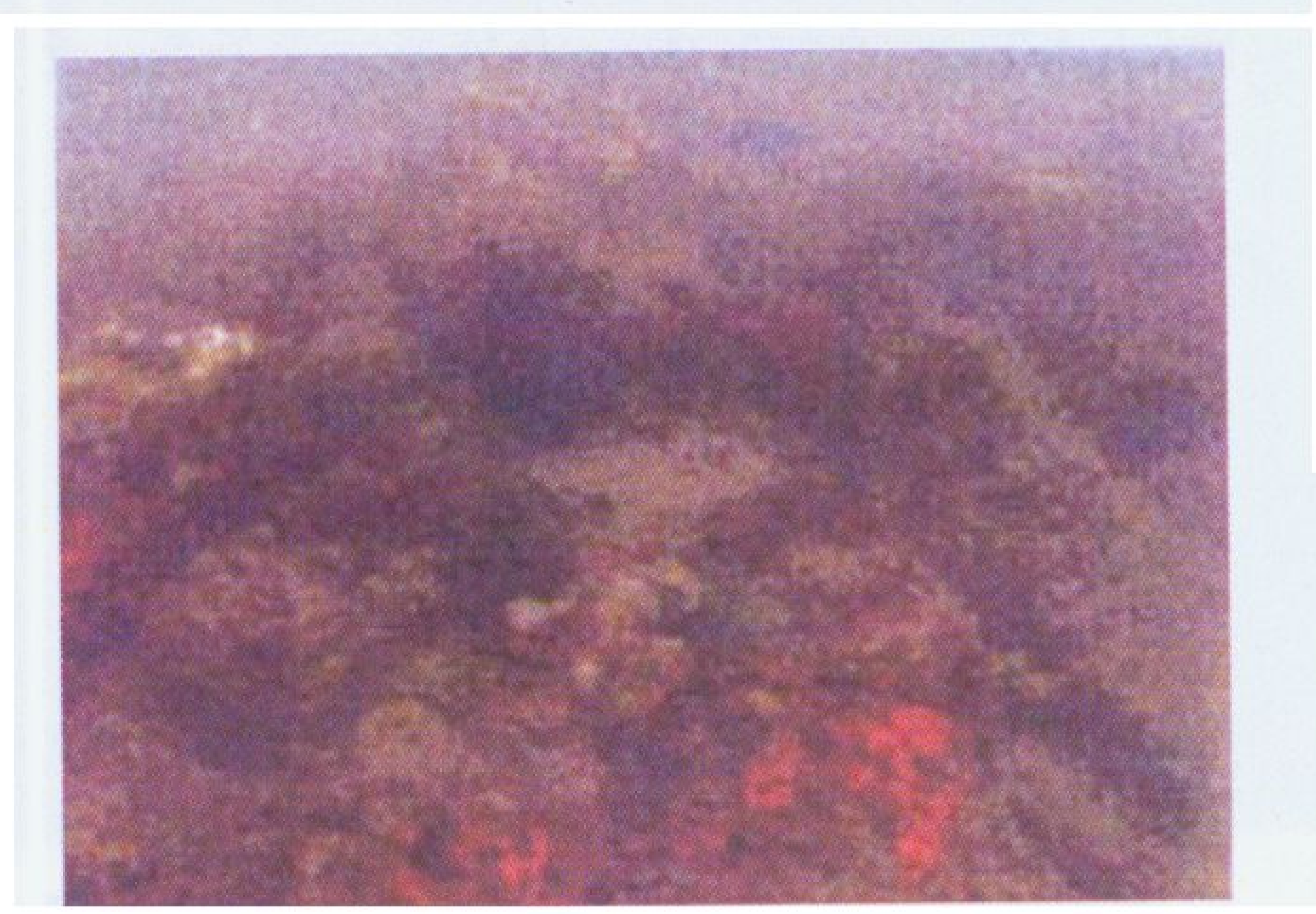
(3) Ibid.



(لوحة ١٧)

وتد من الخشب قطاع ٢٠ سم × ١٠سم ظهرت على الجانب (188.C) (عن المعهد الأوروبى للآثار)





(لوحة ١٨)

جزء من الجدار الشمالى عند اكتشافه وكانت الجزء الأكثر ظهورًا فى موقع الهيراكليون (عن المعهد الأوروبى للآثار)

الجزء الشرقى يشير إلى كتل متصله أحيانًا على طبقات بعضها فوق بعض.

الجدار الشمالى المبنى من الحجر الجيرى عند اكتشافه كان يحتوى على لوحة من الجرانيت الأسود وجدت متجهة ناحية الأرض، الأمر الذى أدى لحسن الحظ إلى الحفاظ على وجه اللوحة سليما والاحتفاظ بالنقوش المحفورة عليها بحالة جيدة. **(لوحة ١٩)**.

إن البحث والتنقيب أديا إلى اكتشاف هذا الجدار الذى كان يتجه إلى الشمال فى بناء مدفون يحتوى على جذوع من الخشب بمقاطع ١٤×١١ سم متشابهة **(لوحة٢٠)**.

- على بعد نحو أحد عشر مترًا إلى الشمال من محور الجدار ينتشر أو يمتد فى شكل صف عشرون وتدًا من الخشب بمقاطع نحو ١٨×١٢ سم على أبعاد متساوية، ومرصوصة فى الاتجاه ٢١٢°. ثم ترجع رأسيًا باتجاه جنوب شرق، وبعض الأوتاد تظهر فى النهاية الشرقية[١] **(لوحة ٢١)**.

- وفى منطقة تقع إلى الشمال والشمال الغربى ظهر نتيجة التنقيب مبنى مركّب واسع من الحجر الجيرى **(لوحة ٢٢)**.

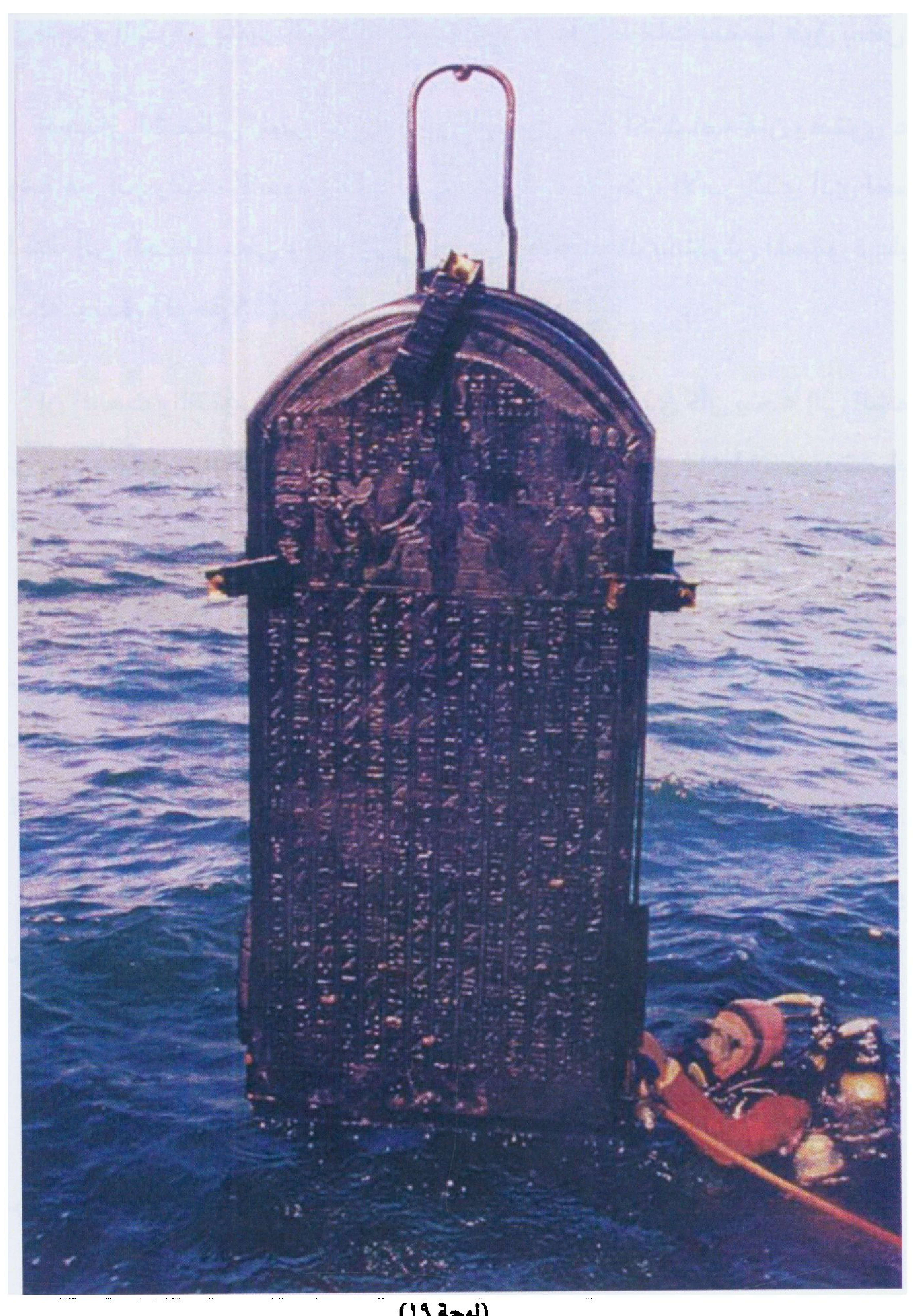
إن اتجاه الجدار يختلف عن اتجاه المبنى المذكور.

وإلى الشرق، يوجد تجمع لكتل من الحجر الجيرى بأشكال ١٤٠×٥٠×٥٠سم مرصوصة على نحو ثلاثين مترًا فى الاتجاه نحو الشمال[٢].

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.



(لوحة ١٩)

لوحة من حجر الجرانيت الأسود من الأسرة الثلاثين (عهد الملك تختانبو)«نخت - نب إف»

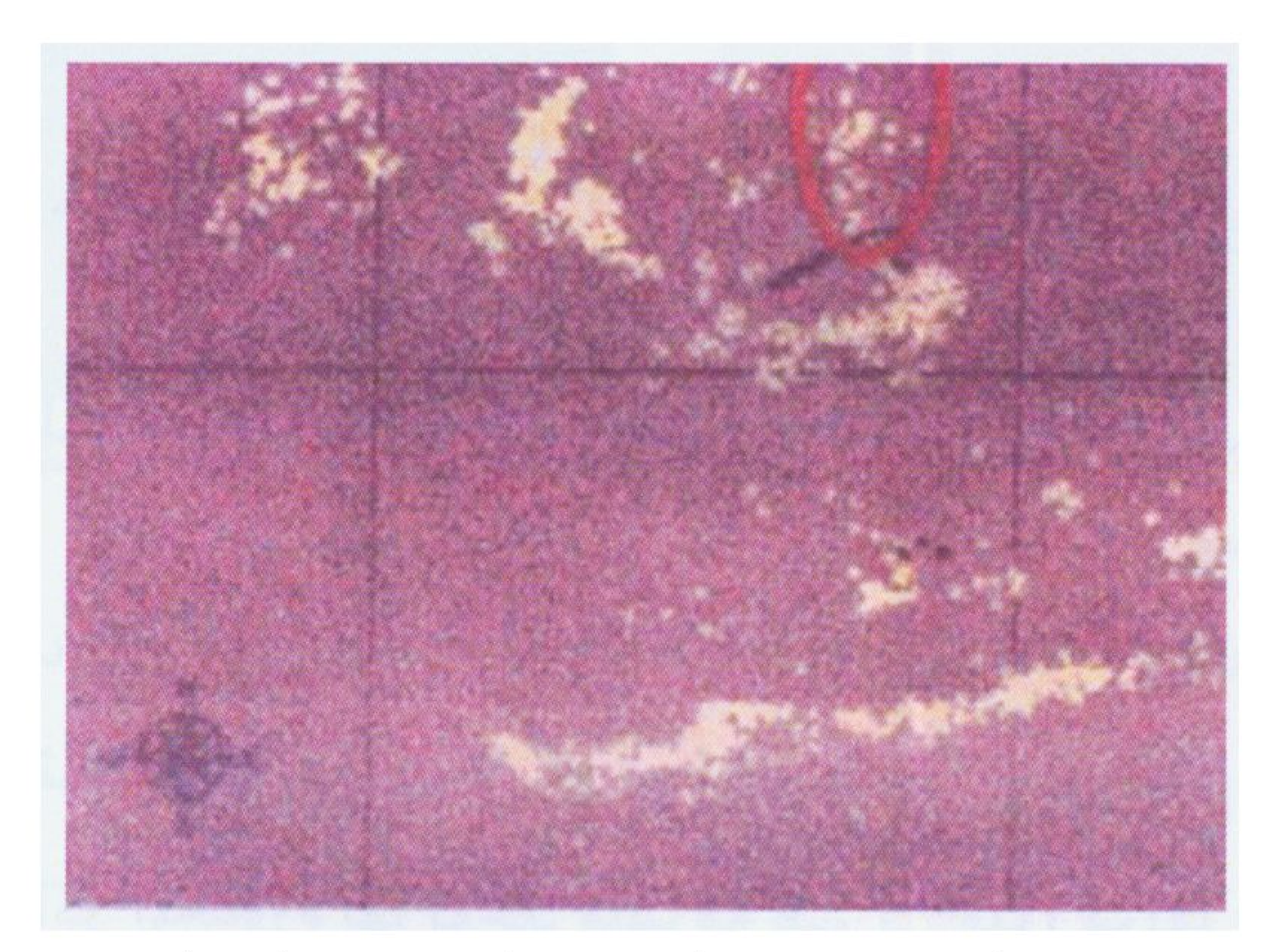
(عن المعهد الأوروبى للآثار)



(لوح ٢٠) منظر عن قـرب للبناء من الخـشب صـورة بعـد تنظيف الرواسب (عن المعهد الأوروبى للآثار)



(لوح ٢١) منظر لصف الأوتاد. صـــورة فى اثناء تنظيف الرواسب (عن المعهد الأوروبى للآثار)



(لوح ٢٢) المبنى المركب م ا لحـجـر الجـيـرى. (عن المعـهـد الأوروبى للآثار)

إلى الغـرب من هذا الخط المرصـوص المذكـور يوجـد جـداران مـرتبطـان بزاوية قائمـة، أحدهما يتجه نحـو ١٢٠° والثانى يتجه نحـو ٣٠° ، وهمـا مشيـدان من كتل الحجر الجيرى بالأبعاد التالية:

طول: بين ١٤٠ سم و ٨٠ سـم.

عرض: بين ٦٠ سم و ٣٠ سـم.

السمك: بين ٤٥ سم و ٢٠ سم.

ووجدت أساساتهما والمناطق السفلية من هذين الجدارين محفوظة في حالة جيدة. وفى بعض من هذه الأمـاكن يوجـد ثلاث طبقات من الـكتل المتصلة ما زالت فى أمـاكنهـا تم اكتشافها. **(لوحة ٢٣)**.

الجدار يتجه نحو ١٢٠° ويظهر فى منتصفه كسر طولى يصل إلى منتصف الكتلة، والطبقـة السفلى من الكتله تتمدد على فـرشـة سميكة من السرو الأخضـر كمـا لو أنهـا وضعت قصرًا أو عمدًا لأنهـا لم تظهر فى مساحـة الحفـائر، ولا كان وضعها على نهاية هذه الجدران. وهنـاك افتـراض آخر، وهو أن هذه المجموعـة السفلى يمكن أن تكون قد كسيت أصلاً بهذه الخضـرة، وأن التآكل الذى حدث لهـا بواسطة البحـر حدث بعد غرق المكان فانتزع منها العناصر القليلة الكثافة[1].

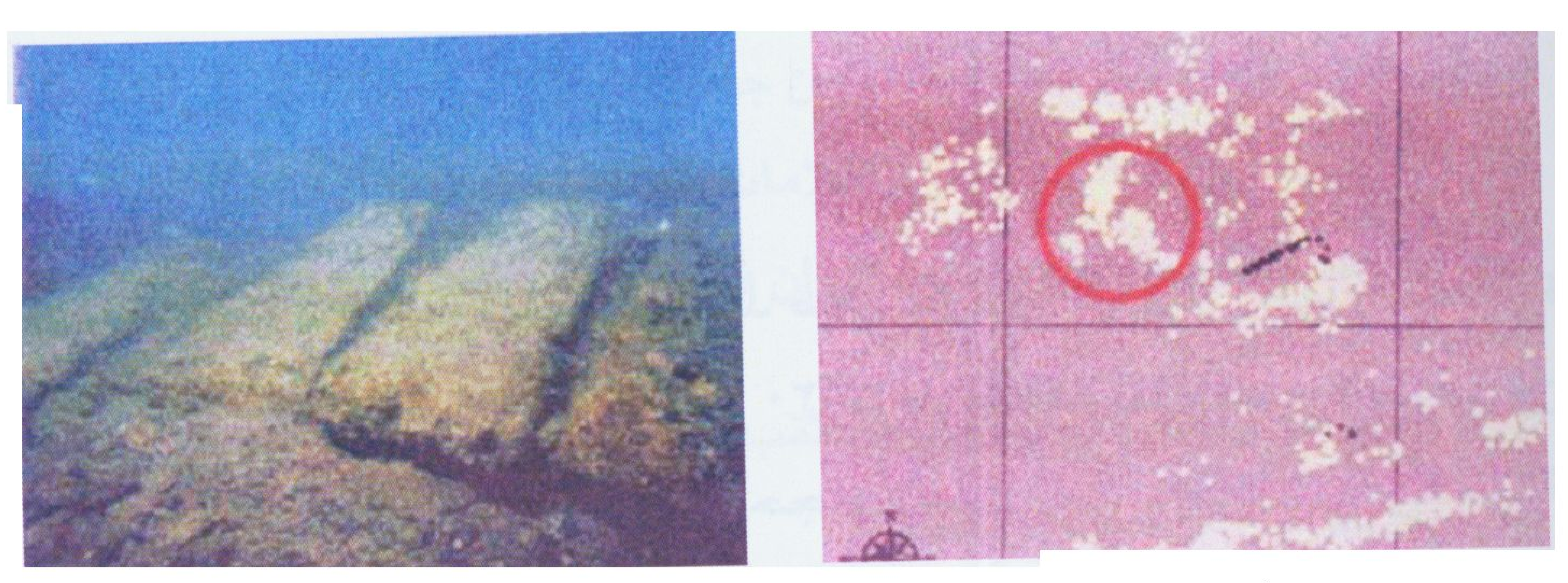
وقد بقيت هذه الأخيرة فقط فى المكان الذى تحميه المنشآت أو المبانى.

لقد وجدت على هذا الموقع المركب الفسيح عناصر من بقايا تماثيل.

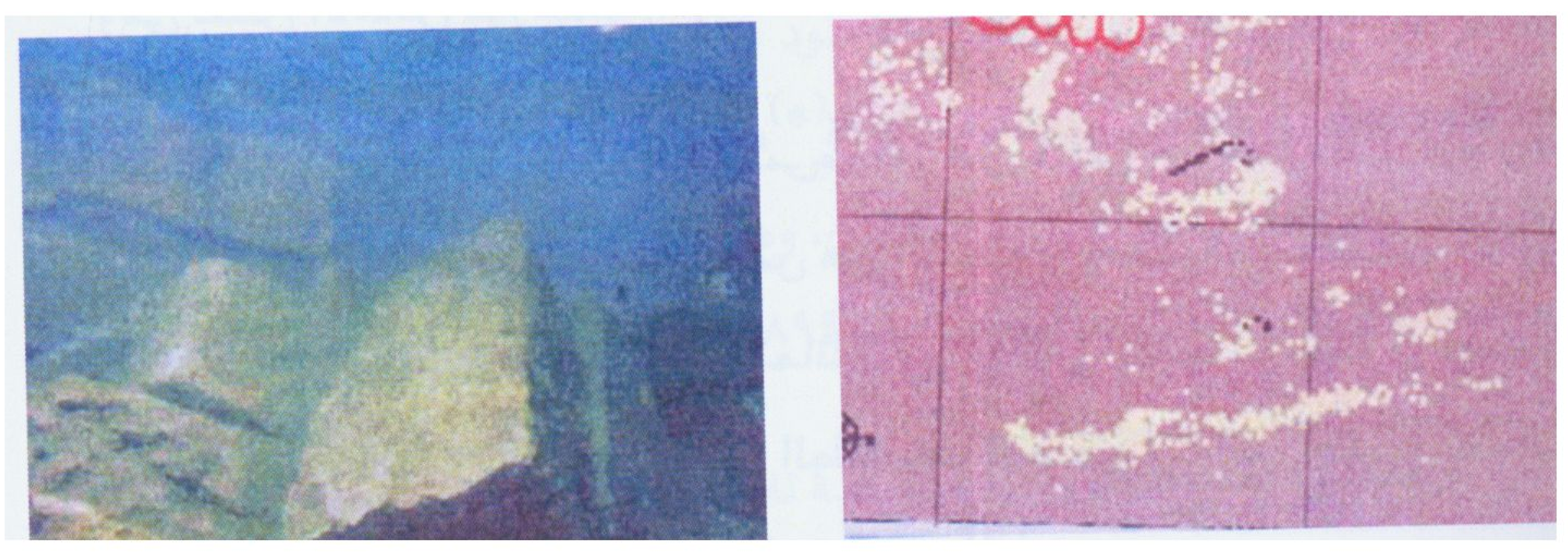
- إلى الشمـال وجد تجمع أو تراكم كبيـر من الكتل من الشكل السـابق نفسـه يصل إلى نحو تسع طبقات متشابكة، يمكن أن تعطى انطباعًا أو يستنتج منها أن تكون أعمدة داعمة مهمة. المراكز المجاورة لها توجد متفرقة فى ١٢ مترًا مربعًا **(لوحة ٢٤)**.

---

(1) Ibid.



(لوحة ٢٣) الحجر الجيرى للجدار المتجة إلى الشمال - شمال - غرب. الصورة بعد نزع وتنظيف طبقة الرواسب التى تبلغ ٣٠سم. (عن المعهد الأوروبى للآثار)



(لوحة ٢٤) كتل الحجر الجيرى لـ ٤ تجمعات مهمة. الصورة بعد تنظيف وإزالة نحو ٢٠٠سم من الرواسب. (عن المعهد الأوروبى للآثار)

أبعاد الكتل التى عثر عليها هى:

الطول: بين ١٢٠ سم و ٦٠ سم

العرض: بين ٦٠ سم و ٢٠ سم

السمك: بين ٥٠ سم و ٢٠ سم

فى مستوى التجمع الشرقى، يوجد صف من كتل الأحجار الجيرية الصغيرة يمتد على طول ٢٠ مترًا، ويتجه نحو ٣٠° داخل منطقة بها مجموعة مراسٍ من الطوب. حول هذا الصف من كتل الأحجار ظهرت تحت الرمال البحرية طبقة أخرى رفيعه من الزلط والحصى النهرى.

فى حفائر فى منطقة جنوب هذا التجمع رُفِعَتْ لقى أثرية من البرونز خاصة بطقوس أو شعائر دينية، وعدد كبير من قطع النقود، وحلى من الذهب، وقطع فخار وعظام حيوانية وآدمية.

وفى بعض الأماكن بلغ سمك الطبقة الأثرية نحو ٨٠ سم.

أيضًا كشفت فحوص الأرض عن شىء يُعد غريبًا إلى حد ما؛ فالتربة تتركب من طبقات مرصوصة بعضها فوق بعض من الطمى والخضرة، والمنقولات الأثرية التى وجدت على الطبقة السطحية متماثلة، ومن نفس الفترة الزمنية أو العصر، وهى تماثل تلك الأخرى الموجودة فى الطبقات السفلية، وقد حددت عملية البحث المنظمة للسطح وجود عناصر نحتية مهمة[1].

(1) Ibid.

أهم المكتشفات من اللقى الأثرية من الموقع *H1*.

١- ناووس من حجر الجرانيت الأسود عثر عليه فى أثناء عملية المسح، وهو بحالة جيدة باستثناء بعض أجزاء من جوانبه أدت إلى محو النقوش الموجودة عليها، ويوجد على جانبيه بعض العلامات الهيروغليفية، ويبلغ طوله ١٨٠ سم، وعرضه عند القاعدة ٩٥×٩٥ سم، أى إن قاعدته مربعة.

وله قمة هرمية الشكل، ويوجد ثقب بالقاعدة من أسفل، حيث يبدو أنه استخدم كحوض فى عصور لاحقة[١].

٢- ناووس آخر من حجر الجرانيت الوردى، وهو أصغر حجمًا من السابق، ويبلغ طوله ١١٥ سم، وعرضه عند القاعدة ٥٦×٥٦ سم. وهو متآكل بشكل كبير، وبه أجزاء مهشمة من أسفل، ويوجد ثقب بالجانب الأيسر للناووس، حيث استخدم كحوض أيضًا، وينتهى من أعلى بقمة هرمية، ولا توجد آثار لأية نقوش.

٣- لوحة من حجر الجرانيت الأسود يبلغ طولها ١٩٤ سم وعرضها ٨٨ سم، لها قمة محدبة الشكل، وبحالة ممتازة[*]، وترجع إلى عصر الملك (نخت - نب - اف) نختانبو الأول من الأسرة الثلاثين، وهى نسخة مكررة من لوحة "نقراطيس" Necrates Plaque التى اكتشفت عام ١٨٩٩، والمحفوظة الآن بالمتحف المصرى[٢]،

---

(١) المجلس الأعلى للآثار، الإدارة العامة للآثار الغارقة، تقرير المعهد الأوروبى للآثار الغارقة، خليج أبى قير - موقع الهيراكليوم ٢٠٠١ . (تقرير غير منشور)

(*) عند العثور على هذه اللوحة كان وجهها الذى يحمل الكتابة الهيروغليفية إلى أسفل، أى عند سقوطها سقطت على الوجه الذى به النقوش، مما حفظ هذه النقوش من الاندثار نتيجة تراكم الحشف وحركة التيار.

(2) Yoyotte. J. sunken Heracleion between reality and legend, Alexandria 7 Join 2001.

واللوحة تحمل نقوشًا هيروغليفية تمثل مرسومًا ملكيًا صدر عن الملك نختانبو الأول (٣٧٨ - ٣٦٢ ق.م) والخاص بفرض ما قيمته ١٠٪ ضرائب أو رسومًا علي البضائع الإغريقية المارة على الميناء، وهى تدفع إلى خزانة معبد الإلهة نيت إلهة الدلتا، وكانت مثل هذه اللوحات توضع فى مدخل الموانى كما ذكر المؤرخ الإغريقى هيرودت، حيث كان هيراكليون (فى الإقليم الكانوبى) هو الميناء الوحيد والمدخل الأوحد لجميع المراكب الأجنبية الآتية منذ الدولة الحديثة إلى مصر، وقد حملت لوحة الهيراكليون المكتشفة فى أعلاها مناظر تمثل الملك يقدم قرابين، ومن أسفله يوجد النص المكون من ١٤ عمودًا هيروغليفيًا.

إن الاختلاف بين هذه اللوحة الجرانيتية المكتشفة فى (هيراكليون) ولوحة (نقراطيس) هو اختلاف اسم المدينتين، فتلك كانت قائمة على مدخل مدينة (نقراطيس)، فكان اسمها هو الموجود على اللوحة، أما هذه المكتشفة أخيرًا فقد حققت موقع الهيراكليون، حيث هنا يوجد الاختلاف؛ فالموجود على هذه اللوحة هو اسم (هيراكليون ثونيس)[1] الواقعة على مصب الفرع الكانوبى على البحر المتوسط، والمذكور اسمها فى النقش الهيروغليفى على اللوحة، حيث كان تسمى (حنت ساو)، والمرسوم يأمر بوضع هذه اللوحة فى فم البحر عند مدينة "حنت ساو". **(لوحة ٢٥)**.

٤- لوحة من الجرانيت الوردى يبلغ إجمالى طولها ستة أمتار تقريبًا وعرضها نحو ثلاثة أمتار. وهذه بحالة سيئة ومهشمة إلى عدة أجزاء (١٤ جزءًا)، وكذلك بها أجزاء مفقودة، وعليها بقايا نقوش هيروغليفية فى سطور أفقية يعلوها مناظر لآلهة ومعبودات وشخصيات ملكية، وبها خرطوش لملك بطلمى (بطلميوس الثامن) وللملكتين تسمى كل منهما كليوباترا (كليوباترا الثانية) (كليوباترا الثالثة)،

---

(١) المجلس الأعلى للآثار: هيراكليوم ٢٠٠١، سبق ذكره.

وهما زوجتا بطليموس الثامن، وقد لوحظ أن النص السفلى فى اللوحة به بقايا نقوش يونانية، وبذلك تتشابه مع لوحات أخرى مثل حجر رشيد ومرسوم كانوب وتبلغ أبعاد هذه اللوحة ٦١٠×٣١٠ سم، وقد اكتشفت قريبة من كتلة مهمة من الجرانيت الأحمر فى الجهة الشمالية.





(لوحة ٢٥)

٥ - تابوت من الجرانيت الوردى الجميل، ونقوش التابوت تذكر أن الإله آمون أعظم وأهم إله فى مصر الفرعونية، وقد مزج الإغريق بينه وبين إلههم زيوس(*)، ويبلغ طول التابوت ٢٠٥ سم، وعرضه ٩٠ سم وارتفاعه ٦٣ سم تقريبًا، ويرجع إلى العصر البطلمى، وقد لوحظ وجود ثقبين أيضًا فى قاع التابوت، مما يرجح أنه قد استخدم كحوض فى عصور لاحقة، وقد لحق بالتابوت بعض الضرر حيث وجدت أسطحه متآلكة من الداخل والخارج.

٦- جزآ تمثال من الجرانيت الأسود يمثلان الجذع والوسط، ويبلغ طولهما معًا ١١٦ سم وعرض الكتفين ٦٠سم، والجذع يوضح أن القدم اليسرى متقدمة إلى الأمام وخلف التمثال دعامة طولية من الحجر نفسه بها بعض النقوش أو العلامات الهيروغليفية. هذا ويُعد هذا الوضع للتمثال سمة من سمات الفن المصرى الفرعونى، وقد رجح أنه تمثال ملكى(١).

٧- تمثال ضخم من حجر الجرانيت الوردى لإله النيل (حابى - جعبى) بشكل آدمى ويحمل على يديه مائدة قرابين، وهذا التمثال وجد مهشمًا ثمانية أجزاء؛ هى : التاج على شكل نبات البردى رمز النيل، والرأس مغطى بغطاء الرأس النمس الذى يتدلى على كتفيه، والجذع والوسط، ثم اليدان ومائدة القرابين، ثم الوسط والفخذان ثم الساقان والقاعدة، وهذا التمثال طوله نحو ٥,٦ متر وعرض الكتفين ١,١ متر تقريبًا، وهو كامل، وقد سقط هو أيضًا فى موقعة(٢).

(*) انتسب الإسكندر الأكبر ومن بعده الملوك البطالمة إلى الإله آمون. وبما أنهم يدعون أنهم من نسل المعبود زيوس كبير الآلهة عند اليونانين فلا بد أن يماثلوا آمون بالمعبود زيوس.

(١) المرجع السابق.

(2) Institut europeen d'archeologie sous marine in co - operation with the supreme council for antiquties report mission 2001.

٨ - تمثال لإحدى الملكات البطالمة تتطابق مع الإلهه ايزيس مهشم إلى أربعة أجزاء، هى الرأس والصدر والوسط ثم القاعدة والقدمان، ومفقود جزء من الساقين، وهو كامل ما عدا هذا الجزء، وقد عثر على جميع أجزاء التمثال متناثرة فى الموقع البالغ مساحته ٤٥٠م٢ . ترتدى الملكة رداء شفافًا ذا عقدة على الصدر، أما الشعر فهو مجدول إلى ضفائر (لفات شعر طولية)، والعين كانت مطعمة ولكها فقدت الترصيع وبقى تجويف العين فقط. وتظهر الملكة بشكل انثوى، وتدل التفاصيل الدقيقة لكل من وجه ذلك التمثال وجسمه على أن النحت المصرى خلال تلك الفترة قد اتجه إلى أسلوب أكثر دقة ونعومة فى التشكيل، وهذا الأسلوب يُعد من أهم ميزات النحت فى الفن اليونانى. والتمثال يبلغ ارتفاعه مترين ونفذ فى مادة الجرانيت، ويعكس الامتزاج بين المدرسة المصرية والمدرسة الإغريقية فى فن النحت، هذا الامتزاج الذى ظهر واضحًا فى الفن المصرى وفى بلدان حوض البحر المتوسط عامة بعد فتح الإسكندر الأكبر لمصر[1]. (لوحة ٢٦) وهو معروض فى المتحف القومى بالإسكندرية.

٩ - تمثال ملكى ضخم من الجرانيت الوردى طوله ٥,٣ متر وجد فى أربعة أجزاء بما فيها التاج، لكنه تمثال كامل، وهو يصور أحد الملوك بالتاج المزدوج ويرتدى النقبة الملكية (شنديت) ويعلو الجبهة "الصل المقدس (اليورايوس)". والتمثال فى حالة جيدة من الحفظ، وسطحه مصقول، أما الأجزاءالمهشمة من التمثال فهى قمة التاج الأبيض، والرأس بالتاج المزدوج، والجسم من الرقبة حتى منتصف الساقين، ثم باقى الساقين، والقدمان بالقاعدة. ويرجح أن التمثال يرجع إلى أواخر الأسرة الثلاثين أو بداية العصر البطلمى[2]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن البطالمة، بل الأباطرة الرومان أيضًا صوروًا بالهيئة الفرعونية، وبنفس حجم التماثيل الفرعونية. **(لوحة ٢٧)**

---

(١) محاضرات د. عنايات محمد أحمد، جامعة الإسكندرية.

(٢) تقرير المجلس الأعلى، الإدارة العامة للآثار الغارقة، سبق ذكره.



(لوحة ٢٦)

تمثال إحدى الملكات البطالمه فى هيئة إيزيس بعد ترميمة وعرضه بالتحـف القومى بالإسكندرية

١٠- تمثال ضخم لسيدة أو ربما إحدى الملكات من الجرانيت الوردى وهى ترتدى رداء ضيقًا شفافًا وعلى رأسهاتاج حتحورى (قرص الشمس يحوطه قرنان) ومن الخلف ريشتان، ويتدلى على الكتف خصلتا الشعر. والتمثال مهشم إلى أربعة أجزاء هى التاج، والوجه، والجسم، والقدمان بالقاعدة، وعند منطقة الكسر فى كلا القدمين توجد ثقوب ربما كان نتيجة ترميم لكسر القدمين. ويبلغ طول التمثال ٥,٢٥ متر، والعرض عند الوسط ٧٥, سم تقريبًا[1]. **(انظر لوحة ٢٧)**

١١- تمثال من الجرانيت الأسود يمثل طائرًا يشبه الصقر. والتمثال يفتقد التاج وجزءًا من الوجه مع وجود بقايا خطوط تصور العين اليمنى. وهو يشبه فى وقفته تمثال (حورس إدفو)، وهو أيضًا يفقد الجزء الأمامى من القاعدة والمخالب، لكنه يعتبر بحالة جيدة، ويبلغ طوله ٥٥ سم، وعرضه ٢٢ سم، وارتفاعه ٦٥ سم، وسمك القاعدة ٧ سم.

١٢- تمثال صغير من الحجر الرملى أو الكوارتز يمثل طائر العنقاء (الجريفون) بجسم أنثى أسد مجنحة[*] وبرأس آدمى، وهو ينشر جناحيه إلى أعلى ويحمل بهما فوق الرأس طبق قرص الشمس بصفته من المجموعة الشمسية (رع) والوجه طراز مصرى تتضح فيه المؤثرات اليونانية، وخاصة الشعر، ويبلغ ارتفاعه ٢٣ سم، وعرضه من أعلى ١٣,٢ سم تقريبًا، وهذا العرض هو قطر الطبق الموجود فوق الرأس.

---

(١) المرجع السابق.

(*) دائمًا شكل أبى الهول برأس الصقر وجسم أسد، وهو يمثل المعبود حور - أخت، أو حورس الأفق، أو أحد الملوك بصفته حور - آخت.

Hassan, S, The Sphinx, the History in light of Recent Excavations, Cairo 1949.
"Sphinx, LA, Vol VIII, Wiesbaden, 1984.



لوحة ٢٧ تمثالي ملك وملكة بطلسية من الجرانيت الأحمر وتمثال لإله الخصوبة الإله حابى

٢ - موقع H2

يقع إلى الشمال الغربى من الموقع المتعدد الواسع H1، ويبعد عنه بنحو ١٠٠ متر، وهوموقع منبسط أو مسطح مبنى من الحجر الرملى بأشكال مختلفة. وقد تم عمل مجس فى هذا الموقع بطول نحو خمسة مترات وعرض مترين، وفى الطبقة تحت السطحية والتى يبلغ سمكها من ١٠ إلى ١٥ سم وجدت دلائل عديدة أشارت إلى بقايا أثرية متجانسة وبقايا مراسٍ حجرية. فى شمال مبانى الموقع H1 منطقة مستطيلة وضيقة تحتوى على بقايا مراسٍ حجرية فى أشكال مختلفة، وهذه المنطقة تخترق كل موقع شبه الجزيرة من الشرق إلى الغرب، ويتجه شمال - شرق إلى جنوب - غرب. أكثر من مائة من المراسى غير كاملة ذات أحجام وأشكال مختلفة وجدت، منها أربعة من مادة الرصاص، وقد غطت الحفائر كل هذه المنطقة، وجرى حصر جيد لها، وحدد موقع H1، وقد تبين أن الموقع يمثل أعماق أو قاع ميناء أو قناة[1]، وما زالت تغطيه رواسب الرمال والطمى، ويصل عمقه إلى نحو المترين، وفيه اكتشفت أعداد كبيرة من الفخار، ووعاء كبير من الرصاص. كما وجدت أعداد كبيرة من الخوازيق الخشبية فى مكانها. آثار القناة والخريطة التى توضح المسار المائى مع هذا العدد الكبير من المراسى، إلى جانب حطام السفن، وكون القناة وسيلة اتصال بين الحوض الأمامى (المدخل) الموجود إلى الشرق مع المنخفض الكبير فى الغرب، كل ذلك يؤكد[٢] أننا أمام ميناء هو - بناء على اللوحة المكتشفة فى هذا الموقع كما سبق أن ذكرنا - هو ميناء "هيراكليون".

---

(1) Heracleion, Institut, Europeen d'archeologie, op. cit

(2) Ibid

أهم اللقى الأثرية والمنقولات المكتشفة فى الموقع H2

أولاً:

١- إناء كبير من الرصاص عُثِرَ عليه فى الطبقة الرملية.

٢- كميات كبيرة من الكتل الجرانيتية غير واضحة المعالم يحتمل أنها كانت تمثل جزءًا من تمثال تهشم تمامًا.

٣- مرسيان حجريان، أحدهما صغير الحجم - خفيف الوزن، تظهر به الفتحتان السفليتان، أما الجزء العلوى فمفقود، والآخر كان عليه كمية كبيرة من الحشف والجزء السفلى منه ينتهى بشكل مدبب وقد شكلا على شكل شبه منحرف بارتفاع ٢٣٠ سم. كما اكتشف ثلاثة مراسٍ أخرى بارتفاع ٧٠ سم[1].

ثانيًا: العملات

عثر على مجموعة كبيرة من العملات ذات أحجام مختلفة، ومعظمها من البرونز، يليها الفضة، واثنان فقط من الذهب، ومعظم هذه العملات تصعب قراءتها، حيث تغطيها طبقة سميكة من الصدأ.

أما المجموعة التى يمكن قراءتها فيرجع معظمها إلى العصر البطلمى وإن وجدت مجموعة مكونة من نحو عشر، يعتقد أنها صكت خارج مصر، وأنها ترجع إلى بداية القرن الرابع ق. م.

---

(1) Ibid

أما العملتان الذهبيتان فهما عملتان نادرتان، وهما: (لوحة ٢٨).

أ - العملة الذهبية الأولى:

صور على وجهها منظر لأسد يهاجم غزالاً، وعلى الظهر صور المعبود "هرقل" واقفًا ممكسا بيده علامة "العنخ" المصرية، وتعلوه كتابة فينيقية، مما يدل على أنها عملة فينيقية معاصره للأسرة الثلاثين[١].

ب - العملة الذهبية الثانية:

عملة بطلمية يظهر على أحد وجهيها "بطلميوس الأول" مؤسس الدولة البطلمية بعد تنصيبه ملكًا على مصر وعلى رأسه العصابة، والوجه الآخر للعملة يصور الإسكندر راكبًا عجلة حربية تجرها أربعة أفيال، ممسكًا فى يده الصاعقة رمز زيوس، ومن أسفله نقشت حروف مكان السك باليونانية، وهو ما أكد أنها لم تضرب فى الإسكندرية، وربما يكون مكان ضربها فى (قورين). وحول المنظر نقرأ بطليموس باسيلوس أى بطليموس الملك، وهذه العملة ظهرت بعد عام ٣٠٥ ق. م عندما أعلن بطليموس الأول نفسه ملكًا بعد أن كان واليًا على مصر (ساتراب) كخليفة للإسكندر الأكبر. وهى الصورة الوحيدة التى ضربت بها العملة الذهبية لبطليموس الأول، ولم يعثر على مثلها[٢] من قبل عام ٢٠٠١، وهى محفوظة الآن بمتحف مكتبة الإسكندرية للآثار.

ج - العملات الفضية:

ويظهر على أحد وجهيها رأس بطليموس الأول، أما الوجه الآخر فيظهر عليه

---

(١) تقرير المجلس الأعلى للآثار، الإدارة العامة الغارقة، سبق ذكره.

(٢) المرجع السابق.

المعبود "زيوس" فى شكل صقر ناشر جناحيه، ونعرف أن زيوس لم يصور بشكل الصقر لأن تصوير المعبودات اليونانية فى شكل حيوان أو طائر لم يكن معروفًا فى الديانة اليونانية؛ وإنما كان رمزًا إلى زيوس ولم يكن يعبد.

د - العملات البرونزية:

لقد عثر على كثير من العملات البرونزية يرجع أغلبها إلى العصر البطلمى، ويظهر أيضًا فيها المعبود زيوس على الوجهين، مرة بشكله الآدمى ومرة بشكل الصقر. هذا فضلاً عن عملات أخرى عديدة لبطلميوس الثامن، وبطلميوس الرابع، وكليوباترا الثانية.



(لوحة ٢٨)
عملتان ذهبيتان نادرتان وجدتا فى موقع H2 (عن المعهد الأوروبى للآثار)

ثالثًا: الفخار

كان للفخار نصيب وافر فى هذه الحفائر، حيث عثر على كميات كبيرة من الفخار، وتنقسم أنواع الفخار المكتشف إلى:

١- الأمفورات وأوانى التخزين

٢- أوانى الشرب

٣- أدوات المائدة

٤- أوانى العطور

٥- المسارج

وكما اختلفت هذه الأوانى فى وظيفتها فقد اختلفت أيضًا فى نوع الطينة التى صنعت منها، وتنوعت مصادرها، سواء محلية أو مستوردة، وكلها ترجع إلى الفترة من أواخر القرن الرابع ق. م حتى القرن الأول ق. م.

١ - الأمفورات:

لم يعثر على أمفورات كاملة فى الموقع، إلا أنه عثر على كميات وافرة من الشقاف والمقابض، والتى كان كثير منها ما زال متصلاً بجزء من الرقبة والفوهة، ويوجد على بعضها أختام، وقد انتُشِلَتْ هذه المجموعة، وواضح من بعض أنواع هذه الأمفورات أن منشأها (كنيدوس، رودس، كروسوس، جريكو إيتاليك).كذلك عُثر على قليل من شقف لأمفورات تعود إلى العصر الرومانى والرومانى المتأخر مثل طراز شمال إفريقيا، ويمكن إرجاع ذلك إلى النشاط الملاحى[1] بين هذه المناطق ومصر.

(١) المرجع السابق، ص ١٠ .

٢- أوانى الشرب:

انُتشِلَتْ كل الأوانى الكاملة التى عثر عليها من هذه النوعية نظرًا إلى أهميتها فى التأريخ، وعدم وجودها بكثرة فى الحفائر الأخرى فى الإسكندرية، ومعظمها ذات طينة محلية.

لونها بيج فاتح قد يميل إلى الاحمرار، وهى الطينة التى اشتهرت بها منطقة مريوط، والتى زودت مدينة الإسكندرية باحتياجاتها من الطين الصلصالى لعمل الأوانى الفخارية. وهى تشبة القلة المعروفة حاليًا، ولكن بدون مصفاة، وبعضها بدون مقبض، أو بمقبض واحد، أو بمقبضين.

٣- أدوات المائدة

وهى تتنوع بشكل كبير، حيث عثر على أجزاء من (الإسكيفوس[*]) كبير كان يستخدم فى خلط النبيذ، ومجموعة من (الإسكيفوس) صغير لشرب النبيذ، وكذلك الكئوس وهى مستوردة من أتيكا باليونان ومصنوعة من الفخار ذى الطلاء الأسود اللامع، وقد صور على الإسكيفوس الكبير منظر لراقصة فى يدها دف[١]، وعثر أيضًا على إسكيفوس من قبرص، وهو مصنوع من طينة حمراء أو بيج مغطى بلون آخر **(لوحة ٢٩)**.

(*) من أوانى الشرب، حافته متسعه والبدن متسع عميق يقل اتساعه باتجاه القاعدة الحلقية المرتفعة، والمقابض جانبية أعلى البدن، وتتجه بشكل ملحوظ إلى الخارج. محفوظة بمتحف الإسكندرية القومى

(١) المجلس الأعلى للآثار، تقرير ٢٠٠١، سبق ذكره.

٤- قنانى العطور

عثر على أكثر من قنينة أريبال (*) اتيكى لتخزين العطور، وهى من طراز الصور الحمراء، على اثنتين منها زخرفة نباتية، وعلى الثالثة منظر لفهد فى حالة استرخاء، وذلك بالإضافة لمجموعة أخرى كبيرة من قنانى العطور المحلية الصنع **(لوحة ٣٠)**.

(*) أحد أشكال قنانى العطور المعروفة فى العصر اليونانى نجد أنه قد اختفى تمامًا فى العصر الهللينستى، وهى ذات بدن قصير كروى، وفوهة ضيقة يحيط بها حلية زخرفية بارزة وعريضة، ولها مقبض رأسى، والرقبة قصيرة.



(٢٩)
شقفة من الفخار من مجموعة (الإسكيفوس) لشرب النبيذ عليها زخرفة لامرأة (عن المعهد الأوروبى للآثار)



(لوحة ٣٠)

قنينة عطور (أريبال) ذات صور حم راء عليها صورة فهد (المعهد الأوروبى للآثار)

٥ – المسارج

عثر بالموقع على أجزاء أربعة مسارج ترجع إلى العصر الهلينسى يؤرخ أحدها بالقرن الثالث ق. م، وهى ذات طلاء أسود، ولها قاعدة[١].

رابعًا: لقى أثرية من البرونز تستعمل فى الحياة اليومية:

أ – ملاعق كبيرة (مغارف)

قد وجدت هذه الملاعق الكبيرة ضمن مجموعات مختلفة من البرونز من مكتشفات موقع الهيراكليون، ويعتبر شكل المغارف ذات الأيدى الطويلة هو الشكل السائد، ونهاية اليد قد تكون بشكل حيوان أو طائر، وتخرج اليد بشكل رأسى من المغرفة المقعرة أو الدائرية، ويختلف شكل المغارف ذات الأيادى بعضها عن بعض ، فمنها شكل نصف كروى ذو عمق كبير، فى حين أن بعضها الآخر لا تأخذ مثل ذلك العمق الكبير أو قد تكون نصف بيضاوية، ويوحى طول اليد فى هذه المغارف بأن استعمالها كان يوجب نزولها إلى قاع القدور العميقة أو الأوانى أو حتى الجرار الكبيرة. كذلك فإن نهاية هذه الأيادى تحمل شكلاً لحيوان أو طائر كما ذكرنا، كما أنها تكون ذات عقفة أو ثنية تمكن من تعليقها على الأوانى من قبل الذى يستعملها.

وتختلف حالة الحفظ التى وجدت عليها هذه اللقى بعضها عن بعض، لكن لحسن الحظ وجد بعض منها فى حالة جيدة **(لوحة ٣١)**.

---

(١) المرجع السابق.

ب - أوانٍ من البرونز

ج - سلطانيات

السلطانيات تُعد من العناصر المهمة فى هذه اللقى الأثرية ترجع لهذا التاريخ فى هذه المجموعة. وسلطانيات هيراكليون تعكس بشدة ميولاً إلى النموذج الإخميمى أو شكل السلطانيات فى إخميم، وهذا الميول ليس فى هيراكليون فقط؛ بل ويمكن أن نشاهدة أيضًا فى نماذج (طوخ القراموس) فى شرق الدلتا، والتى ترجع إلى القرن الرابع ق. م [1]، وهى تقريبًا متشابهة فى منطقة الشرق الأدنى القديم خلال القرن الخامس حتى الثالث ق. م، وقد وُجِدَ لأوانى الشرب والسلطانيات من هيراكليون أمثلة أيضًا من الفترة نفسها فى شمال سوريا ومنديس فى الدلتا المصرية[٢].

من هنا يمكن استنتاج أن التشابه بين أوعية البرونز من هيراكليون وتلك المصورة على النقوش فى مقبرة بتوزيريس، وكذلك المحتويات الأثرية التى عثر عليها، وهى مجموعة هيراكليون التى اكتشفت، يمكننا الادعاء باحتمال كبير فى صحة الاستنتاج أن المجموعة من المغارف ذات الأيدى الطويلة، وكذلك أوانى الطبخ، ترجع من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثالث ق. م، مما يعنى أنها من العصر الفرعونى المتأخر وبداية العصر البطلمى[٣].

---

(1) Perfrommer. M, Roots and contacts, Aspects of Alexandrian, california 1996. P. 175.

(2) Vernier. E.Bijoux et orfevretico, C. G, 1927, VOI IV, P. 422, n° 53274.

(3) Perfrommer. M. Studien Zu Alexandrian und grossgrech-ische toreatik Fruhellenishicher zeit, Af 1987, Taf. 62



(لوحة ٣١)
بعض المنقولات من البرونز

خامسًا: لقى أثرية خاصة بالطقوس الدينية:

- مجرفة بخور (راجع لوحة ٣١)

- مبخرة

وكلتاهما كانت من الأدوات المشهورة المستخدمة فى أثناء أداء الطقوس الدينية، والتى زخرت بها رسوم المعابد فى مصر القديمة، على أن مبخرة هيراكليون تعطى شكلاً مختلفًا، ويوجد فى متحف أونتاريو الملكى أداة مماثلة لها، وترجع إلى العصر الفرعونى المتأخر والعصر البطلمى المبكر، حيث تعددت فيه أشكال المباخر[١].

- قطة جالسة

وهو من التماثيل البرونز المعتادة فى أواخر العصر الفرعونى وبداية العصر البطلمى[٢]، وهو رمز إلى الإلهة باستت معبودة بوبستيس.

- كف حيوان، ربما يكون قطة.

- تمثال صغير للإله أوزوريس إله الموتى وهو على شكل المومياء وعلى رأسه تاج (الآتف[*]) ويحمل عصا (حقاو) علامة القوة و (النخخ)، وقد كان من المعتاد وجود تماثيل أوزوريس البرونزية فى العصر المتأخر على ثلاثة أشكال:

(1) Hayes. J. W. Greek, Roman and metalware in the royal Ontario museum, Toronto 1984, P. 49-50,n° - 69.

(2) Otto. Bastet, LA.I, 6&9

(*) تاج أقدم من التاج المزدوج، حيث يتكون من عناصر من الغاب والريش والقرون الحيوانية، وهى أنواع بدائية من الحلى استخدمها الإنسان البدائى، ويختص به كل من المعبود أوزوريس والحاكم (عنايات محمد أحمد، مجلة كلية الآداب، ١٩٩٥ - ١٩٩٦).

١- ذات شكل فيه الأذرع متقاطعة بعضها مع بعض على الصدر.

٢- ذات شكل فيه الأذرع على مستوى واحد.

٣- ذات شكل فيه الذراع اليمنى أعلى من مستوى الذراع اليسرى.

وهذا التمثال المكتشف فى هيراكليون من الشكل الثانى.

- تمثال صغير لأنوبيس الذى يعتقد أن له عدة أدوار فى الطقوس الفرعونية، خاصة عالم الأموات، والجبانة، ويعتبر المرشد إلى عالم الموتى وسيد الجبانة أو حارس الجبانة، وكذلك له دور فى عملية التحنيط.

وفى كانوب فإن عباده أنوبيس وجدت مذكورة على لوحة من الحجر الجيرى (ستلا) محفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية، وهى من العصر البطلمى من عهد بطليموس الثانى فيلادلفوس ٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م، وهى مكرسة لمحراب إيزيس وأنوبيس[١].

- عثر على قطعة صُنِّفَتْ على أنها تاج الهمهم[*] (لوحة ٣٢)، وهو التاج المركب والمكون من قرنى كبش أفقيين يحملان تاجًا "ثلاثيًا من الآتف" مع الريشتين والحية على الجانبين (الأورايو)، ويعلوهما قرص الشمس، وهذا التاج يعتمد على لباس الرأس (النمس).

(1) Daressy. G, Statues des des divinities. Schosck.S. Wildung.D. Roeder-G. Agyptische bronz efigarin, Mittelungen aus der Agyptischen sammlung IV, Berlin 1956, 233. 181 - 182.

(*) ربما كان هذا التاج خاصًا بالحروب، حيث إن كلمة hmhm تعنى الصرخة.

خلال العصر المتأخر فإن تاج الهمهم استعمل للتمييز بين (أبناء الآلهة) أو (الآلهة الصغار) مثل حورس سماتاوى فى إدفو ودندرة، وحورس بن آمون رع مونتو، وكذلك خونسو بن (آمون)، أو زيوس فى طيبة، الذى تماثل مع هرقل[1].

خلال العصرين البطلمى والرومانى فإن الإله حربوقراط - هرقل، صور بتاج الهمهم، وهناك تماثيل كثيرة فى متحف برلين تظهر الإله حربوقراط يلبس هذا التاج[2]، ويستنتج من هذا أن هذه القطعة المكتشفة قد تخص الإله هرقل فى شكل (حربوقراط - هرقل). تمثال للإله خونسو، الابن فى ثالوث طيبة (آمون - موت - خونسو)، نجد أنه فى العصر المتأخر قد تماثل آمون بالإله زيوس، وتماثلت الإلهة موت بالمعبودة هيرا، وتماثل خونسو بهرقل[3]، وذلك طبقًا لمرسوم كانوب، وقد عبد آمون فى كانوب تحت اسم (آمون جرب)، وهنا فالاحتمال الكبير أن يكون هذا التمثال للإله خونسو بوجه الصقر.

مجموعة الأحجبة والتمائم والحلى، وهى تمثل أحد أهم المعتقدات المصرية لدرأ الشر أو جلب الخير، ومن هيراكليون خرجت مجموعة كبيرة من هذه التمائم وهى إما من البرونز وإما من القيشانى. **(لوحة ٣٣)**

٣ - موقع *H3*

يبعد عن الموقع الرئيسى بنحو ١٥٠ مترًا فى اتجاه الشمال الشرقى. إلى الشرق من المنطقة التى يوجد بها البناء، اكتشفت منطقة واسعة تتكون من منخفضات عديدة يمكن وصف أهم مكوناتها كما يلى:

(1) Bernand. A, le delta Egyptien d' apres les text grecs, le caire 1970, P. 229,309

(2) Yoyotte. J, chuvin. P, Le Zeus casios de Pelose A Tivoil Hypothese, BIFAO. 88, Zeus Casios de Pelose á Tivoil 1988, P. 175.

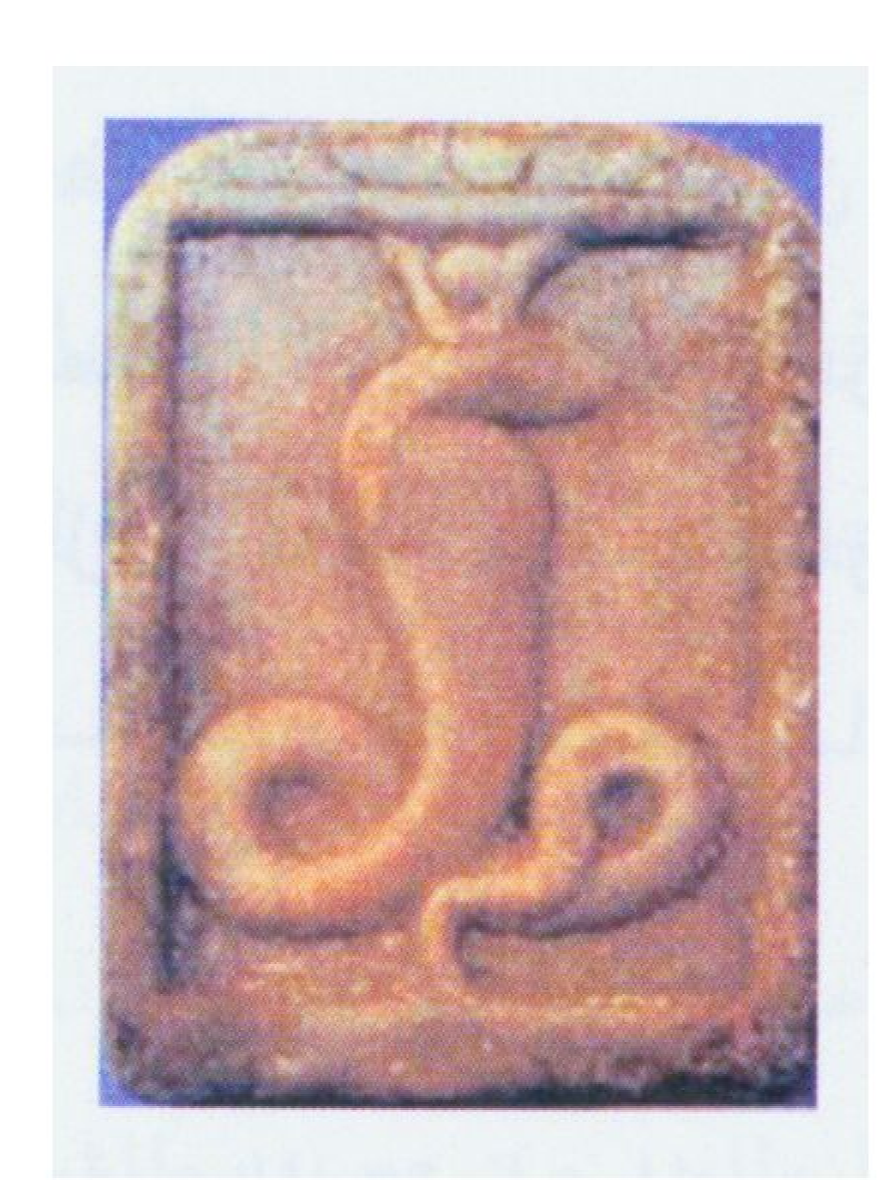
(3) Schoske. S. Wildung. D, Gott und Gotter in Alten Agypten, Mainz, 1993, S. 10, Abb.2



(لوحة ٣٢) قطعة صنفت على
أنها تاج الهمهم (عن المعهد
الأوروبى للآثار)





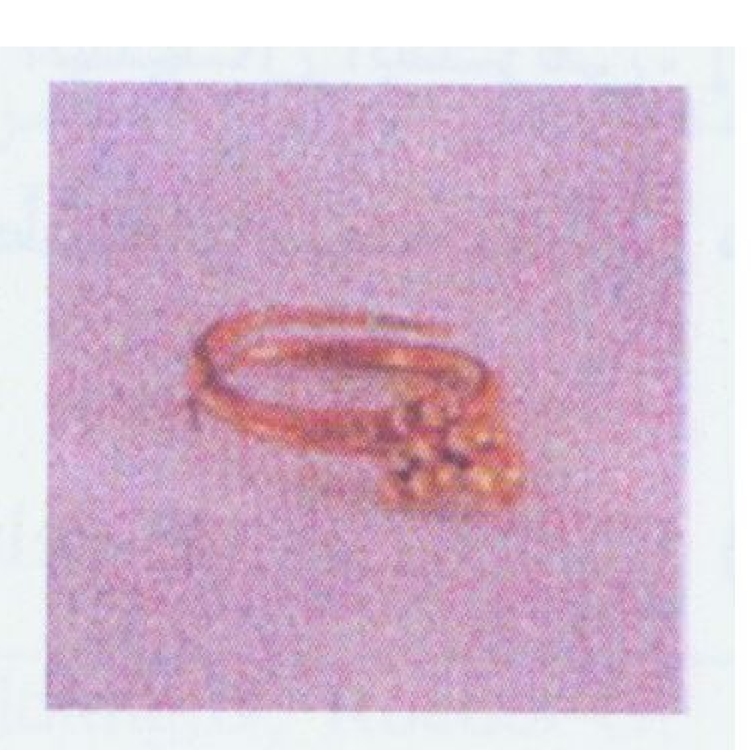


بعض التمائم والأحجبة









(لوحة ٣٣)

كمية من اللقى الأثرية عبارة عن مجوهرات أو حلى ونقود ذهبية

- المنخفض المركزى أو الرئيسى فيها يحده من الشمال بناء يتجه نحو الشمال الشرقى، ولا يترك إلا ممرًا ضيقًا للاتصال بالمنخفض الشمالى. فى المنخفض المركزى أو الرئيسى يوجد بروز غير طبيعى فى الأرض، هذا البروز غير الطبيعى فى التكوين الأرضى أدى إلى اكتشاف بناء بطول ٥٥ مترًا، وعرض ثلاث أمتار، موازٍ للشاطىء، حيث بقيت المنطقة محتفظة بآثار بعض الأرصفة التى بقيت حتى وقت الاكتشاف. ولقد أثبتت الحفائر فى منطقة H3 وجود ما لا يقل عن سبعة شواهد لبقايا أثرية أمكن تعريفهم أو معرفتهم جيدًا فى هذه المنطقة من العمل[١] وحيث هى بقايا أبنية شاسعة وأحواض موانىء، فقد اكتشفت مساحة لا تقل عن ١٠٠٠×٨٠٠ م، وعثر فى القاع على عشر سفن قديمة غارقة بعضها فوق بعض، ويوجد آثار حريق فى اثنتين منها، ومعظم هذه السفن فى حالة جيدة ويوجد فوقها أو على الخشب مباشرة بعض الفخار ومرسيان، أحدهما ما زال يحتفظ بالساق الخشبية، ويمكن ملاحظة الهراب (جزء فى السفن) والإطار بسهولة، كما يمكن ملاحظة مواضع فتحات التعشيق، وترى بسهولة التخشينات والخوابير[٢].

- المنخفض الكبير الجنوبى - شرقى، على الأرجح أنه يتصل بمضيق بواسطة كردون رملى، من الذراع القديمة للنيل فى الزاوية الجنوبية - شرقية. هذا المنخفض مطوق أو محصور فى الشمال بمبانٍ مهمة شبيهة بسدود قد شيدت من الأحجار الجيرية. وهو يعمل على التحكم فى المدخل أو المخرج للمنخفض المركزى أو الرئيسى الذى يربط منطقة المبانى بعضها ببعض فى شبه الجزيرة الكانوبية[٣].

---

(1) Yoyotte. J, Chuvin. P,op. cit, P. 175.

(2) Heracleion, Institut Europeen. op. cit.

(٣) المجلس الأعلى للآثار، موقع الهيراكليون، تقرير ٢٠٠١ ، سبق ذكره.

- المنخفض الشمالى المحيط بمدينة هيراكليون يعمل على الاتصال بالمنخفضات الشرقية مع المنخفض الكبير الواقع إلى الغرب من الموقع.

فى هذا الحوض الواسع فى المنطقة وجدت مراسى وبقايا حطام قديمة وجدت مباشرة بجانب المخرج الغربى لمنطقة الأرصفة الموجودة فى كل جزء فى موقع الهيراكليون، والذى يثبت كونها فعليًا ميناء هيراكليون.

- امتداد مواقع *H*

بعد الموقع الرئيسى أو المركزى الذى يخص البقايا الممتدة للمبانى على هذه المساحة أو المسطح الضخم يمكن الآن ذكر ما يلى:

- منطقة فى الشمال تضم عناصر من جدران، بنيت على منخفض قريب من المنطقة الرئيسية على محيطها الشمالى الغربى، وكذلك وجدت تبليطات وحطام تماثيل وبقايا أثرية أخرى.

على هذه المنطقة وجدت بقايا خمس عشرة لوحة (ستلا) ضخمة من الجرانيت الوردى نقشت عليها كتابات باللغتين الهيروغليفية واليونانية غطتها الرواسب التى أحاطت بها حتى مستوى سطحها الأعلى، كما أن سمكها غطته أعشاب متصلبة.

هناك أيضًا منطقة إلى الغرب رمز إليها بمنطقة H7، H9 (طبقًا لتقارير الحفائر)(*)، هذه المناطق ذات مبانٍ مهمة وعديدة بنيت هى أيضًا أسفل أو على المنخفض الواقع على جزئها الغربى، وقد استخرجت منها مجموعة من العملات تمتد من العصر البطلمى حتى العصر الإسلامى.

(*) تقارير حفائر ادارة الآثار الغارقة غير منشوره.

- فى منطقـة تقع إلى الجنوب الغربى، وجدت بقايا مبانٍ عديدة، تضم عناصر معمارية وأثرية، منها أعمدة من الجرانييت الوردى والرمادى وبقايا تماثيل، وهناك كثافة لكتل الأحجار الجيرية، وهى تشكل على الأرجح أعمدة أو دعامات معمارية لها صفة الأعمدة. ويؤكد ذلك وجود تيجان هذه الأعمدة، وهى من الحجر الجيرى، كما وجد (ناووس) صغير من الجرانييت الوردى.

- إن الحالة التى وجدت عليها المنطقة من خلال التنقيب الأثرى الذى تم حتى هذا الوقت يمكن منه التأكيد أن هذا المسطح من هذه المبانى يمتد على مساحة ٨٠٠ متر × ٦٠٠ متر إلى جانب مساحة المنخفضات والمنطقة التى إلى الغرب، وهى التى تغطى أحواض الموانىء[١] التى تمثل هيراكليون.

٤- موقع *H4*

لقد كانت نتائج أعمال التنقيب التى قامت بها بعثة المعهد الأوروبى للآثار الغارقة بالاشتراك مع المجلس الأعلى للآثار مهمة جدًا، حيث ركز التنقيب أساسًا فى منطقة المعبد H4، والتى امتدت من الشمال إلى الجنوب، وأعطت نتائج طيبة ومفيدة، حيث أمكن تحديد فترة الاستعمال لهذه المنطقة الواسعة التى بها معبد (آمون جرب)، والذى كان يتماثل مع "هرقل"، والتي لم يمكن معرفة تخطيطه المعمارى في هيراكليون.

لقد اكتشف معبد هرقل الذى تكلم عنه المؤرخون[٢]، حيث وُجِدَ فى موقعه هذا ناووس ضخم من قطعة واحدة من حجر الجرانيت الوردى يرجع إلى العصر البطلمى، وهو يحمل نقوشًا هيروغليفية تفيد - حسب ما أكد العلماء المصاحبون

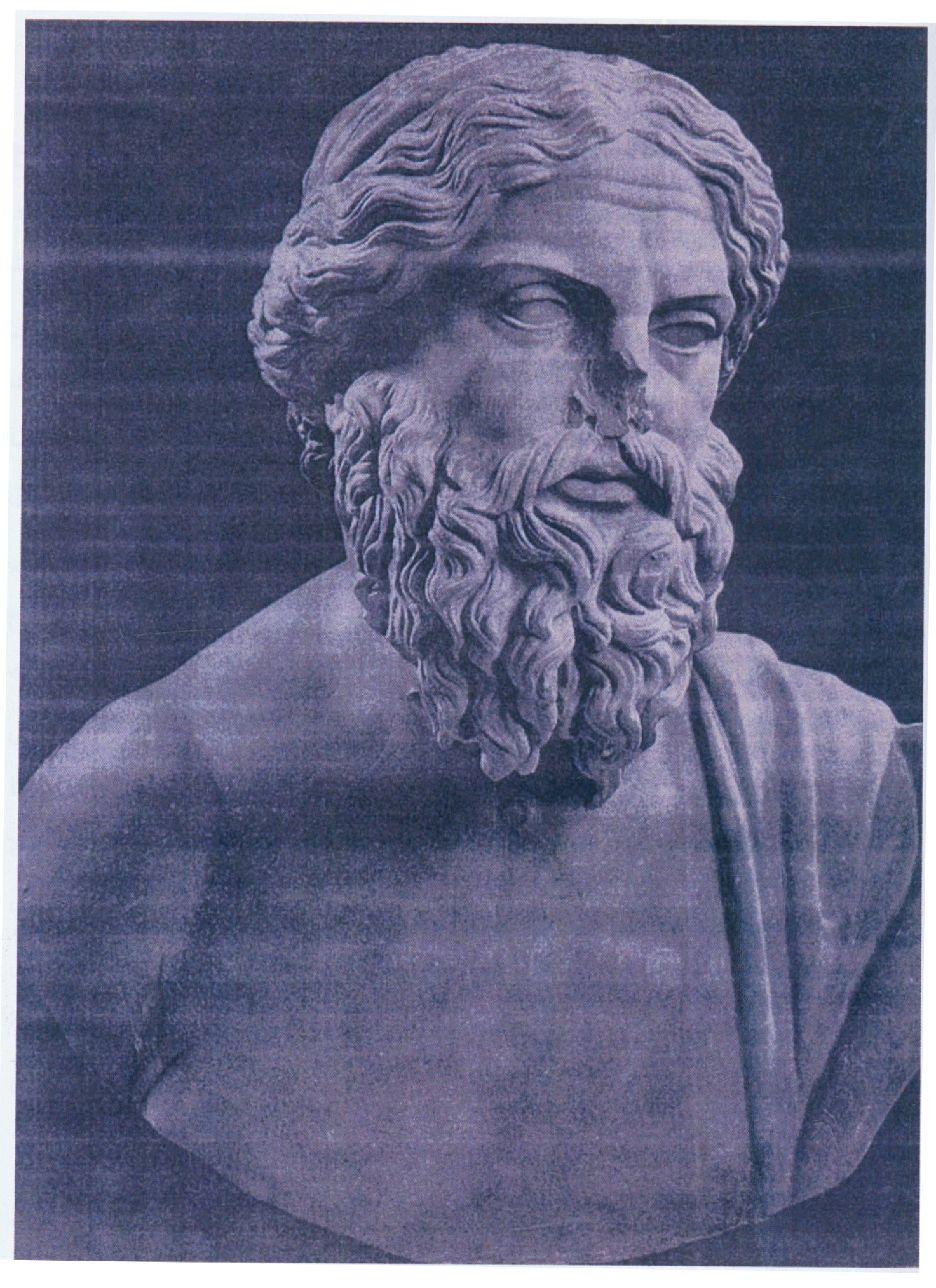
(1) Ibid

(2) Diodorus Siculus.

للبعثة المكتشفة[1] - أنها كرست لمعبد (آمون جرب)، وهى صورة المعبود (آمون) فى هيراكليون (وخونسو) اللذين امتزجا فى العصرين اليونانى والرومانى بالمعبود هرقل. كذلك اكتشف تمثال رائع نصفى لرجل ذى لحية كثيفة لإله النيل فى العصر اليونانى والرومانى (نيلوس). **(لوحة ٣٤)**

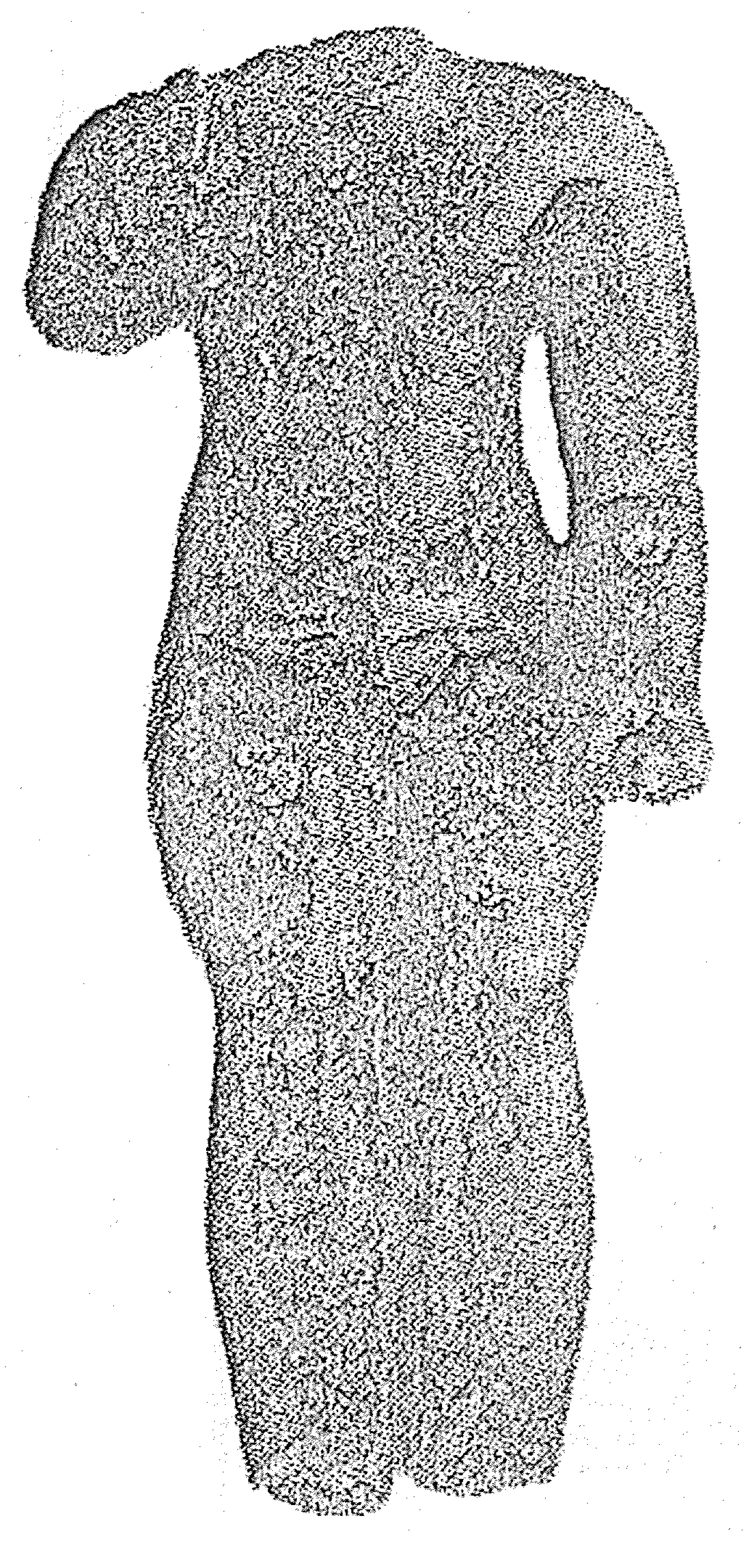
---

(1) Yoyotte. J,



(لوحة ٣٤)

الإله نيلوس



تمثال حريو قراط

مينوتس

حيث قد جرى التنقيب فى المنطقة كانوب شرق وأمام قلعة الرملة فى خليج أبى قير، وهى تقع إلى الغرب من المنطقة المكتشفة هيراكليون. هذه المنطقة التى كان قد عينها فى السابق الأمير عمر طوسون، خرجت منها فى المكتشفات الحديثة قطعة من ناووس تكمل قاعدة كان قد اكتشفها عمر طوسون، وهى التى ألحقت بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية، وهكذا فقد اكتمل الناووس بعد أكثر من ثلاثة أرباع القرن. وقد خرج منها أيضًا تمثال لملكه أعُتقد سابقًا إنها للإلهة إيزيس[1] من الرخام الأبيض **(لوحة ٣٥)**، واكتشف تمثال حربوقراط **(لوحة ٣٦)**، وهو أيضًا من الرخام[2] ، ويعرض الآن فى مكتبة الإسكندرية، وإلى جانب هذا التمثال فقد اكتشف فى موقع مينوتس ثلاثة أخاديد أو شقوق فى قاع البحر أحدها يأخذ شكلاً هلاليًا، ويبلغ طوله ١١٥ قدمًا، وأوسع نقطة فيه تسجل نحو خمسين قدمًا، والأرض فى هذه المنطقة طينية، والشق تملؤه الرمال وشقف الفخار. وقد رجح العلماء الأثريون أن الذى شق هذه الشقوق وملأها بالرمال والشقف هم البشر الذين قاموا بالبناء، حيث إنه يقع أعلاها مباشرة جدار أثرى كبير، وأن هذا الشق ما هو إلا أساسات لمبانٍ ضخمة. كذلك اكُتشِفَ عدد من المبانى والأعمدة الكبيرة التى سقطت فى صف واحد على جانبى طريق كبير. وكذلك وجدت تماثيل أبى الهول، وأوعية حفظ النبيذ، وقطع نحتية وتماثيل وعملات ذهبية وحلى، مما يرجح أن هبوط الأرض حدث فجأة، مما أدى إلى ترك مثل هذه الأشياء فى أماكنها نفسها.

---

(1) Isis assise, de marbre blanc. N 56 de l'inventaire du musée maritime d' Alexandrie. (la region canopique).

(2) Harpocrate de marbre blanc. N 171 de l'inventaire du patrimoine du departement de l' Archeologie sous marine. (la region canopique).



(لوحة ٣٥)

وقد رجح العلماء أن مينوتس لم تستمر طويلاً بعد عام ٧٤٠ ميلاديًا، حيث كان هذا هو التاريخ الذى وجد على النقود المكتشفة، ولم يوجد تاريخ أحدث من هذا فى مكتشفات مينوتس.

لقد وجدت هذه المكتشفات على أعماق تتراوح من نصف متر إلى متر واحد تحت الرواسب والرمال، ويجدر ذكر أنه تم ترجيح أن مينوتس كانت ضاحية كبيرة مهمة لكانوب، وأنها لم تكن قرية صغيرة، وبهذا فقد كان ذكرها يأتى ضمنًا عند ذكر مدينة كانوب، بحيث إنه لم يذكرها الرحالة والمؤرخون عند تناول كانوب قبل الميلاد.

الباب الثانى

الفصل الأول

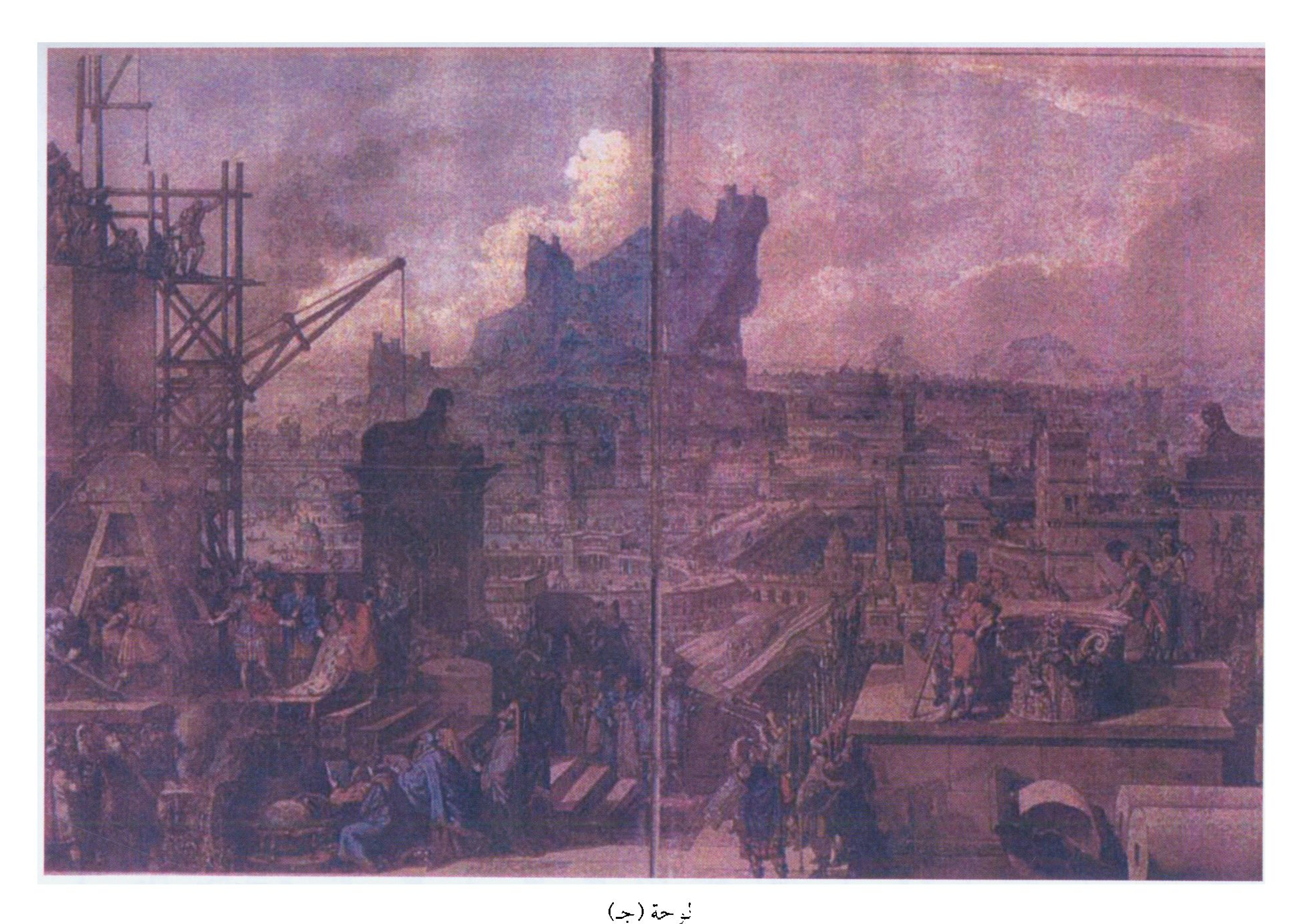
الإسكندريــة

أولاً : نشأة المدينة

جدير بالذكر أن إنشاء المدن الإغريقية فى مصر فى عصر البطالمة كان أمرًا لا غنى عنه؛ لأن المدينة Polis كانت البيئة الأساسية لحياة الإغريق العامة، وكان الإغريق فى مهاجرهم دائمًا يبدءون بإنشاء المدن، وقد كانت هناك قبل تأسيس الإسكندرية مدينة قائمة بالفعل هى مدينة نقراطيس التى تأسست فى عهد الأسرة السادسة والعشرين، كانت بمثابة بيئة إغريقية داخل الدولة المصرية، إلا أن موقع نقراطيس بعيدًا عن البحر منعها من أن تصبح عاصمة للبلاد فى العهد الهلينستى[1] . ثم كانت الإسكندرية المدينة التى أسسها ذلك الشاب الذى لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره آنذاك **(لوحة جـ)** المدينة الأشهر فى حوض البحر المتوسط. إن ميلادها ونموها وازدهارها الكبير على مدى عدة قرون، ثم موتها النسبى أو اضمحلالها فجأة لتشبه حياة الإنسان فعلاً، ففى عام ٣٣٢ ق.م توقف القائد المقدونى الإسكندر الأكبر عند قرية صيد مصرية على ساحل البحر المتوسط هى قرية راقودة رع - كدت (أو راكوتيس Rhakotis) وهو فى طريقه من منف إلى معبد آمون بواحة سيوة، ومنها أطل على جزيرة فاروس Pharos الصغيرة التى تواجهها[2].

(١) يسرى عبد الرازق: مصر فى رحلة الزمن الماضى إلى الحاضر - جغرافية مصر - سلسلة المجلس الألى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩، ص ٣٠ .

(٢) سليم انطوان مرقس: حضارات غارقة، قصة الكشوف الأثرية تحت البحر، دار المعارف، ١٩٦٥، ص ١١٧ .



لوحة (جـ)

لوحة فنية تجسد تأسيس الإسكندرية

وهنا أمر مهندسيه بإقامة مدينته التى سوف تحمل اسمه على هذه البقعة، القرية الصغيرة والجزيرة المقابلة لها، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال ملح: لماذا فكر الإسكندر الأكبر، وهو الرجل العسكرى الذى كان من أهم ما يشغل تفكيره هو الفتوحات والانتصارات وتأسيس إمبراطورية تضم جميع بلدان العالم القديم، لماذا فكر فى إنشاء مدينة فعلاً؟ هل كان فى ذهنه حقًا تأسيس مدينة؟ أو أنها جاءت تالية لإحراقه مدينة صور الفينيقية فى حروبه هناك؟

نجد هنا أن الإسكندر لا بد أنه كان يحمل فى ذهنه تأسيس مدينة فعلاً[١]، ونجد هنا إجابة قد تكون ذات اعتبار ما، فلقد تتلمذ الإسكندر على يدى أرسطو، كما أنه تأثر بدروس هذا الفيلسوف المعلم وسياسته وقراءته لكتبه، خاصة الكتاب السابع VII، ولقد كان فى ذهنه كل الاعتبارات التى لها ما يبررها فى إنشاء مدينة فى هذا البلد، كانت دائمًا هناك فكرة المدينة، وتوزيع السكان، وإنشاء المبانى. حقيقة لم يكن أرسطو عندما تكلم عن المدينة الفاضلة يقصد ما سوف يفعله الإسكندر فيما بعد فى الإسكندرية، لكن فلسفة أرسطو عن هذه المدينة وتقسيم طبقات الشعب، يبدو واضحًا أن هذا النموذج هو الذى كان فى ذهن الإسكندر، وهو الذى اتبعه عندما قرر تأسيس مدينة مصر القادمة، والتى سوف تحمل[٢] اسمه[*]. ليس من شك أن اختيار المواقع، ولنأخذ مثلاً موقع الفنار، قد استوحى من انعكاسات أرسطو فى أرض المدينة الفاضلة فى تفضيل موقع الميناء على البحر، فلقد كانت الفلسفة فى اختيار أرض خصبة سهلة فى

---

(1) André Bernand, Alexndrie des Ptolémeééd Du, CNRS, Paris 1995.

(2) Ibid.

(*) فى الأوديسة الخاصة بالشاعر اليونانى الكفيف هوميروس تنبأ هذا الشاعر بأنه فى فترة ما سيأتى إلى مكان راقودة شخصية يؤسس مدينة تسمى على اسمه، وقد تحققت تلك النبوءة ببناء الإسكندر للإسكندرية.

الدفاع عنها وقت الحرب، سهلة فى الهروب منها فى حالة الغزو، وهنا نجد أن كل ملاحظات الفيلسوف قد تحققت فى اختيار الإسكندرية للموقع الذى تقرر إنشاء المدينة فيه[١].

لقد اختير الموقع الملائم بالنسبة إلى البحر وإلى الأرض على أن تكون المدينة محور اتصال مع كل أجزاء الأرض بدون استثناء. كذلك توافرت للمدينة سهولة النقل، سواء نقل البضائع أو منتجات الأرض والأخشاب المستخدمه فى الإنشاءات والخامات الأخرى المستخدمة فى بعض الصناعات[٢]. التخطيط الذى اختاره الإسكندر الأكبر، والقنوات التى تربط ميناء البحر وميناء النهر، والطرق التى تقود إلى كانوب فى الشرق، وإلى الهضبة الليبية فى الغرب، والربوة أو التل الذى سيكون عليه السيرابيوم بما يسمح برؤية المدينة، كل هذا التصور مجتمعًا كان نموذجًا وضعه أرسطو فى تصوره عن المدينة التى تكلم عنها واستخدمها فيما بعد الإسكندر مدركًا الفائدة الاستراتيجية للموقع المختار، والمتأمل للحياة بالمدينة والإنشاءات التى قامت فى هذه المدينة الجديدة يمكن - إذا كان قارئًا لأرسطو - أن يأخذ انطباعًا بأن المدينة وكذلك العمارة لم يكن الإسكندر فيهما إلا قائد العمل[٣].

إن الخريطة أو التخطيط الذى قامت عليه المدينة قد وجدت له آثار فى كتابات الفيلسوف أرسطو، ويمكن القول إنه كان مهندسها المدنى ومهندسها المعمارى[٤].

---

(1) Ibid.

(2) Ibid, P. 13

(3) Ibid, P. 14

(4) Ibid, P. 13

خططت المدينة على أن تكون متوازية فى اتصالها مع الأراضى الداخلية والبحر، ومع مجمل إقليمها فى حدود الأبعاد الممكنة، وكذلك طبقًا للموقع، وكان لا بد من وضع أربعة اعتبارات مهمة.

أولها:

أمر ضرورى أن يتم التفكير فى اختيار اتجاه الوضع الصحى، فنجد أن المدينة تميل إلى ناحية الشرق **(لوحة ٣٧)**، حيث تهب الرياح الشرقية وهى الرياح الصحية(١). وفى المرتبة الثانية الرياح الشمالية لتتمتع بشتاء لطيف.

ثانيها:

موقع وعر لعرقلة النشاط السياسى فى حالة الحرب والعمليات العسكرية ويجب أن توفر هذه المدينة قدرة خروج سكانها والنجاة، وكذلك وجود ماء من مصدر طبيعى(٢). ويرى البعض(٣) أن الإسكندر قد وفق أيما توفيق فى اختيار الموقع الذى بنيت عليه الإسكندرية، فقد كان إنشاء الموانىء الكبيرة فى ذلك الوقت لا يتم إلا بعد دراسات مستفيضه، وهناك فعلاً أسباب كثيرة تدعم اختيار الإسكندرية فى هذا الموقع، حيث جزيرة فاروس أمام الشاطىء تجعل من حياة الإسكندرية مرفأً طبيعيًا تلوذ به السفن عندما تشتد أنواء البحر، كما أن وجود بحيرة مريوط خلف هذا الموقع واتصالها بالنيل وفر المياه العذبة للمدينة، كما جعلها على اتصال بداخل البلاد وتجارتها(٤).

(1) Ibid, P. 14

(2) Ibid, P. 14

(٣) مصطفى العيادى، مجتمع الإسكندرية فى العصر البطلمى، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٩٧٥، ص ٢٤ .

(٤) سليم أنطون مرقس، سبق ذكره، ص ١١٧ .



(لوحة ٣٧)

منظر الإسكندرية القديمة من البحر

رسم J.C.Golvin

وكذلك فإن هناك حقيقة علمية يعرفها الدارسون لعلوم البحار، ويبدو أنها كانت معروفة على عهد الإسكندر، هذه الحقيقة تتعلق بنظام التيارات البحرية فى شرق البحر المتوسط، وفيه تتجه التيارات أمام الساحل المصرى من الغرب إلى الشرق. ولما كانت الإسكندرية تقع على الحدود الغربية للدلتا، فإن الطمى الذى تقذف به فروع النيل إلى البحر، لم يكن يؤثر فى ميناء الإسكندرية مثل تأثيره فى مينائى رشيد ودمياط اللذين كانا عرضه للإطماء بواسطة الرواسب والطمى، مما يدعو للاهتمام بتطهيرها من وقت لآخر[1].

كذلك فإن الأرض التى بنيت عليها الإسكندرية تتميز بأنها من الحجر الجيرى، وأنها ترتفع فوق مستوى الدلتا، ومن المرجح أن ذلك الشريط الساحلى الذى يفصل بحيرة مريوط عن البحر، والذى بنيت عليه مدينة الإسكندرية، لم يكن قط شريطًا متصلاً من الأرض الصلبة؛ بل كان مكونًا من عدد من الجزر الصغيرة التى تعلو قليلاً سطح البحر، وباستمرار ارتفاع سطح التربة، وتراكم الرمال والطمى، اتحدت هذه الجزر معًا وكونت شريطًا ساحليًا متصلاً يفصل البحر عن الخليج الذى تحول إلى بحيرة داخلية، والذى نمت عليه القرية (راكودة)، ومن بعدها الإسكندرية[2]. كذلك فإن راكودة كانت أكبر القرى[3]، ولا بد أنها كانت ممتدة حتى ساحل البحر، حتى إن سترابون أطلق عليها اسم (مدينة)، فيقول: ***(ولكن الإسكندر عندما زار المكان قرر تحصين المدينة التي عند الميناء)***. كذلك فإن هناك دلائل تشير إلى أن هذا الموقع كان ذا أهمية بالنسبة إلى مصر الفرعونية، حيث يذكر سترابون[4]: ***(إن ملوك المصريين الأوائل نظرًا***

(١) سليم أنطوان مرقس: سبق ذكره، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ١١٩ .

(٣) مصطفى البعادى، سبق ذكر، ص ٢٤ .

(4) Strabo, Gyography, XVII, 1.6.

إلى أنهم كانوا سعداء بما لديهم ومستغنين عن استيراد السلع، ولعدم ثقتهم بكل من ركبوا البحر، وخاصة الإغريق، الذين بسبب ندرة الأرض عندهم، كانوا يغيرون ويطمعون فى أرض غيرهم، أقاموا (هؤلاء الملوك) حامية عسكرية في هذا المكان وكلفوها برد المغيرين، ومنحوهم موطنًا لهم الموقع الذى يسمى راكوتيس، وهى التى تحتل الآن الجزء من الإسكندرية الذى يقع أعلى (جنوبى) الميناء، وكانت فى ذلك الوقت قرية. ومنحوا الأرض حول القرية للرعاة - وهم قوم أشداء - ليصدوا المعتدين المغيرين).

أما جزيرة فاروس، والتى تقع قبالة الساحل الأسيوى كما وصفها بلينى Plinius، فقد كانت تشمل المساحة الحالية بين رأس التين غربًا وقلعة قايتباى شرقًا، وهنا على هذه البقعة من الأرض أمر الإسكندر ببناء مدينته[1]، وعهد بذلك إلى كل من المهندس المعمارى "دينوكراتيس" الروديسى، ومهندسى الجيش (ديادس) و(كارياس)، وهنا حددا محيط المدينة فى ٢٠ يناير عام ٣٣١ ق. م (٢٥ من طوبة حسب الشهور المصرية)، والذى يضم قرية (راكودا) وجزيرة فاروس معًا، وأنه رأى التخطيط بنفسه على الطبيعة وأقره، وكلف كليومينيس وزير ماليته فى مصر بالإشراف على تشييد المدينة الجديدة[2]، حيث اكتمل بناء الإسكندرية فى ثمانين عامًا. حتى عهد بطليموس الثانى[3] كانت الجزيرة تشمل المساحة الحالية بين رأس التين غربًا وقلعة قايتباى شرقًا أما قرية راكوده فكانت تشمل الشريط الساحلى أمام الجزيرة، والذى يقع بين بحيرة مريوط وساحل البحر[4].

(1) Bernand. A, op.cit.

(٢) ديودور الصقلى ١٧ - ٥٢ - ١، سترابو ١٧ - ١ - ٦، بلوتاخ. الإسكندر ٢٦، أريانوس ٣ - ١ - ٥ .

(٣) صبحى عبد الحكيم: التحضر فى جمهورية مصر العربية، التحضر فى الوطن العربى، الجزء الثانى، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٠، ص ١٢٥ .

(٤) سليم أنطون مرقس: سبق ذكره، ص ١١٧ .

يصف سترابون الجزيرة والقرية بقوله[1] ***(فاروس عبارة عن جزيرة صغيرة مستطيلة) تقع قريبة من الساحل، وتشكل باتجاه القارة ميناء ذا مدخلين، والساحل يمتلىء بالخلجان، وله نتوءان بارزان داخل البحر، والجزيرة تقع بين هذين وتستقر داخل الخليج وتمتد إلى الخارج أمامه. نهاية جزيرة فاروس الشرقية قريبة من القارة، والنتوء من القارة فى اتجاه الجزيرة، ويسمى (لوخياس)، وبسببه يضيق مدخل الميناء، وبجانب ضيق المدخل هذا، هناك أحجار أو صخور تحت الماء، وأخرى تظهر فوق الماء، حيث نجد أن الأمواج تتلاطم بشدة فوقها من البحر المفتوح. الجزيرة عليها برج يحمل اسمها (فاروس) شيد من الرخام الأبيض حسب ما ذكر من عدة قصص. المهندس (سوستراتوس) من (كنيدوس)، وهو صديق للملك، شيده لتأمين الإبحار حسب ما أوردت النقوش، حيث إن الساحل على كل جانب منخفض وبدون ميناء، وبه سلسلة من الصخور قريبة للبحر، وكذلك توجد بعض الضحالة فى العمق، وهنا فإن وجود علامة مرتفعة وواضحة سوف يتمكن البحارة من ملاحظتها عند الدخول من البحر المفتوح فى اتجاههم مباشرة إلى مدخل الميناء المدخل الغربى ليس مدخلاً سهلاً، لكنه لا يتطلب نفس درجة الحذر مثل الآخر. إنه يكون أيضًا ميناء آخر يسمى (أيونوستوس) أو (العود الحميد)، وهو يقع أمام ميناء من صنع الإنسان، وهو مغلق[٢]، ويسمى (كيبوتس)، أى الصندوق، حيث مدخله عند البرج السالف الذكر لفاروس. وهذان الموقعان المتجاوران فى الشاطىء والمنفصلان عنه بواسطة ربوة أو هضبة صغيرة تسمى (هبتاستاديوم)[*]، وهذه الربوة تشكل جسرًا بين***

(1) Strabo, Gyography, VOI III, XVII, Vol III, 1.6. FALCONER, M.A., London, 1889,

(2) Ibid, 1.10

(*) هذا الطريق يبلغ طوله سبعة ستاديات، ولذلك سمى هبتا ستاديا أى نحو ١٢٠٠ متر.

الجزيرة والقارة، وتمتد على طول شاطئها الغربى تاركة ممرين (*) فقط خلالها لميناء (أيونوستوس)، لكن هذا الجسر لم يستخدم كجسر فقط؛ لكنه أيضًا استخدم كقناة، حيث إنه كان يعتمد عليه لتوصيل الماء العذب إلى الجزيرة التى كانت مأهولة بالسكان. الميناء الكبير بالإضافة إلى أنه كان مغلقًا جيدًا بواسطة الهضبة، وبالطبيعة، كان أيضًا ذا عمق كاف إلى جوار الشاطىء ليسمح للمراكب الكبيرة أن ترسو. وهو ينقسم إلى عدة أبواب).

ويصف سترابو إنشاء مدينة الإسكندر بقوله[1]:

(لقد تم تخطيط أحياء المدينة، وحدد المعماريون الخطوط الخارجية للجدار بالطباشير ثم بدقيق القمح، وتميزت المدينة بموقعها هذا من عدة جوانب، فالموقع يقع على بحرين: الشمالى، وهو الذى يسمى (بحر مصر)، والجنوبى هو البحر المعروف ببحيرة مريوط، وهى التى تملأ بعدة قنوات من النيل، وهو الموقع الذى كان يرتاده التجار للاتصال بالبحر، ومن هنا فإن الميناء الذى على بحيرة مريوط (أى الميناء النيلى) كان أغنى من الميناء الذى على البحر، فالصادرات من الإسكندرية عن طريق البحر كانت تفوق الواردات. لقد خُططت أحياء المدينة، فالأماكن التى تحد المدينة بالطول محاطة بالماء، وهى تمتد نحو ٣٠ ستادًا، لكن الخلجان، والتى تحد عرض الجهات فى حدود سبعة أو ثمانية ستادات محددة من ناحية واحدة بالبحر ومن الناحية الأخرى بالبحيرة.

(*) على حسب الفلكى لا يمكن أن يكون مكانها إلا عند طرفى الطريق أحدهما قرب المدينة والآخر قرب الجزيرة، وكان يحرسهما حصنان قائمان على مقربة من طرفى الهبتاستاديوم أحدهما فوق القارة والآخر على الجزيرة (الإسكندرية القديمة وضواحيها والجهات القريبة منها وأعمال سبر الغور والمسح وطرق البحث الأخرى، دار نشر الثقافة، الإسكندرية ١٩٦٦ ، ١٠٠ - ١٠١ .

(1) Strabo, XVII. 1.7

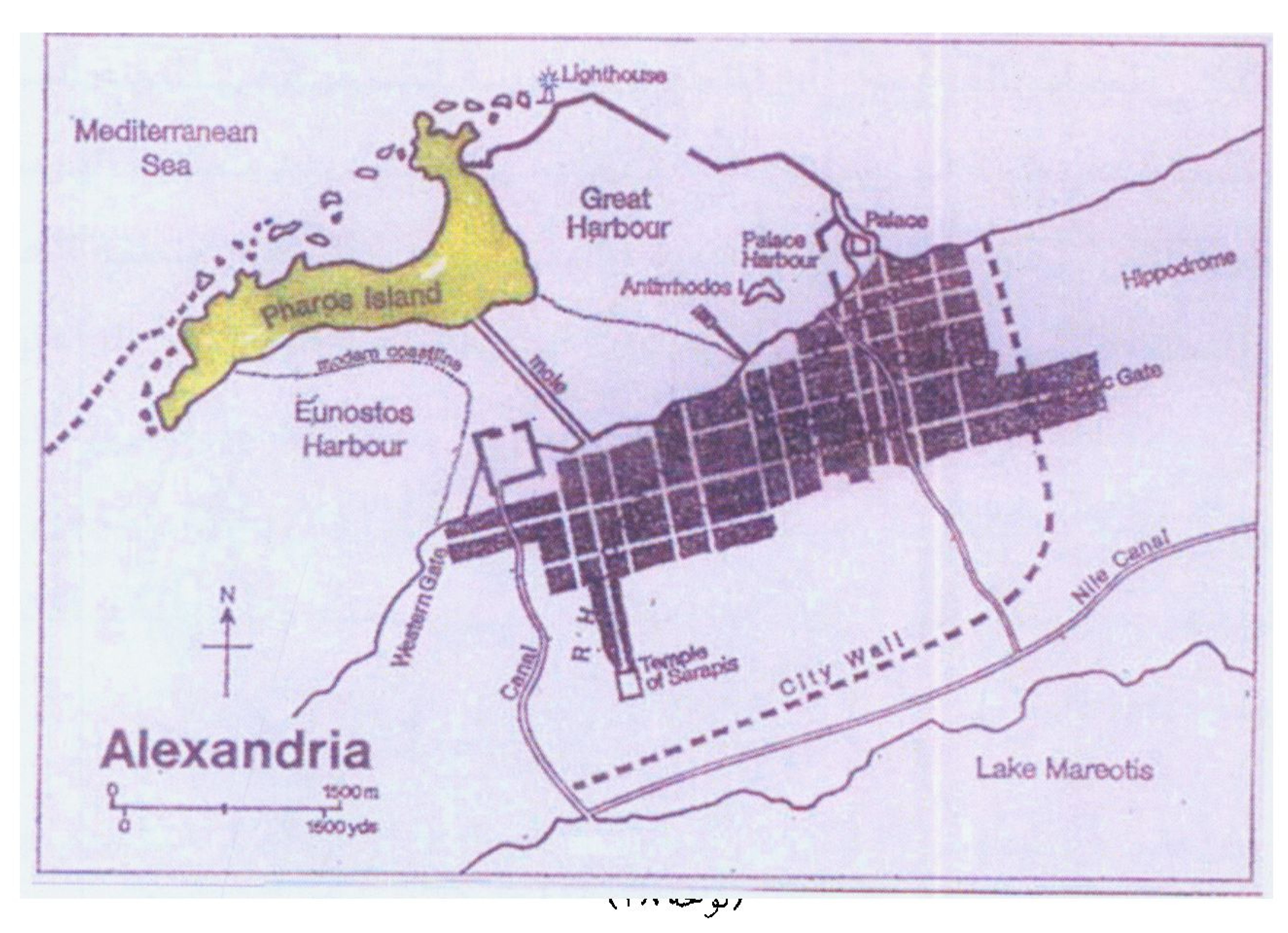
المدينة كلها خططت أو قسمت بواسطة طرق للخيالة وللعربات الشاريوت، طريقان من هذه الطرق عريضان جدًا، ويقطع أحدهما الآخر بزاوية قائمة، ويحتوى على قصور ملكية وأماكن عامة جميلة، حيث تحتل نحو أربع أو خمسة أجزاء من اتساعه. وكل ملك من الملوك يضيف بعض الإنشاءات إلى الأماكن المخصصة للاستعمال العام بجانب المبانى الموجودة فعلاً. كل الطرق يوصل بعضها إلى بعض، وتوصل إلى البحر وما بعده (لوحة ٣٨).

المتحف كان جزءًا من القصور، وكان له ممشى عام وأماكن بها مقاعد وقاعة كبيرة للقراء الذين ينتمون إلى المتحف. الجزء الذى ينتمى إلى القصور يسمى (السوما(*)، وهو المحاط، والذى يحتوى على مقابر الملوك وقبر الإسكندر الأكبر، حيث أخذ بطليموس ابن لاجوس جثمان الإسكندر من برديكاس إلى المكان الذى يرقد فيه الآن، ولكن ليس فى التابوت نفسه، حيث هو الآن من الألبستر، وكان بطليموس قد وضعه فى تابوت ذهب).

كان هذا وصف سترابون العام للإسكندرية، أما جنوب غرب المدينة فهو موقع قرية راكوده القديمة (كوم الشقافة)، وقد بنى حول المدينة سور ويقع خارجها مدينتان للموتى، واحدة فى الشرق وأخرى فى الغرب. وكانت توجد ضاحية اليوسيس (مكان حديقة النزهة الحالية)[1] **(لوحة ٣٩)**

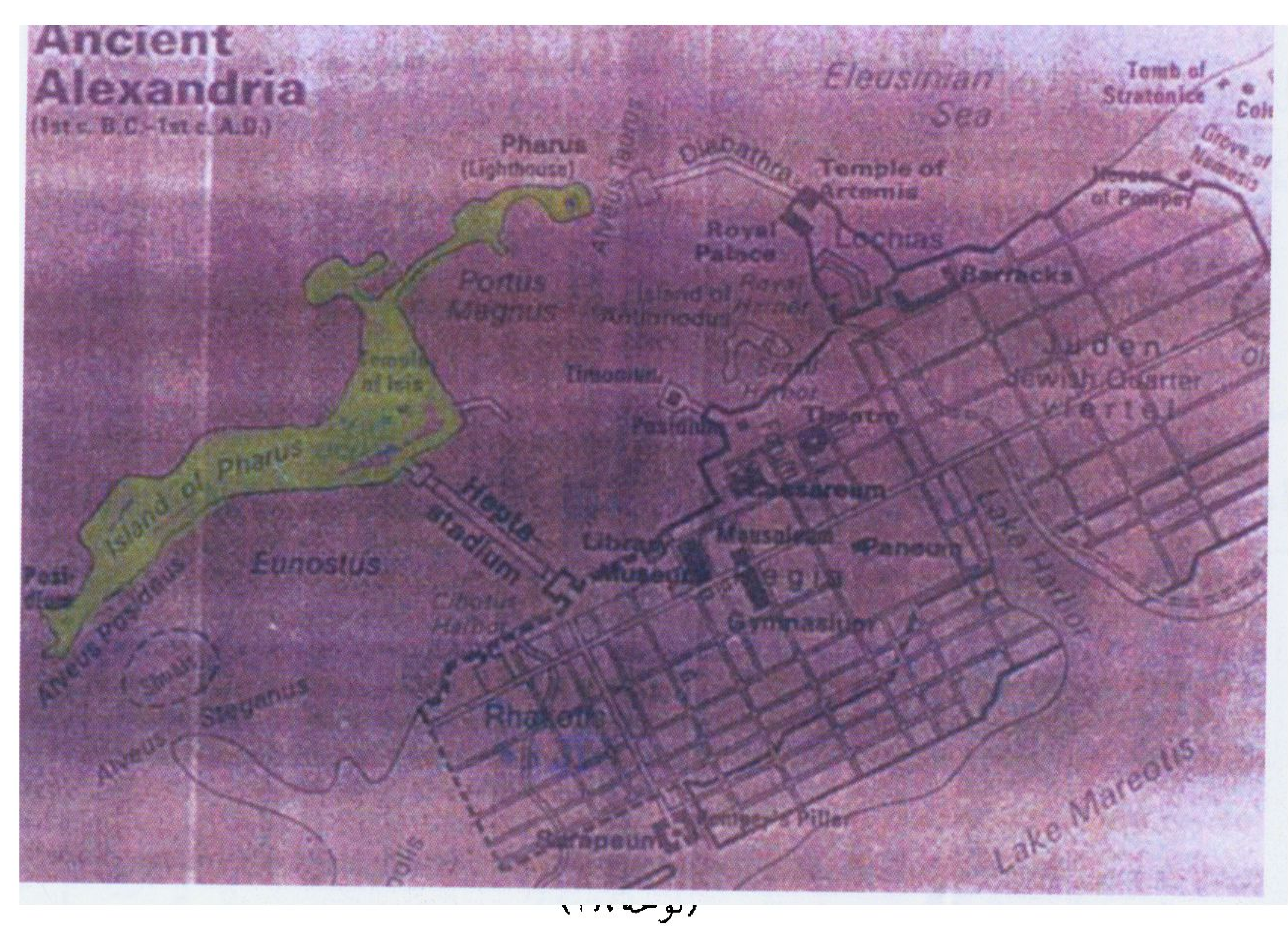
(*) السوما بمعنى جثمان، وأطلقت على الجبانة الملكية.

(١) محمود عبد اللطيف عصفور: جغرافية العمران، جغرافية مصر، سلسلة المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ .



(لوحة [illegible])

خريطة الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد



(لوحة [illegible])

خريطة الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد والقرون الأول



(لوحة ٣٩)

خريطة الإسكندرية ا لقديمة والحديثة

تذكر المصادر القديمة[1] أن المنطقة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة تعرف باسم منطقة اليوسيس الداخلية، وهى تختلف عن منطقة اليوسيس البحرية التى تشمل منطقة الإبراهيمية وكامب شيزار حاليًا وأن منطقة الحضرة هى المنطقة التى كانت تحتوى على مقابر عديدة تسمى اليوسيس الداخلية[٢]، وقد مدت ترعة الإسكندرية فى عام ٣٣١ ق. م من الفرع الكانوبى لتزويد المدينة بالمياه العذبة[٣]، علمًا بأن ميناء فاروس القديم والذى كان يقع قريبًا من قرية راكوده يرجع إنشاؤه إلى ١٣٠٠[٤] ق. م (هذا الرأى يعضده جونديه بعد اكتشافه لأرصفة هذا الميناء).

إذن لقد وُصِلَتْ جزيرة فاروس بقرية راكوده عن طريق الهبتاستاديوم، والذى قسم منطقة فاروس إلى ميناءين يختلف أثر الرياح وحالة البحر عليهما، مما يميز هذه المدينة، حيث يتيح لربابنة السفن أكثر من ميناء يمكن اللجوء إليه حسب تغير اتجاه الرياح وحالة البحر. إن هذه العوامل السابقة تدعو كثيرًا من المؤرخين والجغرافيين وعلماء البحار إلى اعتبار موقع الإسكندرية أصلح مكان يمكن اختياره على البحر المتوسط ليكون ميناءها الأول[٥].

إذن لقد أصاب الإسكندر الأكبر حينما وقع اختياره على هذه البقعة من أرض مصر لتحقق حلم المدينة الذى كان مرتسمًا فى خياله، حاضرًا فى يقينه عندما جاء لفتح مصر.

---

(1) Strabo, XVII, 1. 10, Diodorus sic., XXI, P. 150, Zenon Pap. Cairo 535423.

(2) A. Adriani, la Nicropolie d' Hadara, in, Annuaire de Musée Greco, Romain 1940 - 1950, 1952, P. 1 - 27.

(٣) محمود عبد اللطيف عصفور: سبق ذكره، ص ٢٠٣ .

(٤) المرجع السابق.

(٥) سليم أنطون مرقس: سبق ذكره، ص ١١٩ .

لم يكن سترابون هو الوحيد الذى ذكر الإسكندرية، ووصف موانيها، ودخولها، وحدد مواقع منشآتها، فلقد ذكر كثير من الرحالة والمؤرخين القدامى الإسكندرية كلٌ، بحسب رؤيتها فى عصره الذى زار فيه مصر ومدينة الإسكندرية، أو بحسب ما سمعه من بعض الرواة عما كان موجودًا فعلاً لكنه أصبح فى عصره مجرد أثر أو بقايا أو بعض المعالم التى تغيرت فجاءت لنا شهاداتهم تعطينا رسمًا أو طيفًا مما كانت عليه المدينة إبان العصر اليونانى والرومانى والبيزنطى ونذكر منهم:

هوميروس الشاعر اليونانى **هوميروس**[1] *Homeros* (القرن التاسع والثامن ق. م)، فقد ذكر فى ملحمته (الإلياذة والأوديسا) سواحل مصر والجزيرة المقابلة لها (فاروس) وميناءها الذي كان موجودًا، وذلك قبل الإسكندر بخمسة قرون على الأقل.

أيضًا ذكر الشاعر **ثيوكريتس** *Theocritos* فى القرن الثالث ق. م[2] الازدهار فى الفنون مثل العمارة والآداب فى الإسكندرية، أما المؤرخ بسيدكاليثينيس - Pseudo Callisthanes منذ القرن الثانى والأول ق. م، فقد ذكر بناء الإسكندرية وتخطيطها أيضًا، وتشجيع المواطنين على استيطان المدينة الجديدة، وذكر تقسيمها إلى خمسة أحياء، وهى الحروف الأولى من عبارة (شيدها الإسكندر الملك ابن الملك) A, B, T, Δ, E.

(1) Homeros, odyssey Iv 354 - 360 .

(٢) عزت زكى قادوس: آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ٢٠٠١ ، ص١٤ .

كذلك المؤرخ **بوليبيوس** *Polybius* الذى زار مصر عام ١٣٦ ق. م فى عهد بطليموس الثامن[١] (يوريجيتس الثانى)، وزار الإسكندرية ووصف (الاستاديوم)، حيث يقوم سباق الأفراد، وميزاته المعمارية، وعن الهيبودروم خارج أسوار الاستاديوم شرق المدينة، الذى يقوم فيه أيضًا سباق للعربات، ومعبد التيمونيوم وطقوس العبادة فيه، وقد تحدث عن الحى الملكى، واعتقد بوجود اثنين من (الهيبودروم) أحدهما خارج الأسوار والآخر داخل أسوار المدينة[٢]، وكذلك أطلق على مسرح الإسكندرية اسم الديونيسى[٣] نسبة إلى الإله ديونيسوس إله الخمر عند اليونانيين، حيث كانت تمثل فيه المسرحيات الخاصة بهذا المعبود. أيضًا المؤرخ **ديودور الصقلى** *Diodoros* الذى زار الإسكندرية عام ٥٩ ق. م، والذى قال إن ملوك مصر من بعد الإسكندر الأكبر أخذوا فى تطوير المدينة الجديدة، فقد زينها بعضهم بقصور فخمة، وبعضهم بالمرافىء والموانى، وبعضهم بالمبانى، حتى أصبحت من حيث الاتساع أول أو ثانى مدينة فى العالم المأهول آنذاك[٤] بعد مدينة روما، وإن الإسكندر عندما قرر بناء مدينته اختار الموقع، وحدد الشوارع، وأمر أن تحمل المدينة اسمه، وعند اختياره للزوايا التى تحدد الشوارع جعل المدينة فى مواجهة الرياح القادمة من البحر حتى تجعل جو المدينة رطبًا، وتزود أهل المدينة بالطقس الملائم والصحى[٥]، وهو الذى خطط أسوار المدينة التى كانت ضخمة ومنيعة، أما شكلها فيأخذ شكل القميص اليونانى، يشقها طريق يليق بحجمها وجمالها، وهو يربط بين بوابتين على مسافة ٤٠ ستاديوم، وتزين

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨ .

(2) Polybius, Histories XV, 30, 4.

(٣) عزت قادوس: سبق ذكره، ص ١٩ .

(4) Diodoros, Siculus, 1. 50. 6.

(5) Ibid XVII, 52.2.

الطريق من الجانبين واجهات فخمة من المنازل والمعابد، وكل ملك يأتى بعده يضيف إليها[1].

أما يوليوس قيصر Julius Caesar، فإنه عندما جاء إلى الإسكندرية عام ٤٨ ق. م وصف فنار الإسكندرية القائم فوق الجزيرة، والذى استمد اسمه منها (فاروس)، بأنه ذو تصميم رائع، وذكر أن الجزيرة تقع فى قبالة الإسكندرية، يصلها جسر طوله ٩٠٠ قدم هو الهبتاستاديوم، وأن المسرح مجاور للقصر[2] الذى أقام فيه عند وجوده فى الإسكندرية ومتصل به، وذكر أن شوارع المدينة بنيت أرضيتهامن الكتل الحجرية المستطيلة، وأن المدينة محصنة بأبراج شامخة تصل إلى عشرة طوابق، وذكر أن هناك جزءًا صغيرًا من القصر الذي كان قد أنشىء فى البداية كمقر إقامة شخصى لمارك أنطونيو، وأن هناك مسرحًا ألحق بالقصر الذى أخذ موقع الحصن أو القلعة، وألحق بالميناء والأرصفة الأخرى. كذلك المؤرخ الجغرافى سترابون Strabo كما ذكرنا سابقًا، فقد زار الإسكندرية عام ٢٦ - ٢٠ ق. م وهو من أهم المصادر القديمة التى وصفت مدينة الإسكندرية والميناءين الشرقى والغربى، وهو يقول فى وصفهما[3] : ***(إن الداخل إلى الإسكندرية عن طريق البحر يدخل من الميناء الكبير، فعلى اليمين توجد جزيرة وبرج فاروس ومعبد إيزيس فاريا، وإلى اليسار توجد سلسلة الصخور (لوحة ٨١)، ورأس لوخياس، والقصر المقام فوقها، وتوجد القصور الداخلية، حيث تتصل مع تلك الموجودة على رأس لوخياس، وتحتوى على كثير من الأماكن ذات الزخارف وذات البساتين، إلى أسفل يوجد الميناء الصناعى المغلق والخاص باستعمال الملوك (الميناء الملكى)، والجزيرة الصغيرة (إنتيرودس) أمامه، وعليها***

(1) Ibid XVII, 52.2.

(2) Caesar, De bello Alexandrino, II..

(3) Strabo,Geography, XVII, 1,6 - 17, 1, 10

قصر وميناء صغير، وفوق ذلك يوجد المسرح، ثم البوسيديون، وهو جزء من مجمع، وفيه معبد (بوسيدون)، وقد بنى أنطونيوس منزلاً ملكيًا يسمى (تيمونيوم)، بعد ذلك يأتى القيصريون السيزاريون (مبنى قيصرون) ثم الامبوريون، الميناء التجارى، ثم أبوستاسس (المخازن)، وتتبعها أرصفة السفن أو (الترسانة) التى تمتد حتى الهبتاستاديوم). ذلك كان وصف سترابون للميناء الكبير أو الشرقى، والذى سوف يُعْتَمَد عليه مع آخرين فيما بعد لتوقيع الآثار التى اكُتشِفَتْ فى الميناء.

استطرد سترابون[1] فى وصف الميناء الغربى أو العود الحميد فقال:

(بعد الهيباستاديوم يوجد ميناء يونوستس (العود الحميد)، والذى يوجد وراءه الميناء الصناعى المسمى (كيبوتوس) أو الصندوق، والذى يحوى أيضًا أرصفة سفن فى قاعدة هذا الميناء، تليه قناة قابلة للملاحة تمتد إلى بحيرة مريوط. خلف القناة ما زالت توجد بقايا المدينة، ثم تتبعها الجبانة (نيكروبوليس)، حيث الحدائق العظيمة، وأماكن دفن الموتى، والمبانى التى تقام فيها مراسم التحنيط والدفن للميت. هنا أيضًا القناة والسيرابيوم وأماكن قديمة أخرى اختفت الآن، حيث بنى معبد فى الجبانة. كذلك يوجد (امفتياتر) (مدرج) (وستاديوم) تقام فيه ألعاب شهيرة كل خمس سنوات، لكن هذه الطقوس أهملت، أى إن مدينة الإسكندرية كانت محاطة بمبانٍ عامة ومبانٍ دينية. كذلك يوجد الجمينازيوم الذى يحوي صالة معمدة (بورتيكو) على جانبيها. الشارع الواسع يمتد طوليًا على طول الجامينيزيوم من الجبانة حتى بداية كانوب. بعد ذلك يوجد (هيبودرومس) (حلبة سباق الخيل) وبعض المبانى القريبة منه، وتؤدى إلى قناة كانوب، وعندما نعبر من الهيبودرومس نجد (نيكوبوليس)، والتى تتكون من مبانٍ

(1) Strabo. XVII. 1.7.10.

مواجهة للبحر لا تقل فى عددها عن المدينة نفسها، وتبعد ثلاثين ستاديا من الإسكندرية وأنشأها أغسطس قيصر). أيضًا ***لوكيان Lucanus*** الذى عاش من عام ٣٩ ميلاديًا حتى ٦٥ ميلاديًا، فقد تحدث عن الفترة الأخيرة من العصر البطلمى، ووصف القصر الملكى فى الإسكندرية[١]، حيث قال إن حجمه يماثل حجم المعبد فى عصور الازدهار، وإن الأسقف كانت محددة بالذهب، والجدران مغطاة بالرخام وحجر البروفير الثمين. أما الألباستر فكان ينتشر فى كل صالات القصر، وكان خشب الأبنوس من (مروى) يغطى كل الأبواب الضخمة فى القصر، والذى حل محل الخشب العادى، أما زخرفة هذه الأبواب فكانت رائعة، وكان العاج يغطى صالة المدخل، وغطيت الأبواب بطبقة صدفة ظهر السلحفاة الهندية، أما المجوهرات والأكواب فكانت تملأ الموائد، وكانت الأرائك متسعة جدًا، ومغطاة بأغطية ذات ألوان رائعة[٢].

فيلون Philo السكندرى اليهودى الذى عاش من ١٣ إلى ٥٠ ميلاديًا قدم وصفًا للإسكندرية فى بداية العصر الرومانى، وتحدث عن أحياء الإسكندرية الخمسة وهى ألفا (A)، وبيتا (B)، وجاما (J)، ودلتا (Δ)، وايبسلون (E)، ووصف الموانىء الواقعة على النهر، والشوارع المؤدية إلى القصر الملكى، ووصف معبد السيباستيوم[٣] فى الإسكندرية الذى أكمله الإمبراطور أغسطس قيصر، ووصف الصور والتماثيل من الفضة والذهب والمعابد والبوابات والأروقة والحرم الموجود حول معبد أغسطس، فهو معبد القيصر فى مواجهة الموانىء الصالحة للملاحة، وهو مبنى ضخم متسع يحيط به كثير من الزخارف والتماثيل الذهبية والفضية،

---

(١) عزت قادوس: سبق ذكره، ص ٢٩ .

(2) Lucans, The civil war, X, 107 - 127 .

(3) Philo, the Embassyto Gaiu, 150 - 151 .

أما حرم المعبد فكان متسعًا مزودًا بالبوابات والمكتبات والحجرات والساحات المفتوحة. كذلك وصف الهبتاستاديوم والميناءين الشرقى والغربى ومسرح الإسكندرية البطلمى.

المؤرخ بلينى Pliny عاش فى القرن الأول الميلادى (٢٣ - ٧٩م)، وتحدث عن الإسكندرية وحدد مسافه ١٢٠ ميلاً بين قرية راكوتيس وبين المصب الكانوبى، وتخطيط المدينة على مساحة ١٥ ميلاً على شكل الرداء المقدونى[1] وتكلم أيضًا عن فاروس التى يربطها بالإسكندرية جسر، وهى تحمل المنارة التى ترشد السفن فى الليل، وقال إنه يمكن الوصول إلى الإسكندرية عن طريق ثلاث قنوات من البحر[2] هى ستجانوس Steganus، وبوسيديوم Posideum، وتاوروس Taurus، وكذلك ذكر المسلات الواقعة بالقرب من الميناء، حيث توجد مسلة أمام مبنى الأرسينيوم Arsinoeum، وهذا المبنى بناه الملك (بطليموس الثانى) فيلادلفوس لأخته وزوجته أرسينوى، وهو يقع فى الطريق إلى الترسانة البحرية، وقد نقلت المسلة إلى ساحة السوق عن طريق حاكم مصر ماكسيموس، وذكر أن هناك مسلتين أخريين فى الإسكندرية فى الحى الذى يقع به معبد قيصر بالقرب من الميناء، "وقد شيدهما ملك يدعى مسفرس Mesphres، ويبلغ طولهما ٤٢ ذراعًا"[3].

المؤرخ يوسفيوش فلافيوس Flavius Josephus عاش فى القرن الأول الميلادى لبعض الوقت فى الإسكندرية ووصف ميناءها[4] الصعب الدخول، فقال: "دخول ميناء الإسكندرية صعب جدًا على السفن، وحتى فى أثناء هدوء البحر،

(1) Pliny, Natural History, V, XI, 62-63.

(2) Ibid, X, XXXIV, 128.

(3) Ibid, X, XXXVI-XXXVII.

(4) Flavios Josèphe, Guerre des Jeuifs avec les Romains, III, IV, 612-615.

لأن فتحته ضيقة جدًا، وبسبب الصخور المختفية تحت سطح البحر، التى ترغم السفن على الانحراف عن طريقها، وعلى الجانب الأيسر يوجد حاجز أمواج قوى كأنه ذراع تحتضن هذا الميناء، ومن الجانب الأيمن تحيط به جزيرة فاروس عليها برج ضخم، حيث يوجد ضوء دائم يشع تمتد أضواؤه إلى مسافة ٣٠٠ ستاد (٣٠٠ فيورلنج Furlong)[١] حتى يعرف البحارة الطريق الذى يجب أن يسلكوه. ولحماية هذه الجزيرة من غدر البحر أحيطت بأرصفة ذات جدران ضخمة جدًا، ولكن عندما تزداد الأمواج شدة بسبب هذه العقبة التى تصادفها فإنها ترتفع بعضها فوق بعض وتتكسر، ويزداد مدخل الميناء ضيقًا، ويصبح أكثر خطورة، وبعد أن تخترق السفن هذه المصاعب وتصل هذا الميناء فإنها تكون فى أمان تام. ويبلغ طول الميناء ٣٠ فيورلنج.

أما المؤرخ بلوتارك Plutarch الذى عاش بين القرنين الأول والثانى الميلادى، فقد ذكر[٢] قصة رؤية الإسكندر ثم زيارته للمكان وتأسيسه الإسكندرية، وكذلك وصول الملكة كليوباترا إلى قصر قيصر ملفوفة فى سجادة، وذكر مقبرتها الرائعة بالقرب من معبد الإلهة إيزيس، والتى جمعت فيها كل النفائس من الذهب والفضة والأحجار الكريمة[٣].

كان هذا جانبًا مما ذكر عن مدينة الإسكندرية بواسطة هؤلاء المؤرخين والجغرافيين والرحالة من العصر اليونانى الرومانى، فكان هذا التصور والمعرفة عما كانته هذه المدينة العظيمة إبان عصور ازدهارها، وكذلك وصفت مدينة الإسكندرية بواسطة مؤرخى ورحالة العصور الوسطى والعصر الحديث.

---

(1) Ibid

(2) Plutarch, Iives, Alexnder, 26,3-11.

(٣) عزت قادوس.

ثانيًا اضمحلال الإسكندرية واختفاء الميناء الشرقى:

ماذا حدث لهذه المدينة الزاهرة والعامرة؟ أين تلك المبانى التى وصفها لنا هؤلاء المؤرخون على مينائها الشرقى؟ وأين ميناؤها الغربى؟ أين تلك القصور وتلك المعابد وهذه المنارة والأرصفة والأحواض والترسانة؟

لقد تعرضت الإسكندرية فى تاريخها الطويل لعاملين مهمين من عوامل الطبيعة التى تكلمنا عنها تفصيليًا فى الفصل الأول من الباب الأول.

١- **العامل الأول** هو عامل الترسيب بفعل الطمى، وهذا يجعل الميناء ضحلاً لا يقدر على استقبال السفن ذات الغاطس الكبير، كما يعرض فتحة البوغاز للانسداد بفعل الإطماء، مما يقتضى تطهير هذا الممر الملاحى باستمرار، وكان هذا هو ما أصاب الميناء الشرقى بحكم موقعه، كذلك نظام التيارات البحرية خارجه وصغر حجمه وإحاطة المدينة به، وقد أدى هذا العامل إلى أن يتحول جزء من الميناء إلى أرض صلبة نمت عليها المدينة، وهكذا فقد الميناء الشرقى اتساعه وعمقه بمرور الزمن[١].

٢- **العامل الثانى** الذى أثر فى الميناء الشرقى هو ما أصابه نتيجة لهبوط القشرة الأرضية، فهناك إجماع على أن الساحل فى شمال الدلتا، بل الساحل الشمالى الشرقى لإفريقيا قد تعرض لهذا الهبوط، ومن ثم فإن هذا أثر فى الإسكندرية تأثيرًا خطيرًا بما فقدته من منشآت ضخمة أصبحت الآن تحت مستوى البحر.

(١) سليم أنطون مرقس: سبق ذكره، ص ١٢٠ .

فالمنار[1] الذى كان إحدى عجائب الدنيا السبع، والذى بنى فى عهد بطليموس الثانى فى القرن الثالث ق. م على الطرف الشرقى لجزيرة فاروس فى مدخل الميناء الشرقى، والذى كان يتكون من ٣ طوابق يبلغ ارتفاعها نحو ١٢٠ مترًا، بناه المهندس سوستراتوس من جزيرة كنيدوس، وأهداه كما يذكر النقش إلى البحارة ليهتدوا به.

ويذكر المؤرخون أنه كان يشع منه ضوء قوى يمكن رؤيته على مسافة ٣٠ ميلاً فى البحر **(لوحة ٤٠)** ورغم الهبوط الذى أصاب جزيرة فاروس فقد ظل المنار يؤدى وظيفته على أكمل وجه حتى بعد الفتح العربى. وفى عام ٧٠٠ م سقط المصباح الذى كان يوجد فى قمته، ويعطينا المسعودى فى عام ٩٤٤[2] ميلاديًا صورة شاهد عيان للمنار الذى وصفه وصفًا أمينًا، وقدر ارتفاعه على أيامه بنحو ٢٣٠ ذراعًا، فى حين كان فى العصور القديمة ٤٠٠ ذراع.

ويؤيد وصف المسعودى القياسات الدقيقة للمنار التى أعطاها العالم المدقق عبد اللطيف البغدادى عندما زار مصر أيام صلاح الدين الأيوبى فى عام ٩٥٥، تعرض المنار لزلزال شديد هدم ثلاثين قدمًا من أعلاه، وقد أعطى أبو الحجاج

---

(1) Thiersch, H., Der pharos. Antike Islam and occident - Ein Beitrag zu Architekturgeschichte, von teubner, Ieipzigu. Berlin, 1909.

- Breccia. Ev. Alexandrea Ad Aegyptum, Alexandria municipality, Bergamo, 1922.

- هنرى رياض، سعد زغلول عبد الحميد، السيد عبد العزيز سالم - فى كتاب تاريخ الإسكندرية وحضارتها - محافظة الإسكندرية ١٩٦٣ .

- جمال الدين الشيال: الإسكندرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى - فى كتابه الإسكندرية - غرفة الإسكندرية التجارية ١٩٤٩ .

(٢) سليم أنطوان مرقس: سبق ذكره، ص ١٣٢ .



54 LE PHARE : DIX-SEPT SIECLES D'EXISTENCE
SAINT MARC GUIDE PAR LE PHARE 55

(لوحة ٤٠)

يوسف بن محمد البلوى الملكى الأندلسى المعروف بابن الشيخ، والذى زار الإسكندرية عام ١١٦٥ - ١١٦٦ ميلاديًا فى كتابة (ألف باء)، أعطى وصفًا مفصلاً لمنارة الإسكندرية(١).

وفى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون حدث عام ١٣٠٢ ميلاديًا زلزال كبير شرق البحر المتوسط امتدت آثاره إلى الإسكندرية بحصونها وأسوارها ومنارتها، وقد روى المقريزى، أن ما هدم من السور كان ستة وأربعين بدنه، وسبعة وعشرين برجا، وأن السلطان كتب إلى والى الإسكندرية بإعمارها فعمرها، أما المنار وكان قد سقط من أعلاه نحو أربعين شرفة، فقد عمره الأمير ركن الدين بيبر الجسنكير عام ٧٠٣ هجريًا، وعندما زار ابن بطوطة الإسكندرية عام ١٣٥٠ ميلاديًا، أى بعد الزلزال بنصف قرن، كتب قائلاً: "وقصدت المنار عند عودتى إلى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة (هجريًا) فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود إل بابه". وبعد رحلة ابن بطوطة بأكثر من قرن ورد وصف آخر لما آلت إليه حال المنار فى كتابات ابن إياس، المؤرخ المصرى الذى أشار إلى أن المنار القديم قد ناله ما نال المدينة نفسها من إهمال وخراب. وعندما زار السلطان الأشرف قايتباى الإسكندرية عام ١٤٧٧ ميلاديًا، أمر أن يبنى مكان المنار برج جديد، والمعروف بطابية قايتباى، وفى هذا الصدد يحدثنا ابن إياس فيقول: "ثم إنه توجه نحو المنار القديم الذى كان بثغر الإسكندرية ورسم بأن يبنى على أساسه القديم برج، فبنى فيه برجًا عظيمًا هو الموجود الآن"(٢). هذا وهناك من الأثريين من يرجح قول سترابو عن المنار بأنه "يرتفع فوق صخرة كبيرة محاطة بالمياه من كل جانب، وأن هذه الصخرة هى صخرة

(1) J. Y. Empereur, Le Phare d' Alexandrie. la mervielle retrouve. Gallimard. 1998, P. 104.

(٢) سليم أنطوان مرقس: سبق ذكره، ص ١٣٣ .

الماس Diamond، والمغمورة تحت سطح البحر، وتظهر على الخرائط البحرية إلى الشمال الشرقى من طابية قايتباى، على أن المعارضين لهذا القول يرون أن الصخرة أصغر من أن تكفى لبناء ضخم مثل المنار[1].

من هذا يتضح أن منار الإسكندرية بقى حتى القرن الرابع عشر ميلاديًا، فى حين زالت معظم مبانى الإسكندرية، خاصة الميناء الشرقى، من الوجود قبل ذلك بقرون، على أن بعض الكتاب العرب لاحظ وجود آثار غارقة من آثار الإسكندرية القديمة حول الميناء الشرقى، وحددوا مكانها من المنار الذى كان لا يزال قائمًا. فنجد أن كاتبًا مراكشيًا من كتاب القرن السادس الهجرى هو صاحب كتاب "الاستبصار" يقول[2]: "..... وفى جهة الشمال من المنار بنيان عظيم عريض ارتفع من قعر البحر حتى ظهر على وجه الماء، يدل على أنه كان عليه مصانع قد ذهبت، ويسمى ذلك البنيان الفاروس...". كذلك كتب المقريزى[3] فى كتابة "الخطط" يقول: "إن أهل الإسكندرية يخبرون عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنارة فى هذا الوقت، فغلب عليه ماء البحر فى المدة اليسيرة، وإن ذلك فى زيادة"[4].

هكذا نرى أنه إذا كان العامل الأول، وهو الترسيب، قد أضاف إلى مساحة الإسكندرية على حساب البحر، فإن العامل الثانى قد أخذ من المدينة إلى البحر خير ما كانت تملكه من المنشآت الرائعة التى كانت تزهو بها على الدنيا[5]،

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٤ .

(٣) تقى الدين أحمد بن على المقريزى: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، سبق ذكره.

(٤) سليم أنطوان مرقس: سبق ذكره، ص ١٣٤ .

(٥) المرجع السابق، ص ١٢٠ .

فتختفى مبانى الحى الملكى فى الميناء الشرقى بقصوره وموانيه وحدائقه تحت طبقة من الرمال والطمى، ويقول العلماء إنه يجب أن نتوقع أن سمك هذه الطبقة تختلف من مكان إلى آخر حسب سرعة الترسيب ومدته، فإذا اعتبرنا أن سرعة الترسيب واحدة من منطقة محدودة كالميناء الشرقى، يبقى أمامنا مدة الترسيب فوق هذه الآثار، وهنا تبرز أمامنا أهمية تحديد تاريخ اختفاء هذه الآثار[1]. كذلك نجد أن منار الإسكندرية آخر تلك الآثار التى تم اختفاؤها، ومن ثم فإنه الأقل غورًا فى رمال القاع، وكان اختفاؤه بفعل الزلزال وليس الهبوط فى تربة الإسكندرية، لذلك يعتقد أن بقايا هذا المنار على الأقل لا تزال بارزة فوق سطح القاع ولو بروزا جزئيًا، ولم تختفِ تمامًا تحت عوامل الترسيب والإطماء، بعكس آثار رأس لوخياس التى يمكن أن نتوقع أنها كانت أكثر عرضه للاختفاء تحت الرمال والطمى. لا شك أن خريطة الميناء الشرقى قد تغيرت كثيرًا منذ عهدها الأول، فرأس لوخياس لم يبق منه سوى ما نراه اليوم من لسان السلسلة[2]، وبعد أن كان مدخل الميناء ضيقًا جدًا فيما مضى، أصبحت فتحة الميناء متسعه جدًا، مما أدى إلى إنشاء حاجز الأمواج الرئيسى لحماية أرصفة الميناء الشرقى، ولعل حاجز الأمواج الحالى يتبع الخط الذى كان يمتد عليه رأس لوخياس والرصيف الذى يخرج منه، وإن الاتساع الذى طرأ على فتحة الميناء القديم هو دليل قاطع على الهبوط الذى حدث عبر القرون الماضية[3]

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٨ .

ثالثًا: بداية اكتشافات آثار الإسكندرية التى غمرها البحر:

- كانت البداية فى القرن التاسع عشر عندما لاحظ جورنج فى أثناء قيامه بعملية نقل إحدى مسلتى الإسكندرية إلى نيويورك لتقام فى حديقة سنترال بارك عام ١٨٧٩ (**لوحة ٤١**)، أن هناك أعمدة تحت مياه الميناء الشرقى يمكن رؤيتها فى اليوم الصحو، وأن هذه الأعمدة تعوق وصول السفن إلى المكان الذى كانت تقف عنده المسلة على الشاطئ، بينما كانت السفن فى العصر الرومانى تستطيع الوصول حتى الساحل[1].

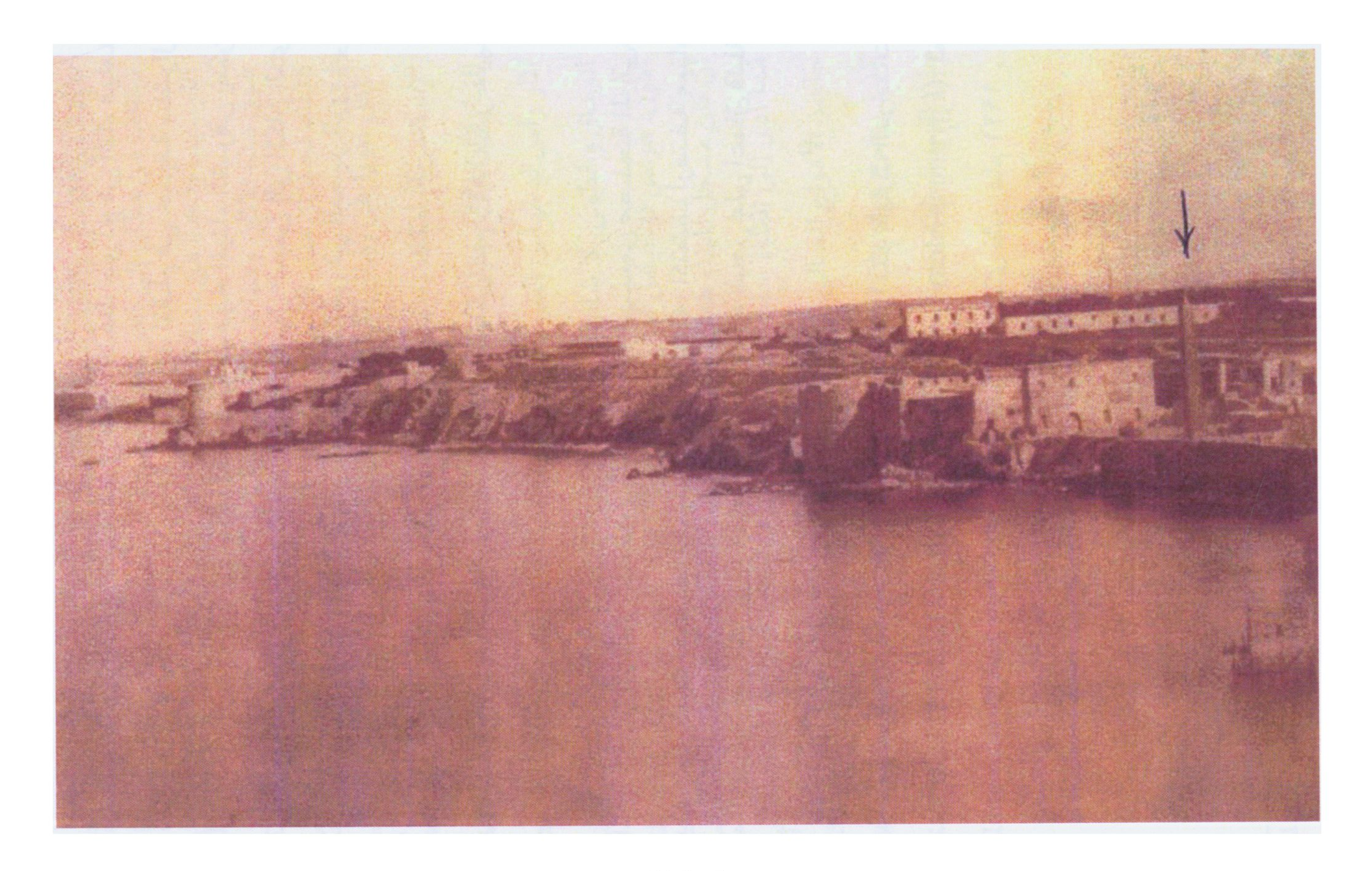
- خريطة الإسكندرية التى وضعها محمود باشا الفلكى عام ١٨٦٦ ذكر عليها ما رآه فى الميناء الشرقى فى أوقات هدوء البحر.

- عام ١٩١٠، بينما كان جاستون جونديه كبير مهندسى مصلحة الموانئ والمنائر يقوم بدراسات لتوسيع الميناء الغربى وتحسينه، اكتشف أرصفة ميناء كامل شمال غرب رأس التين وجدها مغمورة تمامًا بمياه البحر على أعماق قليلة لا تزيد أكثرها على ثمانية أمتار ونصف المتر.

- لقد نشر هذا الاكتشاف فى الإسكندرية عام ١٩١٢، ثم ظهرت الدراسات المستفيضة عام ١٩١٦ فى (Egyptiens Memoires Présentes á I' institut)، ثم تبعه بأطلسه التاريخى عن مدينة الإسكندرية وموانيها والذى نشر عام ١٩٢١ .

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٦ .



(لوحة ٤١)

موقع المسلة على الميناء الشرقى

- لقد غطى اكتشافه هذا ثلاث مناطق، هى الميناء الغربى الكبير، وخليج الأنفوشى. والجزء الغربى من جزيرة فاروس وقايتباى **(لوحة ٤٢)**، وهذه الخريطة تبين حاجز الأمواج الضخم الحديث (بنى عام ١٨٧٠ - ١٨٧٩)، ويمتد من طرف رأس التين إلى الغرب مباشرة جنوب صخرة أبى بكر. هذه الصخور الصلبة اعتبرها جونديه هى حجر الزاوية للميناء الغربى الكبير القديم. وقد وصف بقايا هذه المنشآت الواسعة الغارقة، والتى تكون حاجز الأمواج الكبير القديم، حيث يمتد ٢٣٦٠ مترًا من صخرة أبى بكر إلى المسافة الغربية من خليج الأنفوشى، على عمق ٤,٥ متر وعلى مسافة ٣٠٠ متر شمال الساحل، وهى تحمى الميناء من الرياح الشمالية والشمالية الغربية[1] إلى الغرب من رأس التين، حيث يبدأ حاجز الأمواج الحديث.

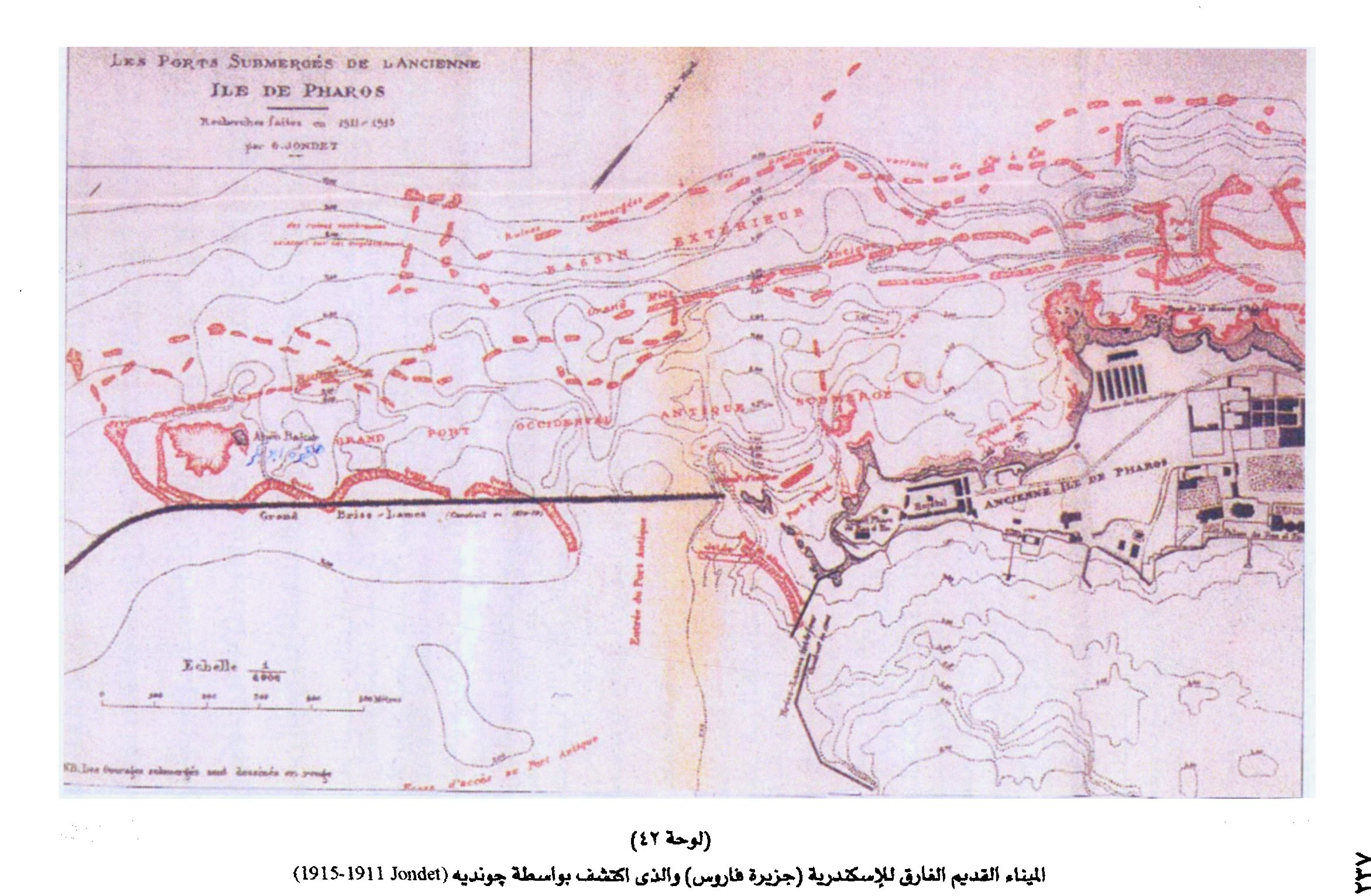
- لاحظ جونديه مسافة نحو ٢٠٠ متر عن المبانى الغارقة، واعتبر أنها لا بد أن تكون المدخل المؤدى إلى الميناء القديم. من غرب المدخل لصخرة أبى بكر وإلى مسافة نحو ٨٠٠ متر تمتد (رصيف يمتد فى البحر) المبانى القوية والمنيعة، حيث يمكن ملاحظتها عند الوقوف على حاجز الأمواج الحديث. أيضًا الميناء القديم مغلق من الغرب باثنين من الأرصفة بطول ٢٠٠ متر، حيث تتصل بحاجز الأمواج القديم الكبير، ويحوط صخرة أبى بكر من الغرب والشمال، حيث يشكل دفاعًا رائعًا للميناء القديم. وقد خرجت معظم أبحاث جونديه بين عامى ١٩١١ و١٩١٣، لكنه فى عام ١٩١٥ اكتشف خطًا من بقايا غارقة خارجية تبعد ٢٠٠ متر إلى الشمال، وتتوازى مع حاجز الأمواج القديم الكبير. هذا الخط الاعتراضى من المبانى يشكل حاجز الأمواج الخارجى، الذى يمتد من الشمال من صخرة أبى بكر إلى الشرق بعمق ٦,٥ - ٨,٥ متر تحت سطح البحر، والماء بين هذين الحاجزين

(1) S. A. Morcos Early discoveries of Submarine Archaeological sites in Alexandria. Underwater archaeology and coastal management, Focus on Alexandria. Unesco publishing, 2000.

يمثل الحوض الخارجى للميناء، حيث يتصل بالميناء الغربى الكبير بواسطة ممر شمالى من صخرة أبى بكر[1].

ومن بين تفاصيل كثيرة فإن جونديه قد وصف بناءين صغيرين، الميناء الخاص الرئيسى، حيث يقع إلى شرق المدخل للميناء القديم، ملاصقًا لقصر رأس التين. الميناء التجارى الذى يلاصق جزيرة فاروس يقع على بعد نحو ٢٠٠ متر من النهاية الشرقية لحاجز الأمواج القديم الكبير. إن الحجم الضخم للميناء مدهش، حيث المبانى العملاقة. إن هذا الميناء القديم يغطى نحو ٦٠ هكتارًا، وتحوطه المبانى الصناعية بطول نحو ٤ كم، بالإضافة إلى ١,٦ كم من ساحل فاروس تعطى محيطًا إجماليًا للميناء يقدر بنحو ٦ كيلو مترات.

(1) Ibid



(لوحة ٤٢)

الميناء القديم الغارق للإسكندرية (جزيرة فاروس) والذى اكتشف بواسطة چونديه (Jondet 1911-1915)

اتساع الميناء يختلف بين ٢٠٠ متر إلى ٤٠٠ متر، هذه الأبعاد تقريبًا يمكن مضاعفتها بإضافة الحوض الخارجى عندما اكتشف فى عام ١٩١٥ حاجز الأمواج الخارجى. بنيت حواجز الأمواج من كتل ضخمة من الحجر الجيرى يبلغ وزن الواحدة منها ٦٠ طنًا، وقد نقلت من محاجر المكس المجاورة. وتظهر الكتل السفلى من الحواجز منتظمة الشكل، فى حين تعرضت العليا لعوامل التعرية بفعل مياه البحر والتيارات السطحية والأمواج والرياح، فأصبحت ذات سطح أملس، ولا يزال بعض هذه الأرصفة فى حالة جيدة، بينما تراكمت الرمال والأعشاب البحرية على بعضها الآخر كما فى خليج الأنفوشى[1]. لم تستعمل أية مونة فى بناء حاجز الأمواج، بل وضعت الكتل بعضها إلى جوار بعض، وملئت الفراغات بينها بالرمال والحجارة الصغيرة، وتعتمد متانة البناء على ضخامة الكتل الحجرية وثقلها. ويقول چونديه[2] عن البناء العظيم "إن هذا الميناء نتاج عبقرية علمية فذة".

لا يوجد فى الكتابات القديمة ما يشير إلى وجود هذه المنشآت الغارقة التى اكتشفها چونديه. وكان الرأى السائد قبل هذا الكشف أن الإسكندر الأكبر هو أول من أسس ميناء على هذا الموقع من ساحل مصر، فجاء هذا الكشف الأثرى ليحدث انقلابًا فى الأفكار السائدة، وليثير كثيرًا من المناقشات والآراء حول أصول هذه المنشآت وتاريخ بنائها[3]، فهناك رأى يقول إن هذه الأرصفة ما هى إلا حواجز للأمواج أقيمت فى العصر اليونانى الرومانى فى أثناء ازدهار الإسكندرية لحماية جزيرة فاروس التى أصبحت جزءًا من المدينة، أما الرأى

---

(١) سليم مرقس: سبق ذكره، ص ١٢٣ .

(٢) جاستون چونديه: الموانىء المغمورة لجزيرة فاروس.

(٣) سليم مرقس، سبق ذكره، ص١٢٣ .

الأخر فهو رأى جونديه، والقائل بأن هذه الآثار تدل على وجود ميناء كامل أقدم عهدًا من الإسكندرية، ولكنه اختفى بالتدريج تحت سطح البحر نظرًا لما أصاب القشرة الأرضية من انخفاض. وعندما حضر الإسكندر إلى مصر كان هذا الميناء قد اختفى تمامًا تحت سطح البحر. وجاء اختيار الإسكندر لموقع الإسكندرية غير بعيد عن الميناء القديم على جزيرة فاروس وإلى الشرق منه[1].

أما الذين يتفقون مع جونديه على أن هذه الأرصفة المغمورة تمثل ميناء أقدم من الإسكندرية، فيثور بينهم جدل كبير حول تحديد العصر الذى بنى فيه هذا الميناء وبنائه، ويربط بعضهم بين هذا الميناء وما جاء فى الأوديسا (ملحمة الشاعر اليونانى هوميروس) "إن هناك جزيرة فى البحر الخضم تسمى فاروس، قريبة من مصر، ولها ميناء صالح لإيواء السفن، ومنها تقلع السفن بعيدًا إلى البحر العميق بعد أن تزود بالماء"[2].

ويؤيد هذا أن الإلياذة والأوديسا - ملحمتى هوميروس - كانت الحافز على اكتشاف آثار طروادة على الساحل الغربى لآسيا الصغرى[3]. ويرى هؤلاء أن هذا النص بالإضافة إلى أنه دليل قاطع على وجود ميناء فاروس قبل أن يشرع الإسكندر فى بناء مدينته بزمن كبير، فإنه يبين العلاقة بين حضارة بحر إيجة قبل العصر اليونانى والحضارة المصرية القديمة، وهناك أسطورة مشابهة فى إحدى البرديات المصرية القديمة، وهى البردية التى يتسمى فيها الملك بيروتى أو فرعون فاروس[4]، ويرى بعض العلماء أن أهل كريت اشتركوا مع الفراعنة فى

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٤ .

(2) Homer, odyssey, IV

(٣) سليم أنطون: سبق ذكره، ص ١٢٤ .

(٤) أ. م فورستر: الإسكندرية تاريخ ودليل، سبق ذكره، ص ٤٩ .

بناء ميناء فاروس، أو أن الفراعنة منحوا بعض اللاجئين من كريت حق الإقامة فى جزيرة فاروس، فبنوا هذا الميناء[1]. لقد نسب جونديه إلى رمسيس الثانى أو رمسيس الثالث هذا الميناء القديم بعد مقارنة طريقة بناء المنشآت الغارقة مع المبانى المتأخرة للدولة الحديثة أو أواخر الدولة الحديثة، حيث الكتل الضخمة كما هى فى حالة معبد الكرنك ومعابد طيبة، حيث اكتشفت تماثيل من عهده (١٣٠٠ق.م) فى راكوده[2] (إلا أن بعض العلماء الآخرين يرجعونها إلى الدولة القديمة[3] مقارنين بينها وبين مبانى الأهرامات). فى النهاية فإن هذه المبانى الغارقة تحت الماء فى الإسكندرية تعتبر بقايا أقدم ما عرف من الموانىء التى صنعها الإنسان[4]، حيث يذهب بعض المؤرخين أيضًا إلى أن هذا الموقع من شاطىء مصر كان يحتله ميناء آخر أقدم عهدًا من ميناء فاروس، وهو ميناء (A - ur) أو الباب الكبير أى الميناء، وكان يقع على مصب الفرع الكانوبى للنيل، وكان مرفأ لأسطول سنفرو، أحد ملوك الأسرة الرابعة الفرعونية، حيث يحدثنا حجر (بالرمو) أن سنفرو بنى ستين سفينة ضخمة لإحضار الأخشاب من سوريا، وفى نحو عام ٢٠٠٠ ق. م كان هذا الميناء قد اندثر لينشأ على مقربة منه إلى الغرب ميناء فاروس القديم[5]، كذلك ألحقه الثيوصوفيون(*) بحضارة أطلنطس المندثرة.

---

(١) سليم أنطوان مرقس. سبق ذكره، ص ١٢٥ .

(٢) أ. م. فورستر: ص ٤٩ .

(٣) د. فوزى الفخرانى: موانىء الإسكندرية القديمة - مجموعة المحاضرات العامة لجامعة الإسكندرية - فى العام الجامعى ٦٢ - ٦٣ .

(4) S - A - Morcos, op. cit

(٥) سليم أنطون مرقس: سبق ذكره، ص ١٢٥ .

(*) الثيوصوفية: معرفة الله عن طريق الكشف الصوفى أو التأمل الفلسفى أو كليهما.

إذن لقد غارت سواحل الإسكندرية تحت عامل هبوط القشرة[1] الأرضية بدليل وجود أرصفة الميناء القديم لفاروس تحت نحو ثمانية أمتار تحت سطح البحر.

- عام ١٩٦١ كان أول من تحدث عن وجود آثار غارقة فى منطقة قلعة قايتباى هو الغواص المصرى كامل أبو السعادات، حيث شاهد عند قيامه بالغوص فى المنطقة مجموعة من الكتل الحجرية والتماثيل والأعمدة غارقة تحت سطح الماء، وعَيَّنَ مواقع هذه القطع **(لوحة ٤٣)**، وبناء على ذلك قام غواصو القوات البحرية عام ١٩٦٢ بالغوص فى المنطقة، وانتُشِلَ تمثال ضخم من الجرانيت بطول ثمانية أمتار، ويزن نحو عشرين طنًا[2]، وهو لسيدة ظل معتقدًا إلى وقت قريب أنه يخص سيدة البحار وحامية البحارة الإلهة إيزيس فاريًا، إلا أن هذا الاعتقاد استُبْعِدَ ورجح أن هذا التمثال يخص - على الأرجح - الملكة أرسنيوى الثانية زوجة بطليموس الثانى فى صورة الإلهة إيزيس[3].

- فى عام ١٩٦٨ قامت العالمة الإنجليزية أونرفروست بمصاحبة كامل أبو السعادات بالغوص فى المنطقة، وسُجِّلَ عدد من القطع الجرانيتية بين تماثيل أبى الهول وبعض الأعمدة وبعض القواعد، وبلغ عدد هذه القطع حوالى ١٧ قطعة[4].

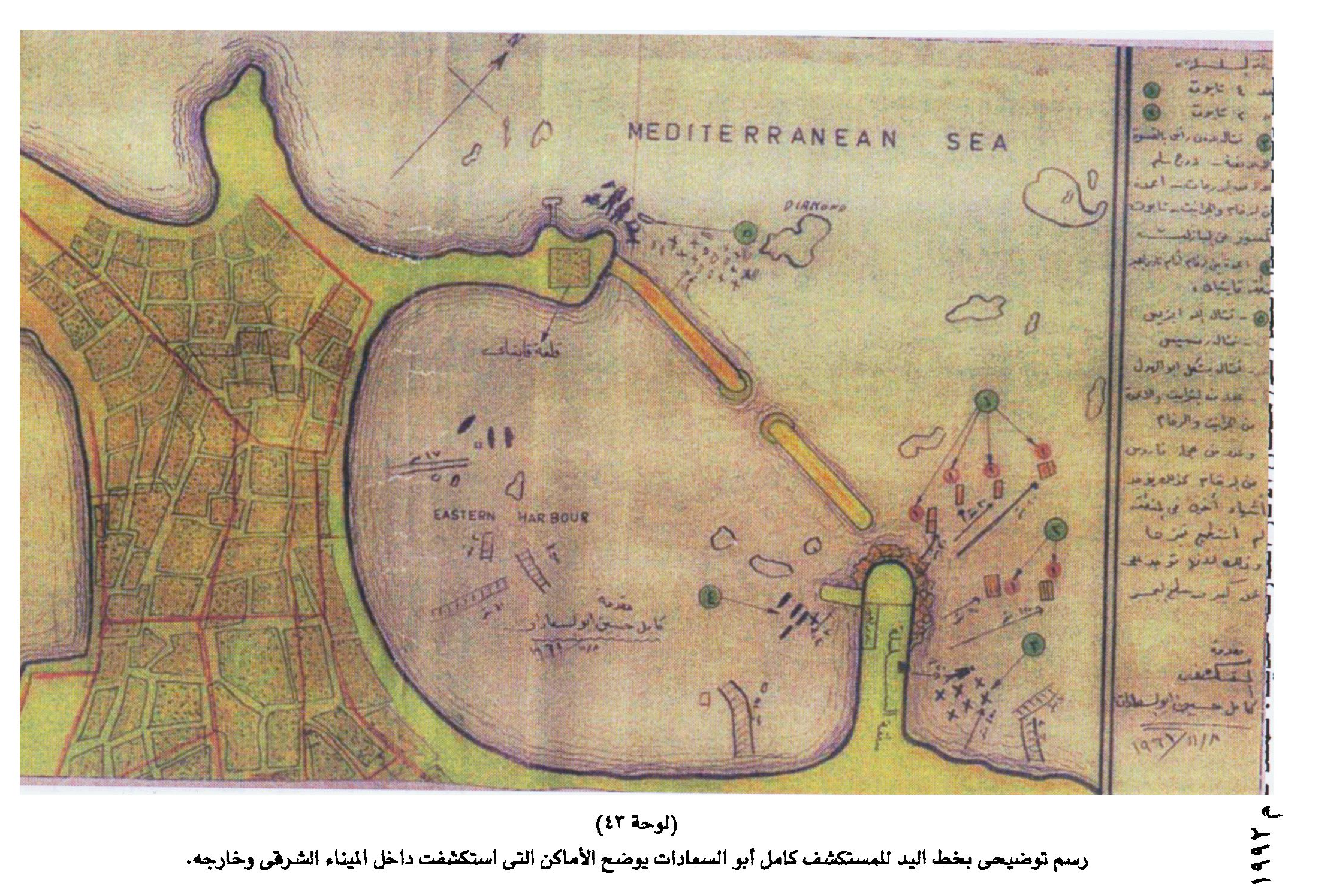
---

(١) أ. م . فورستر: سبق ذكره، ص ١٨١ .

(٢) عنايات أحمد، توظيف آثار الإسكندرية فى الحركة السياحية، الإسكندرية، ١٩٩٦ .

(3) J, Y. Empereur, Ie Phare, op. cit P. 84 - 85.

(4) H. Frost, The Pharos site, Alexandria, Egypt, in: Archaeology 4, 1975, P. 126 - 130



(لوحة ٤٣)

رسم توضيحى بخط اليد للمستكشف كامل أبو السعادات يوضح الأماكن التى استكشفت داخل الميناء الشرقى وخارجه.

١٩٩٢ م

قامت به عدة بعثات أجنبية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للآثار، ادارة الآثار الغارقة، فإلى جانب بعثتى المعهد الأوربى للآثار الغارقة برئاسة فرانك جوديو.

L' Institut Européen d' Archeologie Sous Marine (IEASM)

(Franck Goddio)

والتى قامت بالتنقيب فى منطقة أبى قير (كانوبوس - مينوتس هيراكليون)، والتى اكتُشِفَتْ كما فصلنا فى الباب الأول.

البعثة الإيطالية (CMAIA) برئاسة باولو جاللو.

Centro della Missione Archeological Italiana ad Alessandria (PaoloGallo)

كذلك مركز الإسكندرية للدراسات الأثرية (CEA) برئاسة جان أيف إمبرور.

Centre d'Etudes Alexandrines (Jean. Y. Empreur)

"والبعثة اليونانية برئاسة هارى تزالاس"

The Hellenic Institute for ancient and mediaval Alexandrian Studies (Harry E.Tzalas)

الفصل الثانى

اكتشافات الميناء الشرقى

الحى الملكى الغارق

لقد بدأ المسح الأثرى للميناء الشرقى لمعرفة الطبيعة الطبوغرافية لهذا الميناء الغارق بواسطة المعهد الأوروبى للآثار الغارقة (IEASM)، بالاشتراك مع المجلس الأعلى للآثار - إدارة الآثار الغارقة، ومعرفة طبيعة الآثار التى غرقت من مبانٍ ملكية كانت تحتويها هذه المنطقة، والتى اختفت أو ابتلعها البحر فى نحو نهاية القرن الرابع الميلادى، حيث إنه معروف أن حركة من الأمواج قد خربت الساحل الجنوبى للبحر المتوسط فى ٢١ يوليو ٣٦٥ ميلادية[1].

وهكذا فإن جزءًا كبيرًا من الحى الملكى قد دمر فعلاً، وغمر بواسطة هبوط كارثى للساحل ربما نتيجة زلزال ومد بحرى[2]، هذا وقد كنا حتى بداية هذه الكشوف نملك معلومات نظرية عن طبوغرافية هذا الحى، وكانت هذه المعلومات تعتبر قاعدة لتفسير النصوص الكلاسيكية التى كانت تصف المدينة، حتى التفصيلات المختلفة التى جمعت من خلال الأحداث التى مرت بالإسكندرية، والتى لم تكن تعتبر فى كل الأحوال كافية، حيث كانت كلها عبارة عن ملاحظات أو مشاهدات فى الميناء، وذلك منذ عام ١٨٧٢[3]، وهكذا فإن عددًا كبيرًا من الخرائط كانت أساسها ملاحظات وجدت فى هذه النصوص القديمة توضح طبوغرافية المنطقة فى الفترة البطلمية للإسكندرية عامة، وللجزء المسمى الميناء

(1) F. Jaques - B. Bousquet, “Le raz de marée du 21 juilet 365 “,MEFRA, 96, 1984 .

(2) F. Goddio and others {Alexandria The Submerged Royal Quarters}, Iondon 1998.

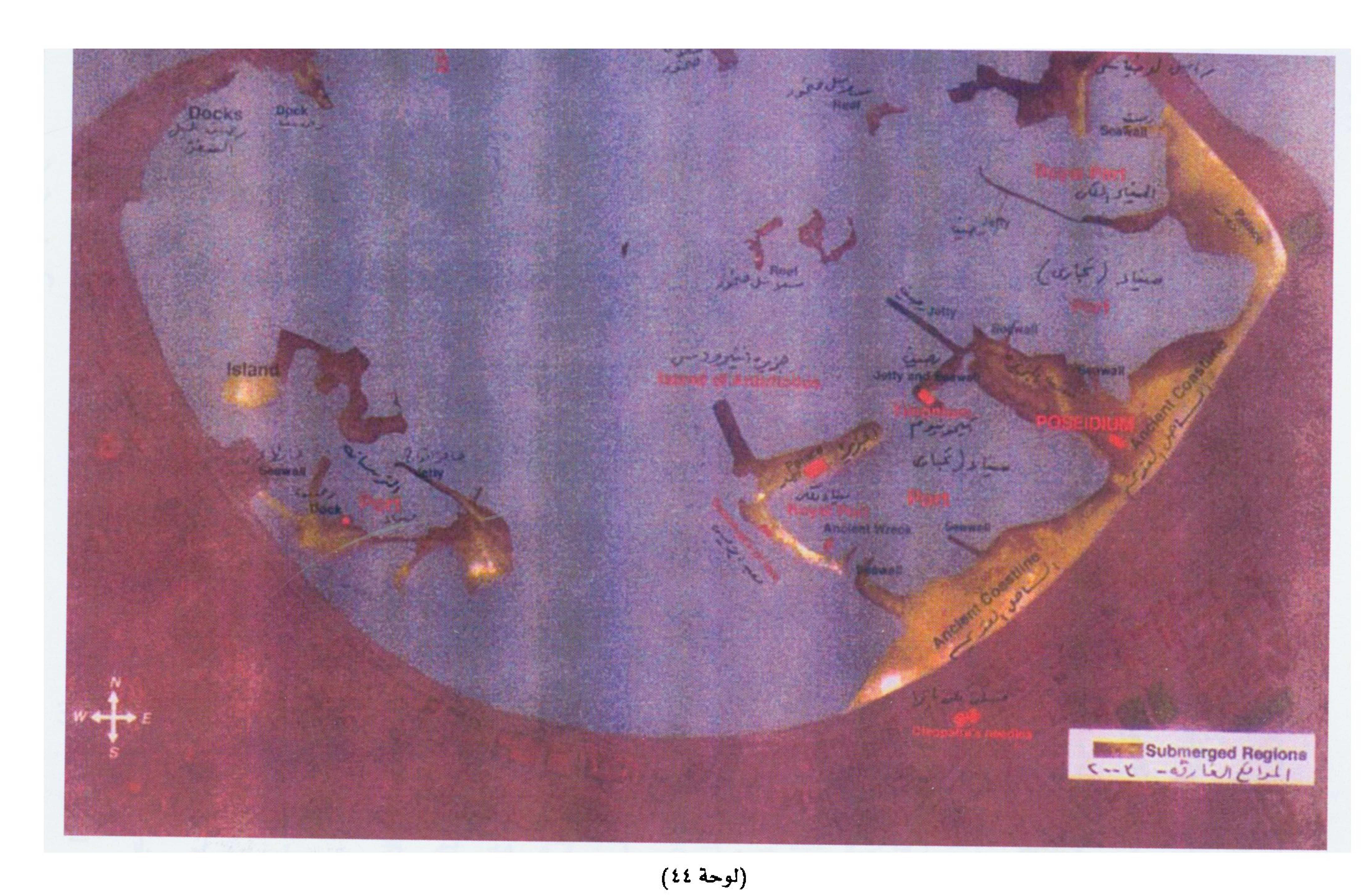
(3) Ibid

الكبير Magnusportus خاصة، والغارق الآن تحت سطح البحر، وكذلك الحى الملكى الذى يحده[1]. كل الخرائط التى وضعت تقريبًا كانت متشابهة، خاصة تلك التى جاءت بعد محمود بك الفلكى، وكذلك كل الأعمال الحديثة، فهى أيضًا قد كان مرجعها هذه الخرائط.

لقد بدأت أعمال البحث الأثرى تحت الماء فى مصر تأخذ شكلها العلمى عام ١٩٨٣، ومنذ عام ١٩٩٢، عندما بدأ المسح المغناطيسى والتقنيات الحديثة مثل استعمال المجناتومتر ذى الرنين المغناطيسى، والذى يستخدم فى كشف تلك الآثار تحت البحر، والذى استخدمته البعثة المنقبة، وهى بعثة المعهد الأوروبى للآثار الغارقة بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار، فإن الحساسية العالية للأجهزة مكنت من عمل مسح لهذه الآثار المطمورة واكتشافها، وتوظيف المعلومات المتاحة، مع إلحاقها بعملية المسح المنظمة. كذلك تم فى عام ١٩٩٦، بمساندة مؤسسة هيلتى Hilti foundation، عمل حملة استكشافية مهمة فى الميناء الشرقى، أسفرت عن تحديد هذا الميناء من الشرق بمنطقة السلسلة، ومن الجنوب بالشاطىء، ومن الغرب شبه جزيرة الأنفوشى. أيضًا هناك سلسلة من الصخور تربط بين منحنى رأس السلسلة إلى النقطة الشرقية لشبه الجزيرة. **(لوحة ٤٤)**. أما عمق الماء فهو ينحدر تدريجيًا، فى اتجاه الشاطىء، فإن عمق الماء يزيد على نحو مفاجىء حتى جوار الشاطىء[2]. مدى التيار أو المد والجزر فى خليج الإسكندرية معتدل، والاختلاف بين أعلى وأدنى مستوى للبحر لم يتعد ٠,٩ من المتر فى وقت ملاحظة البحر للاستكشافات، وقد وجد أيضًا أن الرياح السائدة فى الصيف هى شمالية غربية، وفى الشتاء تكون الرياح أساسًا من الغرب والجنوب الغربى، وتختلف فى الربيع والخريف. كذلك وجد أن العمق فى الميناء الشرقى يبلغ من مترين إلى مترًا.

(1) Ibid

(2) Ibid



(لوحة ٤٤)

خريطة للميناء الشرقى الكبير تجسد المواقع القديمة الغارقة والتى ترجع إلى العصر الرومانى (اكتشافات ٢٠٠٢) - (عن البعثة الفرنسية. المعهد الأوروبى)

كانت الصعوبة الكلية بالنسبة إلى اكتشافات الميناء الشرقى هى ضبابية المياه وعكارتها، لذا فقد استُعين بنظام وضعى خاص من قبل البعثة، وهو نظام متقدم للبحث تحت الماء GPS (Global Positioning system) بواسطة مُستقبل (أى أداة استقبال) حضّر ليكون قابلاً لتحديد السمات الجغرافية تحت الماء، ويعتبر هذا النظام هو أول استخدام غير حربى لهذا النظام للاكتشافات الأثرية تحت الماء، وباستعماله يمكن الحصول على تحديد دقيق للموقع[1].

لقد استُخدِمَتَ طريقة حديثة فى اكتشافات الميناء، حيث اتخذ القرار بموافقة المسئولين المصريين بعدم رفع الآثار أو القطع الأثرية من تحت الماء مع بعض الاستثناءات، وهنا فالطريقة التى استعملت هى أخذ قوالب لبعض النماذج الصغيرة يتبعها مسح للقطع الأثرية فى الموقع تحت الماء.

لقد أمكن عمل دراسة لبعض النقوش الموجودة على اللقى الأثرية تحت الماء، حيث استعملت عملية قولبة من مادة السيليكون المرنة بالاستعانة بالمتخصصين لنسخ النقوش الموجودة على السطوح المنقوشة. هذه القوالب المرنة والقوية جدًا بينت بوضوح النقوش الموجودة عليها، وصورت هذه القوالب على شرائح، هذه الشرائح عكست النقوش اليونانية[2] والهيروغليفية[3] ليمكن نقلها **(لوحات ٤٥ - ٤٦)**.

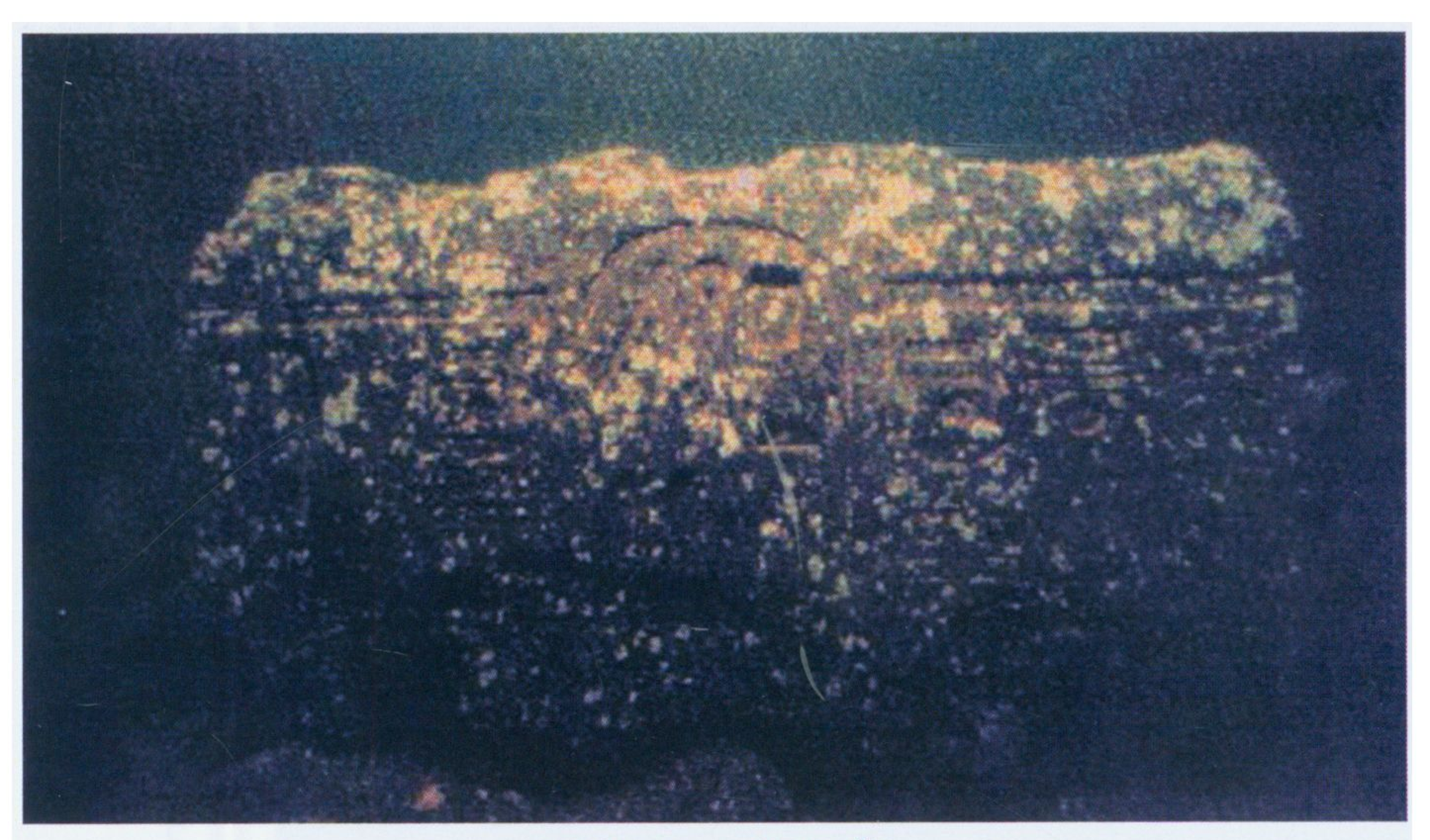
وهكذا يمكن القول بصفة عامة إنه عن طريق المسح الأثرى فإن المنطقة الغارقة والمبانى القديمة المفقودة قد غطيت فقط بطبقة رفيعة من الرمل الأبيض والتكلسات.

---

(1) Ibid

(2) E. Bernand, Alexandria, the submerged Royal Quarters, op. cit, P. 143 et seq

(3) J. Yoyotte, Alexandria the submerged Royal Quarter, op. cit, P. 199.



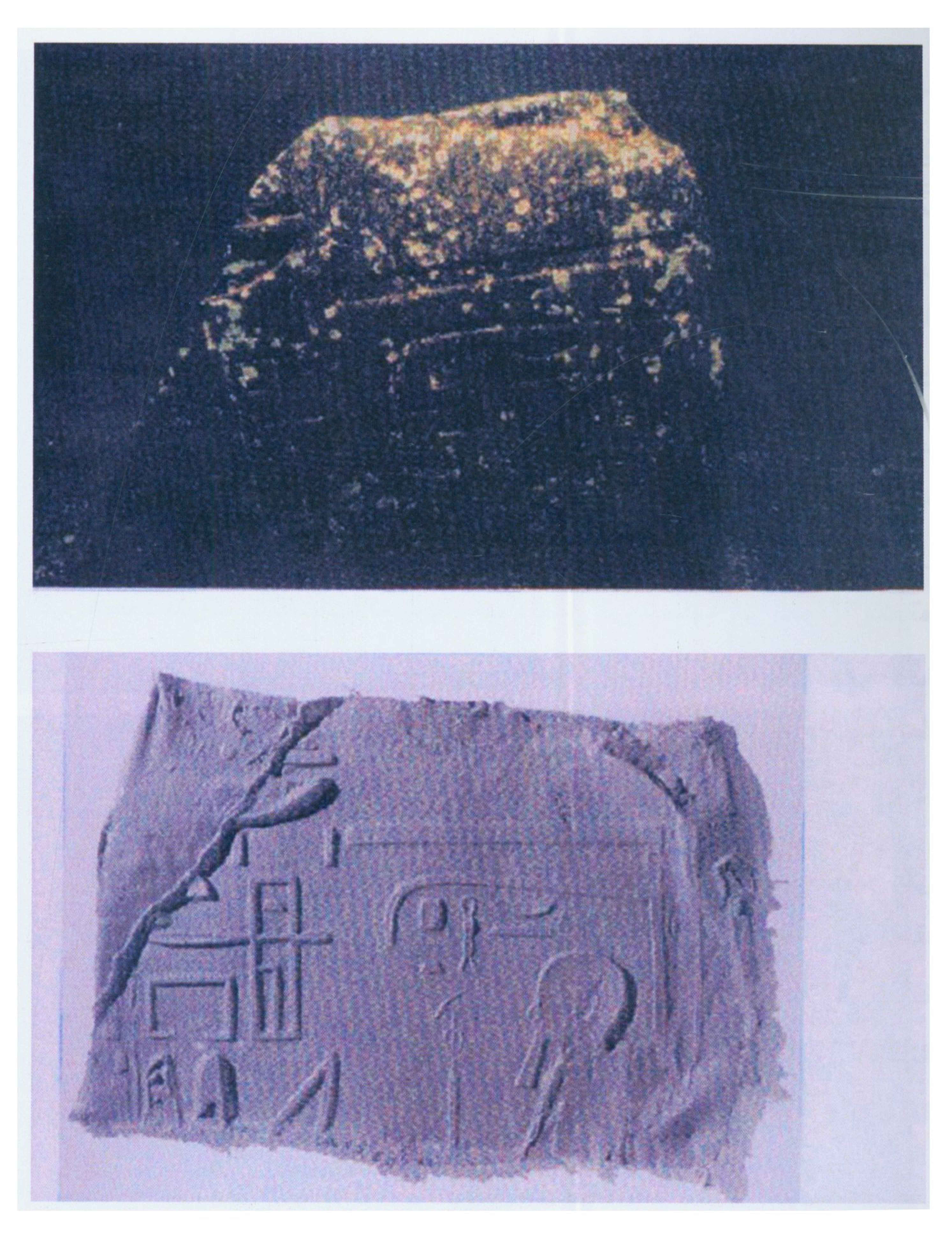
الآثر الغارق تبدو فيه النقوش



(لوحة ٤٥)

رفع النقوش من الآثر الغارق بواسطة عمل قوالب سيليكون

(عن بعثة المعهد الأوروبى)



(لوحة ٤٦)

لقد وجد أن المواقع الغارقة فى الميناء القديم قد استقرت فى أماكنها الأصلية نفسها، وكذلك اللقى الأثرية **(لوحة ٤٧)**، مع انتشار واسع لأعداد من مختلف الأمفورات بعضها كامل وبعضها الآخر مهشم[١]، وقد يرجع السبب فى هذا ربما إلى اختلاف مستويات الأرض الغارقة، فرصيف البحر يختلف فى مستواه بالنسبة إلى الميناء القديم عن الميناء الحالى، ومن هنا كانت هناك سهولة بالنسبة للمكتشفين للمقارنة، وذلك فى ظل وجود تميز لحدود الأرض ودفنات القطع الأثرية فى عمق مساحة الميناء القديم. لقد وجدت بصفة عامة على الجزيرة الغارقة بقايا أثرية بكميات كبيرة، منها أعمدة وكتل وأعتاب أبواب وتيجان وأجزاء تماثيل وغيرها، كل هذه البقايا الأثرية أصبحت كتلاً ذات شكل غير محدد لتراكم التكلسات الجيرية، حيث تصل فى سمكها إلى نحو ٦٠ سم تم التعامل معها بواسطة البحث المغناطيسى وأشعة السونار لتعطى صورة للعمق، أيضًا هذه الأجهزة الخاصة والعالية الكفاءة مكنت من عمل تحديد فعلى لمحيط المساحة الغارقة.

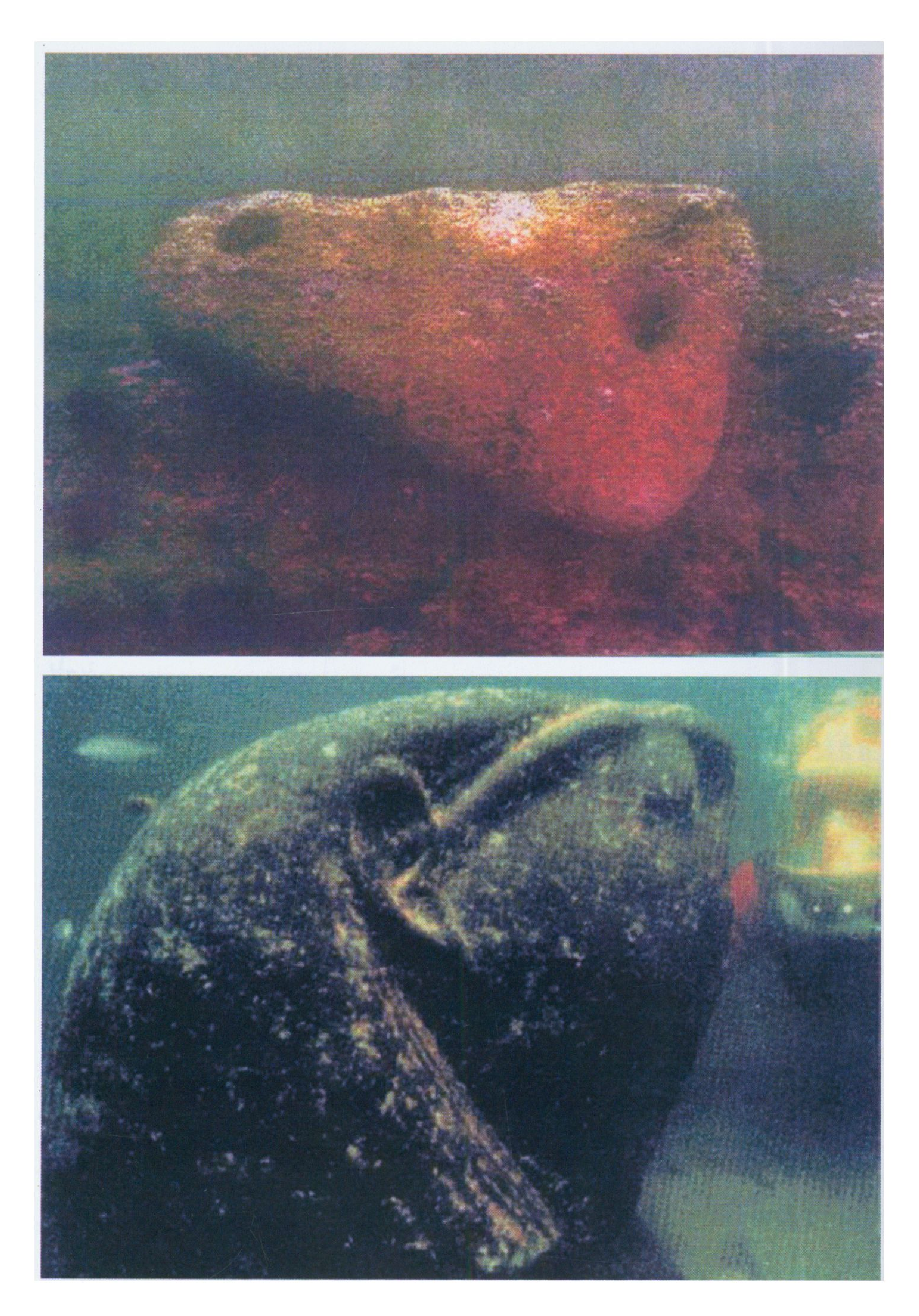
وجدت أشكال مختلفة من المبانى مع مئات القطع أو اللقى الأثرية تنتشر على السطح[٢]، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه أينما وجدت تكوينات من مساحات مبلطة، أى سطوح مستوية، فهذا يعنى أنه قد تم عمل تسوية للتضاريس الصخرية الأصلية، مثلما هى الحال فى مناطق الإسكندرية، حيث تطلب التطوير للمدينة الجديدة منذ القرن الرابع تسوية التضاريس الرملية البارزة التى كانت موجودة فى السابق مثلما فى منصة سيرابيوم ومصطبة القيصرون[٣].

---

(1) F. Goddio, and others Alexandria, op. cit.

(2) Ibid

(3) BIFAO 94, 1994, P. 447 - 448.



(لوحة ٤٧)

عن بعثة المعهد الأوروبى

كذلك فى الميناء كانت بعض البقايا الأثرية قد حجبت على الأرجح بفعل حواجز الماء التى أنشئت فى القرن العشرين، والمبانى العسكرية لمعسكر السلسلة، والذى كان قد أغلق الميناء الشرقى بالفعل. ولم تكن هذه المساحات سوى جزء صغير من الميناء الكبير Magnus Portus[1].

هذا وقد تم عمل مطابقة لما اكتُشِفَ من إنشاءات الميناء لكل المنطقة الغارقة، وأضيف جميعها إلى الوصف الطبوغرافى، وطوبقت بما كانت عليه حال هذا الميناء الغارق فى الماضى. لقد غرق هذا الميناء تحت تأثير الزلازال أو هبوط الأرض أو اكتساح البحر له، وعن طريق المقارنة بين ما اكتُشِفَ و وصف أحد المؤرخين الذين وصفوا هذا الميناء تفصيليًا وبدقة، فسوف يتم المقارنة مع المؤرخ سترابو الذى عاش بين عامى ٢٧ حتى ٢٠ ق.م، حيث وصف سترابو[2] الميناء بما يلى:

I. "................... وهذا يجعل الميناء ضيقًا عند المدخل، وبالإضافة إلى ضيق المدخل فإن هناك أيضًا الصخور، التى بعضها مغمور تحت الماء، وبعضها الآخر يظهر فوق الماء، وهى فى كل الحالات تزيد الأمواج التى تضربها من المدخل المفتوح عنفًا وخشونة......"

II. "................... فى الميناء الكبير عند المدخل ومن الناحية اليمنى نجد جزيرة وبرج فاروس، وعلى الناحية الأخرى نجد السلاسل الصخرية، وكذلك نتوء لوخياس الصخرى الداخل فى البحر يعلوه قصر ملكى........"(*)

(1) F. Goddio, and others Alexandria, op. cit.

(2) Strabo, Geography, 17, 1.6- 17, 1,10

(*) لقد اكتشف وجود لإيزيس بتسمية لوخياس فى نقش من عصر الإمبراطورية فى (بيروبا)، وكذلك ظهور نفس إيزيس لوخياس فى وسط الدلتا Adriani, BSAA 421 (1940-1945) P. 115 - 116

***III.* "أما بالنسبة إلى الميناء الكبير فبالإضافة إلى كونه محاطًا بالسدود، فهو قريب جدًا من الشاطىء،حتى إنه يعد بمثابة مستنقع للسفن الكبيرة منذ أن تدخله .... وينقسم إلى عدة موانىء ...."**

***IV.* "........... كما أن أطراف الجزيرة هى عبارة عن صخرة يغسلها البحر من جميع الاتجاهات ويعلوها برج رائع التصميم من الرخام الأبيض ذى طوابق عديدة، وله نفس اسم الجزيرة ....".**

***V.* "........... حيث إن شاطىء الأرض الأساسية يكون خليجًا، فهى تدفع بنتوئين إلى داخل البحر المفتوح، وبين هذين النتوئين تقع الجزيرة التى تغلق الخليج، حيث إنها تقع على الامتداد الموازى للشاطىء، على طرفى جزيرة فاروس فإن النتوء الشرقى يقع قريبًا من الأرض الأساسية، والنتوء المقابل لها "وهذا النتوء يسمى لوخياس" وهو ما يجعل الميناء ضيقًا عند المدخل ....".**

***VI.* "............. تحت هذا يكمن الميناء الذي حفرته يد الإنسان مختفيًا عن الأنظار، وهو الذى يعتبر الملكية الخاصة للملوك ....**

ذكر سترابو المبانى المهمة التى رأها بعينه فى زمنة فى هذه المنطقة، ومنها موقع الإمبوريوم Emporium

***VIII.* "....... يقع المسرح فوق المرفأ الصناعى ثم من بعده البوسيديوم *Poseidium* فى شكل كوع ممتد خارج من الإمبوريوم *Emporium* - كما كان يسمى، ويحتوى على معبد بوسيدون، وإلى هذا الكوع من الأرض أضيف حاجز للأمواج يمتد إلى أبعد من ذلك، إلى داخل منتصف الميناء، وعلى طرفه بنى ماركوس أنطونيوس منزلاً ملكيًا له، وقد أسماه تيمونيوم *Timonium*. كان هذا هو آخر ما قام به ماركوس أنطونيوس من أعمال عندما هجره أصدقاؤه وأبحر**

بعيدًا إلى الإسكندرية بعد هزيمته فى أكتيوم. وقد اختار أن يحيا حياة عزلة تشبه حياة تيمون *Timon* ما تبقى من عمره، وقرر أن يقضى بقية حياته فى معزل عن هؤلاء الأصدقاء .... ثم يأتى القيصروم *Caesaruim* والإمبوريوم والمحال التجارية ثم أماكن السفن، والتى تمتد حتى الهبتاستاديوم *Heptastadium* . وهذا هو الوصف التفصيلى للميناء الكبير وما يحيط به ......".

VII . " .... وكذلك أنتيرودس *Antirhodos*، وهى جزيرة تقع خارج المرفأ الصناعى. وهى الجزيرة التى يقوم فوقها القصر الملكى، ولها مرفأ صغير".

VIII . " .... والمدينة تحتوى على أجمل الضواحى العامة، وكذلك على أجمل القصور الملكية، والتى تمثل ربع، بل ربما ثلث المحيط الكلى للمدينة، حيث كان كل ملك لفرط حبه للزهو والخيلاء يضيف بعض الجماليات إلى المبانى العامة السابقة، وكذلك يقيم لنفسه بيتا ومستقرًا بالإضافة إلى تلك القصور الموجودة بالفعل، حتى إنه قد وصفها الآن الشاعر[1] فقال " يوجد بيت ومن ورائه بيت"، وجميعها مرتبط بعضه ببعض، ومرتبط بالميناء، حتى تلك البيوت الواقعة خارج الميناء ......".

IX " .... وعند الإبحار داخل المرفأ على اليسار يمر المرء بالقصور الملكية الداخلية، والتى ترتبط بتلك الموجودة بلوخياس، وبها كثير من الحدائق الغناء والمنازل العديدة المطلية بمختلف الألوان ....".

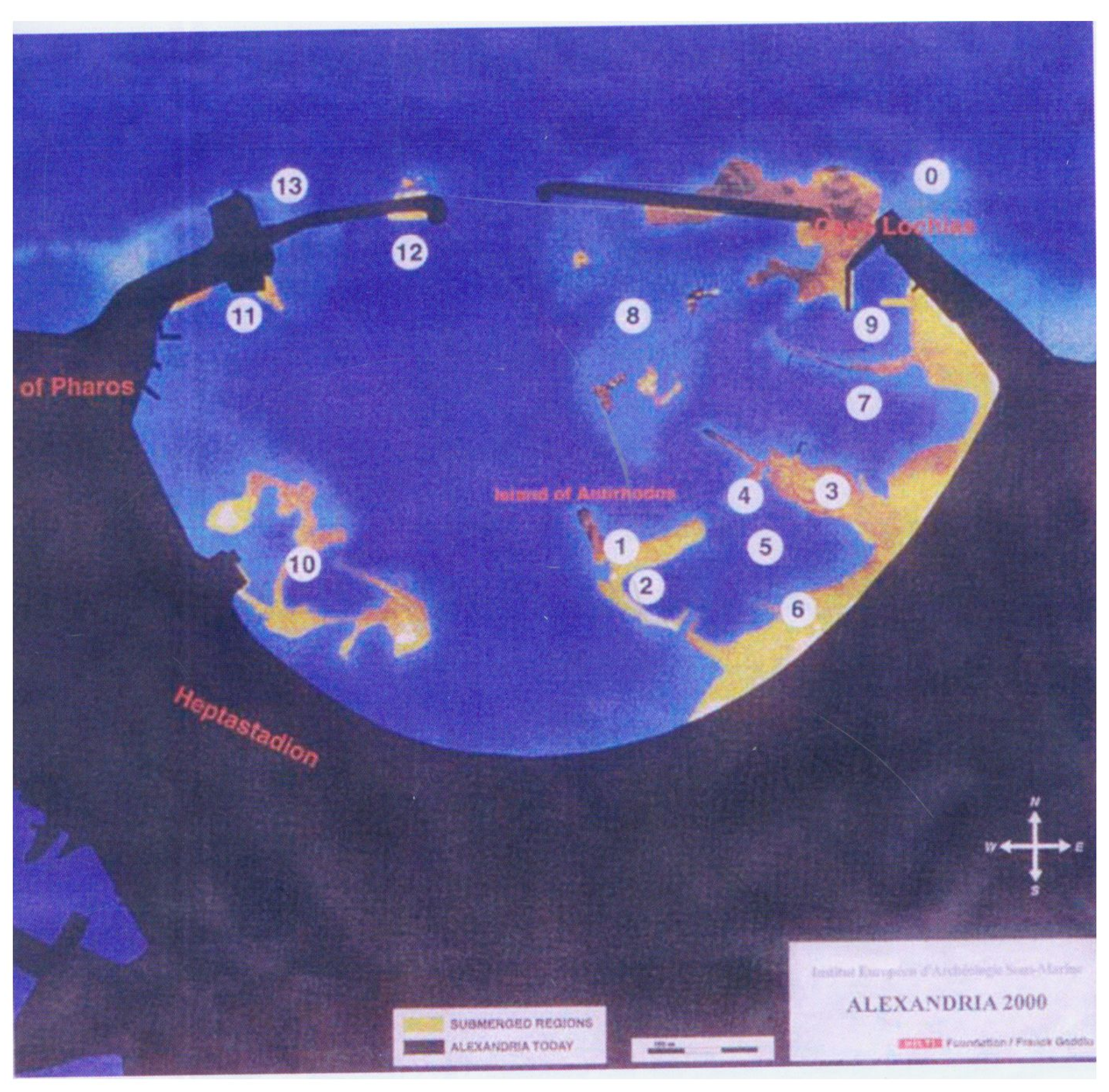
---

(1) Homer, Odyssey, XVII, 266 .

أما الآن فقد بقى أن نتعرف على ما تم اكتشافه فعلاً، ومراجعته مع أقوال سترابو. ماذا بقى، وماذا لم يبق هذا هو ما سنفصله فيما يلى.

إذا نظرنا كما سبق القول إلى طبوغرافية الحى الملكى فى الميناء الشرقى، نجد أن هناك تسوية للتضاريس بنوع من التبليطات، وكذلك حواجز الماء التى تمت فى القرن العشرين، كذلك المبانى العسكرية التى قامت مع وجود معسكر السلسلة، هذه الحالة بالفعل كانت قد أغلقت الميناء الشرقى، وحجبت بعض بقايا الآثار التى كانت تمثل مساحات هى بعض أجزاء الميناء الكبير المعروف بـ Magnus Portus. إن المساحة التى تم فيها التنقيب عن منشآت الميناء والحى الملكى الغارق تبلغ نحو ٣٠٠ هكتار **(لوحة ٤٨)** رُصِدَت فيها جميع المنشآت التى تمت رؤيتها وتسجيلها، وسُجِّلَتْ الملاحظات عليها من قبل البعثة التى نقّبت فى المنطقة[1].

(1) F- Goddio, and others, Alexandria, op. cit.



(لوحة ٤٨)

الحى الملكى الغارق - الميناء الشرقى الكبير (اكتشافات ٢٠٠٣) - (عن بعثة المعهد الأوروبى للآثار)

0 - رأس لوخياس

1 - جزيرة إنتيرودس

2 - مرفأ صغير خاص على جزيرة انتيروس

3 - بوسيديوم

4 - تيمونيوم

5 - المرفأ الثالث

6 - خط الساحل القديم

7 - المرفأ الثانى الكبير

8 - سلاسل الصخور

9 - المرفأ الداخلى

10 - حوض الميناء (أو ترسانه بحرية)

11 - أرصفه بحرية على جزيرة فاروس

12 - سلاسل صخور كبيرة من بقايا مبان من الحجر الجيرى

13 - مجموعات من بقايا مبان أثرية من مختلف العصور

تفاصيل الميناء الكبير

أ - سلاسل الصخور (لوحة ٤٩)

هناك مصدان للأمواج يحميان الميناء: المصد أو الحاجز الغربى وأنشىء عام ١٩١٦ وألحق به الآخر.

شمال الحاجز الغربى توجد الصخور الماسية Diamond rock، وكانت فى الماضى تمثل علامة مهمة فوق سطح الماء، وامتدادًا لجزيرة فاروس.

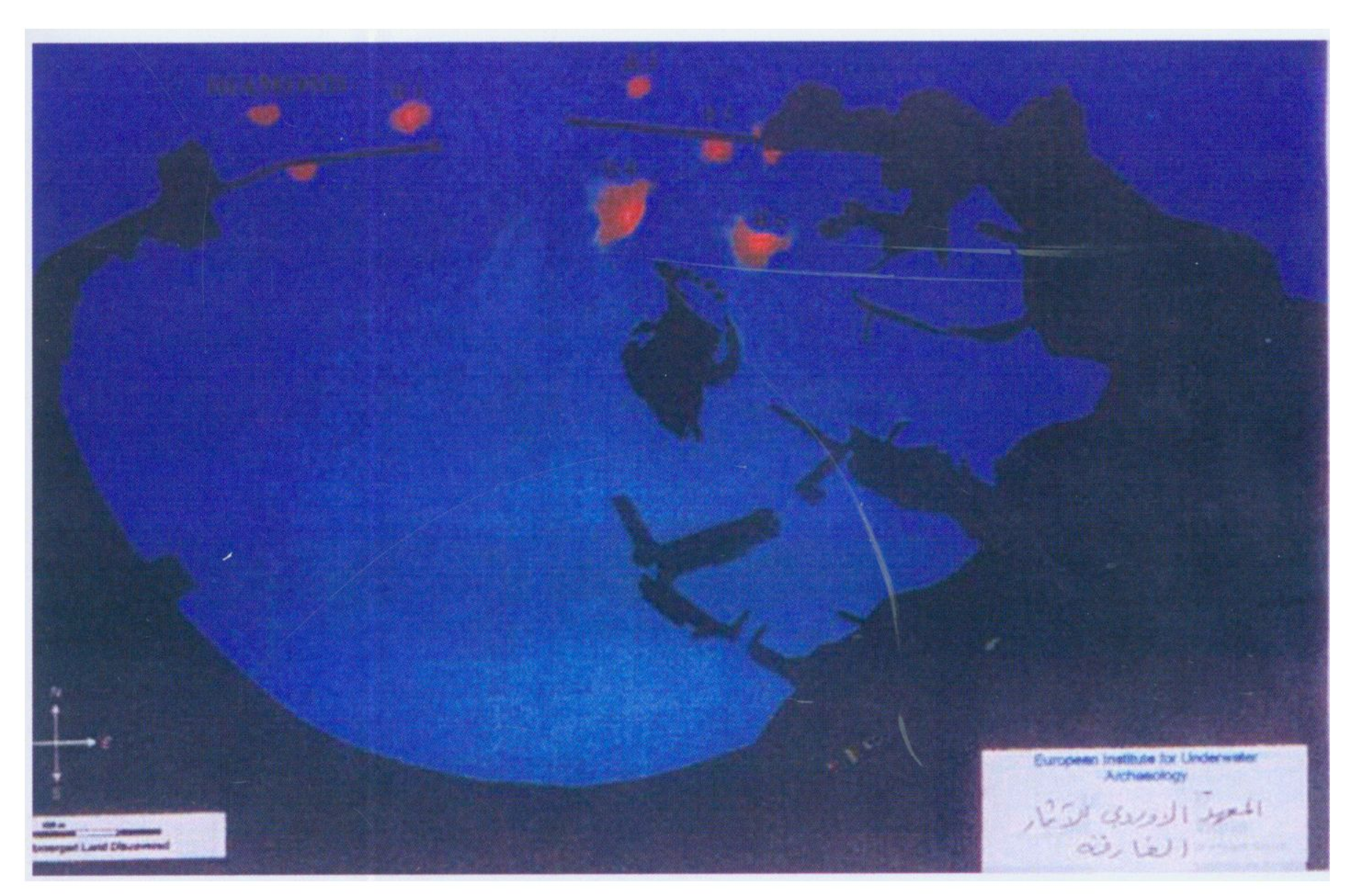
فى النهاية الشرقية لهذا الحاجز توجد مجموعة من سلاسل الصخور (R1)، فى شمال حاجز الأمواج الشرقى توجد سلاسل (R3) ، وإلى الجنوب منه توجد ثلاث سلاسل واسعة من الصخور هى (R4)، (R5) تتوسطها سلسلة ضخمة أخرى. سلاسل الصخور السابقة كلها لا توجد بها علامات دالة على عوامل التآكل والتعرية، وقد يُعزى هذا إلى وجود هذا الموقع بشكل دائم تحت مستوى سطح الماء[1].

أقصى النهاية الشرقية للحاجز الشرقى يفضى إلى مياه ضحلة وسلسلة صخور (R2)، حيث يوجد بها خط قديم يدل على وجود عوامل تشير إلى حدود سطح البحر، ويشمل ارتفاعًا قدره ٦,٨ متر، مما يعنى أن هذه الصخور كانت قديمًا فوق مستوى سطح البحر عند هذا الخط، وتغطى مبانى مصدات الأمواج الحديثة كتل ضخمة من الحجر الجيرى المتآكل بشدة فى قاعدته[٢].

وهنا فإن نص استرابون فى الفقرة I، II يتطابق مع المكتشفات.

(1) Franck Goddio, and others, Alexandria, op. cit.

(2) Ibid, P. 12.



(لوحه)

سلاسل الصخور (عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

ب - القناة الرئيسية والفرعية (لوحة ٥٠)

فيما بين سلاسل الصخور القريبة من سطح الماء إلى الشرق وإلى الغرب وجدت قناة يزيد اتساعها على ٣٠٠ متر هى الآن محاذية لمصرف بحرى شمالى متعامد على الساحل، وقد كانت فيما مضى أوسع وأعمق، وهى الأكثر أمنًا، وتتيح الدخول للميناء الكبير، وهى تقع فى القناة الحقيقية أو الأصلية نفسها، ويحدها من الشرق سلاسل الصخور R3، R4.

- ومن الغرب كانت تحدها سلسلة الصخور الأولى R1، ومن المحتمل وجود قنوات فرعية صالحة للملاحة بين سلاسل الصخور الواقعة إلى الغرب، وخاصة بين سلسلة الصخور الأولى R1 وجزيرة الماس، ولكن وجود حاجز الأمواج الشرقى الحديث - الذى ذكرناه - يعوق القدرة اليوم على التحقق من قبل بعثة الاستكشاف.

- نجد أيضًا أنه بسبب ضيق هذا المعبر فإنه "لم يكن يسمح للسفن القادمة إلى الإسكندرية بدخول الميناء بدون موافقة هؤلاء الذين يقيمون فى فاروس الفنار[1].

(وهنا طبقًا لسترابو فى الفقرة IV) فإن البحارة الآتون من الشمال يكون فاروس على يمينهم والسلاسل الخطيرة على يسارهم، أما الذين فى الشرق مثل RI وجزيرة الماس فلن تكون لهم خطورة عند الاقتراب من الميناء. حيث يستدل على أن موقع فاروس كان يسمح للحامية العسكرية التى أنشأها هناك (قيصر) بأن تمنع السفن المعادية من دخول الميناء الرئيسى بسهولة، وكذلك تسمح بالمرور من القناة الرئيسية.

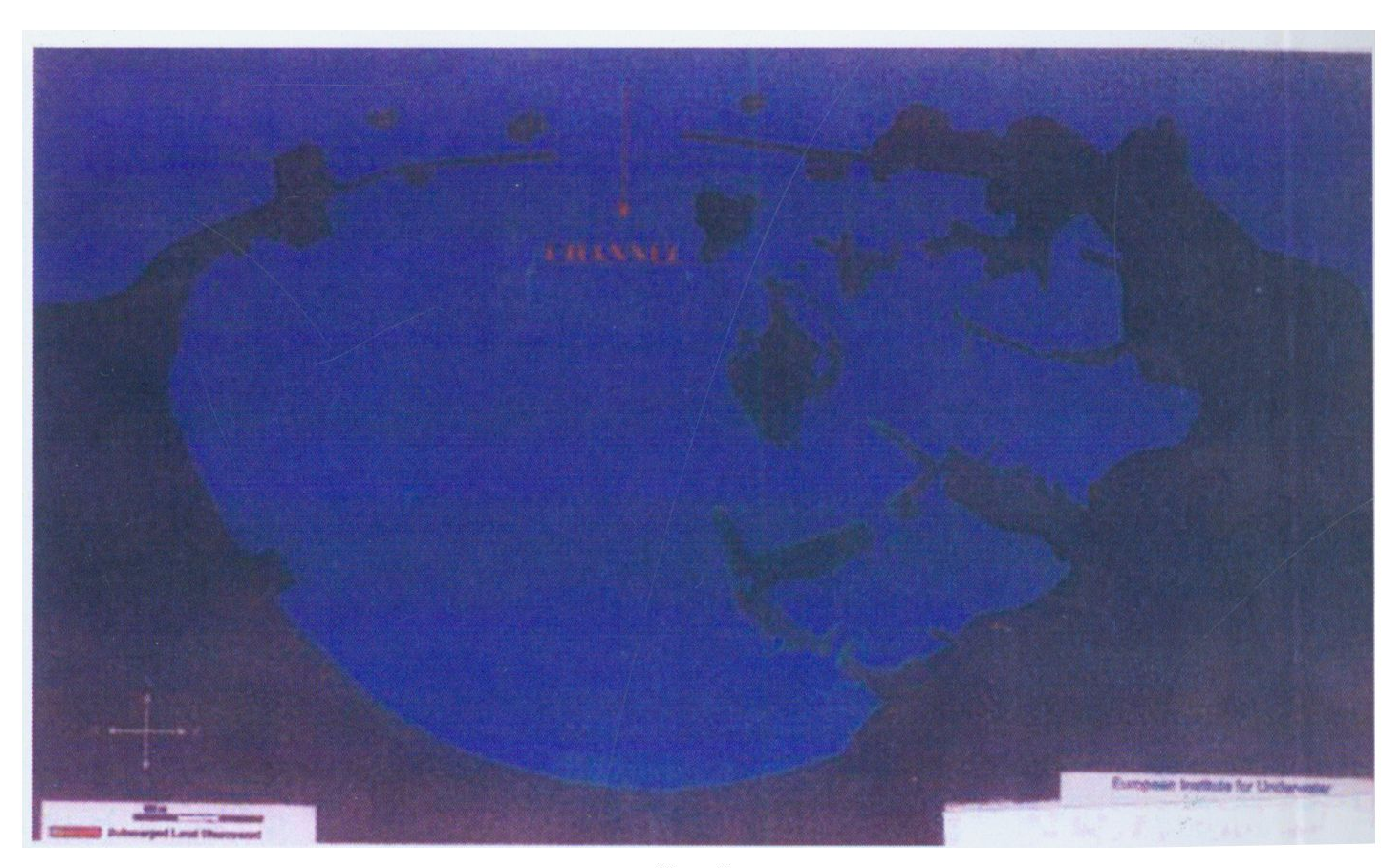
(1) Caesar, De bello civili, the civil wars, III, 112.

– وقد ذكر لوكيان[1] Lucan فى قصيدة شعرية له أن السلاسل كانت تمنع السفن من العبور من المدخل فى عصر قيصر فقال:

"…. ولكن كليوباترا دفعت رشوة إلى الحراس لكى يرفعوا السلاسل عن ميناء فاروس، وأبحرت فى سفينة صغيرة ذات صفين من المجاديف، ودخلت القصر المقدونى دون علم قيصر..".

---

(1) Lucan. the civil war, X, 53- 60.



(لوحة)

القناة الرئيسية (عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

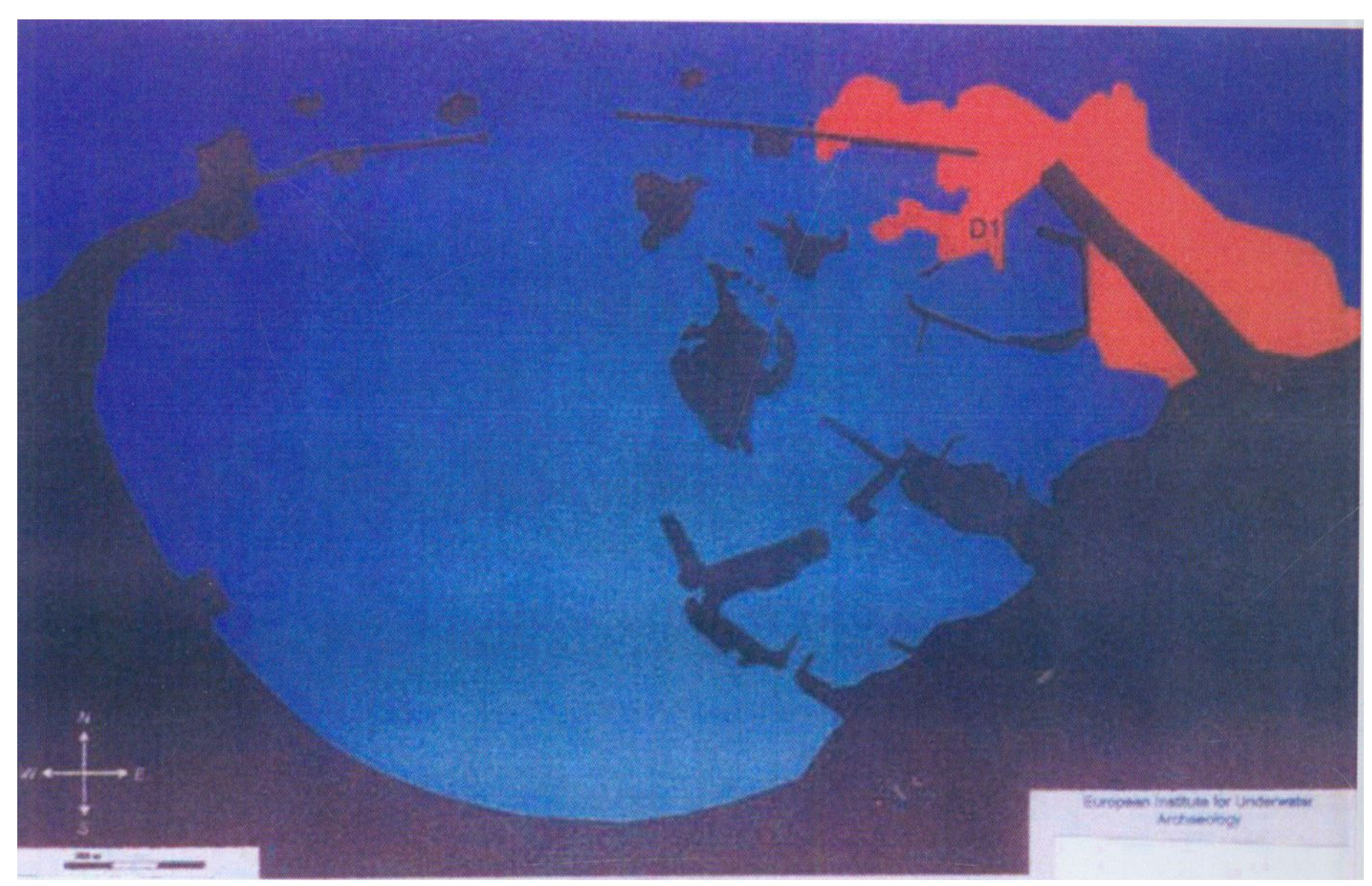
ج - رأس لوخياس القديم (لوحة ٥١)

- بالنسبة إلى الجزء الشرقى من الميناء الرئيسى فإنه يحاط بجزء مهم من الامتداد للأرض الغارقة، والذى كان سابقًا جزءًا من رأس لوخياس القديم، وهو المنطقة التى تغطى جزءًا منها منطقة السلسلة التى صنعتها الترسيبات الحديثة.

- نجد أنه يمكن القول إن رأس لوخياس كانت فى القديم أعرض مما هى عليه الآن وتمتد كذلك مسافة أكثر من أربعمائة وخمسين مترًا (٤٥٠ م) من الغرب إلى الشمال الغربى من رأس السلسلة ذاتها، وهى بذلك كانت تمثل حماية طبيعية للميناء القديم.

- كذلك الحاجز البحرى الحديث، وهو الذى يحمى رأس السلسلة من الجانب الغربى، (DI) هو جدار بنى من الكتل الخرسانية، وربما يكون قد بنى على الأساسات القديمة، ويمكن أيضًا تأكيد ذلك، حيث يمكن رؤية وجود بقايا معينة فى قاعدته (عبارة عن كتل منحوتة ومتآكلة بشدة من الحجر الجيرى)[1]، ويمكن استنتاج أن رأس لوخياس القديمة كانت على احتمال كبير فى أحد أجزائها من صنع الإنسان، وفى جزء آخر منها هى نتوء طبيعى يحمى الحدود الشرقية للميناء Magnus Portus، والذى كانت تشغله أجزاء من مبانٍ مهمة، ربما دمرت خلال العصر المسيحى المبكر، وأعيد استخدام عناصرها المعمارية، وهذا التدمير استمر أيضًا مع الفتح العربى، وقد استخدم الحى كمحجر لأحجار البناء فى هذه العصور باستخدام ما كان مستخدمًا سابقًا. كذلك فإن الانحدار أو الانهيار التدريجى للأرض، والذى ارتفع معه سطح البحر، كان من نتيجته غرق الجزء الشرقى من شبه الجزيرة، والذى قدر أنه يصل إلى عمق نحو من ٧ إلى ٨ أمتار عند نهايته.

(1) F. Goddio, and others, op. cit, P. 16.



(لوحة ٥١)

رأس لوخياس القديم (عن المعهد ا لأوروبى للآثار الغارقة)

يأتى بعد ذلك تلك الزلازل المتكررة والظواهر الطبيعية الأخرى التى حدثت فى العصور الوسطى والقرون التى تلتها(١).

– فى الطرف الغربى من رأس لوخياس بُنى حاجز أمواج السلسلة الكبير الذى يغلق الميناء الحديث، ويقع جانب كبير من هذا البناء على امتداد واسع فى المنطقة الغربية من رأس لوخياس القديم والغارق، وربما أيضًا تغطى حاجز الأمواج البحري الكبير القديم(٢).

هذا وقد لوحظ أنه عند عمل مسح استكشافى فى رأس لوخياس وجد أن الجزء القريب من الميناء الداخلى مغطى برصف من الحجر الجيرى ينحدر بهوادة تدريجيًا فى اتجاه الحوض إلى الجنوب(*).

وهنا تجدر الإشارة إلى قول سترابو فى الفقرة الخامسة V عند ذكر رأس لوخياس، ووصفه والمقارنة بين ما ذكره وبين ما وجد بالتنقيب.

إلى الجنوب الغربى(٣) من رأس لوخياس يوجد تجمع من البقايا المحاطة بالرمال، وهى عبارة عن أعمدة أسطوانية وقواعد من الجرانيت الأحمر وأساسات جدران من حجر جيرى مغطى (مصقول) مع مساحات مغطاة بألواح كبيرة من الحجر الجيرى بعضها تبلغ أبعاده ١٢٠ سم × ٦٠ سم.

---

(1) Harry E. Tzalas. The Hellenic Instute for ancient and mediaval Alexandria studies. a preliminary report (5) underwater archaeological survey at ramleh.

(تقرير غير منشور – اداره الآثار الغارقة)

(2) F. Goddio. and others, Alexandria, op. cit

(*) لقد وجدت البعثة أنه من العسير تحديد ما إذا كان هذا المنحدر هو نتيجة انحدار الأرض ذاتها، أو أنه صنع هكذا كجزء من أعمال معينة.

(3) Ibid.

- لقد عثر عام ١٩٩٩ إلى الشمال من هذا الموقع على كتل خشبية كبيرة الحجم بطول ٣٥ م ربما كانت أجزاء من سفينة قديمة. ومما هو معروف من المصادر القديمة وجود ثلاثة مبانٍ على الأقل على رأس لوخياس، هى القصر، ومعبد كرّس لإيزيس لوخياس، وضريح لم ينتهِ أو يكتمل للملكة كليوباترا السابعة، ولا توجد معلومات إن كانت هذه المنطقة قد استعملت فى العصر الرومانى أو الرومانى المتأخر[١].

(1) Harry E. Tzalas, op. cit.

د - المرفأ الداخلى (الميناء الأول) (لوحة ٥٢)

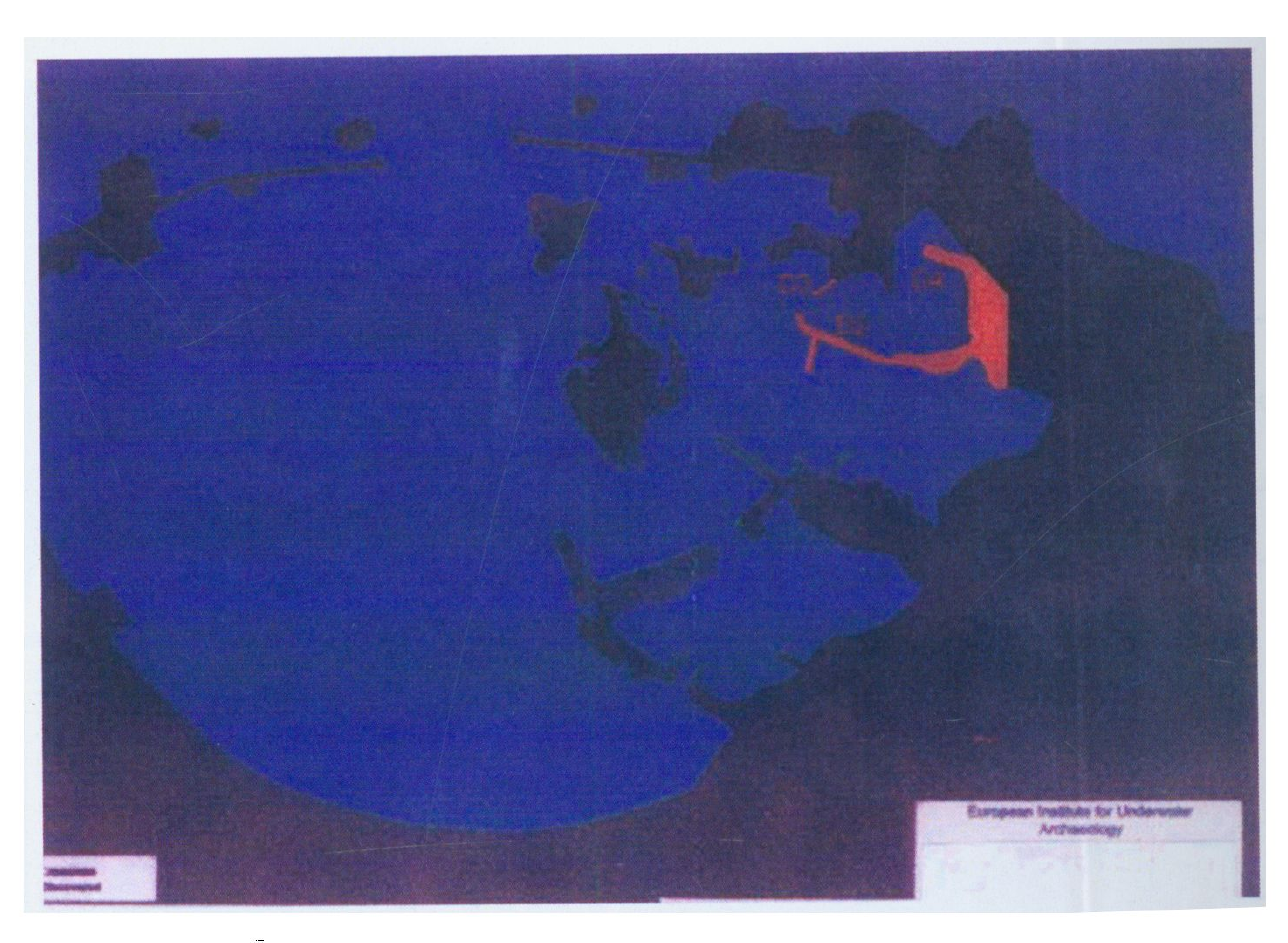
داخل رأس لوخياس اكتشف وجود مرفأ آمن تمامًا ومتطور إلى حد كبير هو المرفأ الداخلى يغلفه من الجنوب حاجز أمواج (D2) طوله مائتان وخمسون مترًا، مبنى من الملاط والحجر الجيرى، ما زال ثلثه الشمالى الغربى متماسكًا، ويرتفع أكثر من ثلاثة أمتار فوق القاع[١]. المدخل فى الشمال الغربى يحده حاجز أمواج صغير D3 من الحجر الجيرى غير متماسك تمامًا. يقسم الميناء من الداخل حاجز أمواج D4 إلى حوضين، والحاجز بحالة جيدة، وسطحه مستو. مدخل المرفأ يقع فى حماية سلسلة الصخور فى الشمال وحاجزى الأمواج D2، D3 من عنف الأمواج، والدخول إليه لم يكن سهلاً إلا للسفن ذات المجاديف، ومساحته أكثر من سبعة هكتارات[٢].

وقد ذكر استرابون فى الفقرة VI هذا المرفأ الآمن، وفى هذا المرفأ اكتشفت بقايا أمفورات منتشرة على القاع، وكذلك مجموعة من مراسى السفن القديمة، وكلها مغطاة بالرمال، حيث الاحتمال بوجود بقايا كثيرة تحتها، فمن المحتمل أنه قد كان يوجد فى أثناء العصر المسيحى (القرن الرابع الميلادى) على رأس لوخياس باتجاه منطقة الشاطبى ضريح مقدس، هو ضريح القديس مارك[٣].

(1) Goddio and others, op. cit, P. 18.

(2) Ibid. P. 18.

(3) Harry E. Tzalas, op. cit.



(لوحة ٥٢)
المرفأ الداخلى (عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

هـ - تقع شبه الجزيرة (لوحة ٥٣)

فى الجزء الجنوبى الغربى من رأس لوخياس، ومساحتها نحو ٣٥٠ × ١٥٠ مترًا، وقد تعرضت أرصفتها الشمالية الشرقية لدمار شديد، وهى الأرصفة الضخمة البارزة، ويحتمل أن السبب فى ذلك هو الانهيار الذى حدث للأرض وهبوطها مما أدى إلى دفنها، وهذه الأرصفة مبنية من الملاط والحجر الجيرى. الواجهة الجنوبية الغربية مقواة بالأحجار الجيرية، وتوجد أربعة مبانٍ ملحقة بشبه الجزيرة[١]، هى:

١- حاجز الأمواج الجنوب - شرقى:

وهو مصد للأمواج يقع على الجانب الشمالى الشرقى(J1)، طوله أربعون مترًا، مبنى من كتل الحجر الجيرى المتفاوت الأحجام، ويبلغ عرضه ستة أمتار، ولقد اكتشفت عليه بعض كتل معدنية ذات سطح محدب، وسبائك دائرية من الرصاص القديم، وبعضها الآخر وجد منحدرًا فى المنخفضات[٢].

٢- حاجز الأمواج الشمالى الغربى:

ويوجد على الناحية الشرقية (J2)، وما زال بحالة جيدة، وهو من الحجر الجيرى المغطى بالملاط، وأبعاده خمسون مترًا × سبعة أمتار، وله امتداد يقع على زاوية قائمة باتجاه جنوبى شرقى بطول ١٢ م، والأحجار الجيرية فيه مصفوفة أفقيًا.

---

(1) F. Goddio, op. Cit. P. 21.

(2) Ibid



(لوحة ٥٣)

شبه الجزيرة (عن المعهد الأوروبى للآثار (٢٠٠٣)

J1: jetty 1 : حيث اكتشفت قوالب الرصاص

J2: jetty 2 : وهو رصيف أو حاجز فى حالة جيدة

J3: jetty 3 : رصيف أو حاجز الأمواج الأساسى على شبه الجزيرة (البوسيديوم)

J4: jetty 4 : وهو الذى يؤدى إلى الأرض المستوية حيث يقع التيمونيوم

٣- الرصيف (J3):

يمتد فى الطرف الشمالى الغربى لشبه الجزيرة، وهو من الحجر الجيرى المختلف الأحجام، وسطحه مسطح لكنه معرض للانهيار فى عدة أماكن، وهو ما زال فى حالة لا بأس بها ويرتفع إلى أكثر من ثلاثة أمتار فوق قاع الميناء.

٤- السد The Mole (J4):

يمتد إلى الجنوب الغربى بزاوية ٧٠ درجة مع الرصيف، وهو مبنى من الحجر الجيرى والملاط، ومساحته٩٠ مترًا × ٢٥ مترًا ما زال سطحه يحتفظ برونقه، وينتهى بأرض مستوية **(لوحة ٥٤)** مبنية من الحجر الجيرى والملاط مساحتها ٥٠×٢٢ مترًا. تتناثر كتل الأحجار جيرية على الأرض المستوية، وعلى مقربة منها توجد أبدان أعمدة من الجرانيت الأحمر يبلغ قطرها تسعين سنتميترًا، وأيضًا توجد وحدات أخرى من الرخام والحجر الجيرى، وتتمركز البقايا فى ثلاث مناطق رئيسية.

■ فى شمال قاعدة شبه الجزيرة أبدان أعمدة وقواعد وتيجان من الجرانيت الأحمر ذات أقطار من تسعين إلى مائة سنتمتر.

■ فى جنوب قاعدة شبه الجزيرة مساحة عريضة مرصوفة مغطاة بأبدان أعمدة وتيجان وقواعد من الجرانيت الأحمر أقطارها من خمسة وأربعين إلى تسعين سنتمترًا.



(لوحة ٥٤)

المنطقة المستوية ذات بلاطات من الحجر الجير ى فى منطقة الأعمدة (عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

■ عند الطرف الجنوبى الغربى هناك تجمع من أبدان أعمدة جرانيتية حمراء أقطارها من سبعين إلى تسعين سنتمترًا، والمساحة مغطاة باللقى الأثرية على مساحة مرصوفة، ومنها مسلة للملك سيتى الأول عليها نقوش هيروغليفية[1] من ثلاثة أوجه، وكذلك تمثال أبى الهول من الكوارتزيت[2] **(لوحة ٥٥)**، ورأس تمثال من الرخام الأبيض، وبقايا أعتاب وأبواب ونوافذ وأفاريز من الجرانيت الأحمر، وأيضًا أجزاء من جدران مشيدة من الطوب من روابط من الملاط.

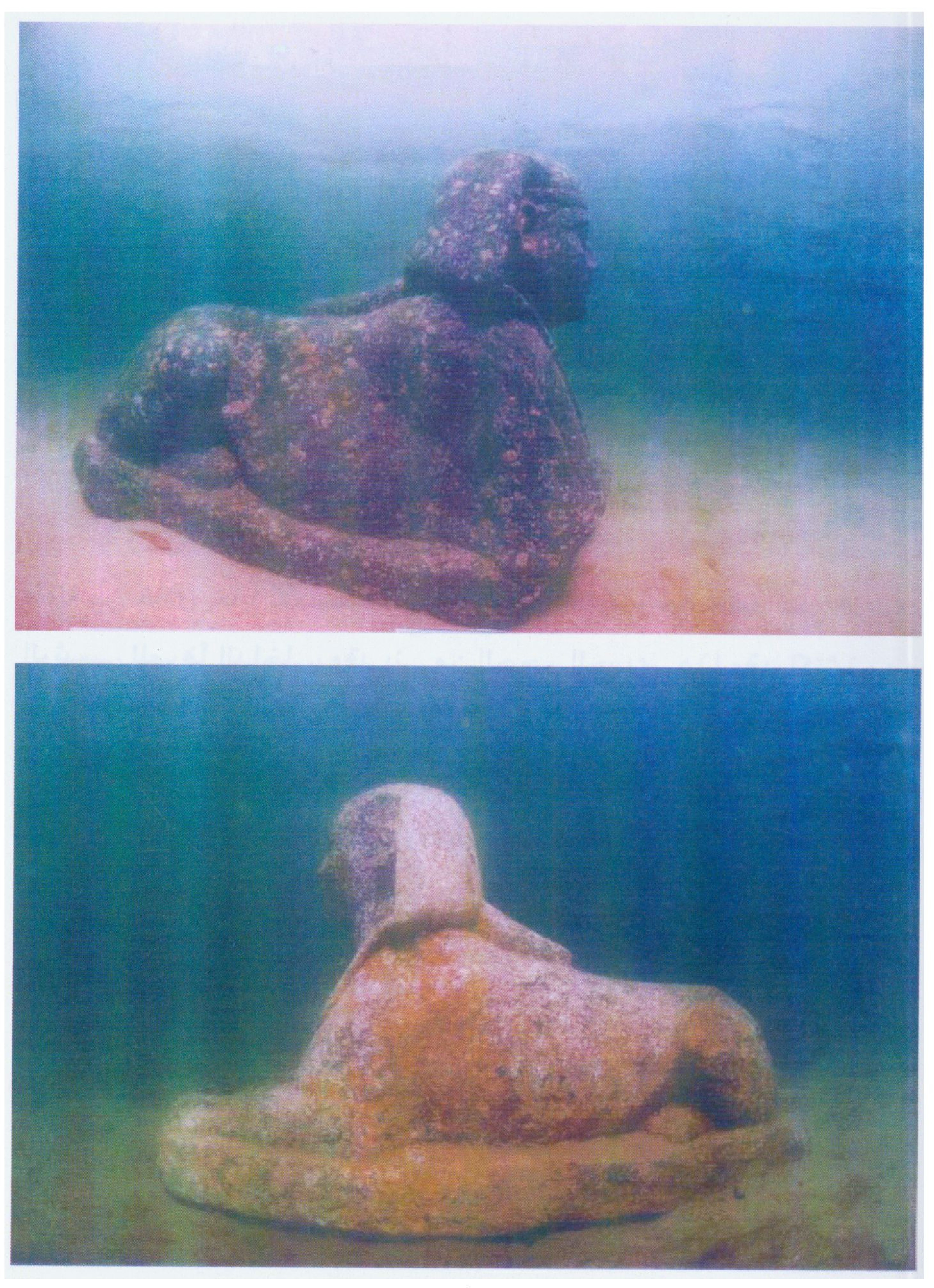
وفى الفقرة السابقة VII من استرابون نجد أنه ذكر وجود (البوسيديون)، وهو المعبد الذى يستمد اسمه من (بوسيدون) إله البحر اليونانى، كما ذكر أنها كوع يخرج من الأرض، حيث ينطبق هذا الوصف على شبه الجزيرة، وهذا الكوع يسمى إمبوريون، لكنه فى موضع آخر ذكر مبنى يدعى أيضًا إمبوريون عند ذكره للمبانى الواقعة ناحية الهبتاستاديون، وأنه يقع إلى الغرب من (القيصرون) Kaisarion، ذلك الأخير الذى تأكد مكانه بواسطة مسلة كليوباترا[3]، وهنا لا بد من الافتراض أن هناك مكانين يسمى كل منهما إمبوريون Emporion أحدهما تجارى، وهو سوق كبيرة لها محال خاصة بها ومخازنها ومستودعاتها فى اتجاه الهبتاستاديون Heptastadion، ومكان آخر له الاسم نفسه خاص بانزال المواد الغذائية إلى المرفأ الملكى، ومكانه قاعدة شبه الجزيرة[4]، هكذا فلو أن هذا المعبد كان قائمًا فى مكانه وقت حدوث الهبوط الذى أدى إلى التدمير والغرق فسوف تكون بقاياه موجودة فى القاع، وهكذا فإن مزيدًا من التنقيب سوف يؤدى إلي اكتشافها.

(1) J - Yoyotte, "pharaonica, (Alexandria), op. cit, P. 221.

(2) Zsolt Kiss, the scultures, (Alexandria), op. cit, p. 274

(3) A. Adriani, Reportorio d'Arte dell'Egitto Greco-romano, ser C.t. I-II Bacno di sicilia, 1966, P. 220 and 247 - 280.

(4) F. Goddio, and others,op. cit.



(لوحة ٥٥)

تمثال سفنكس من الدويوريت (عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

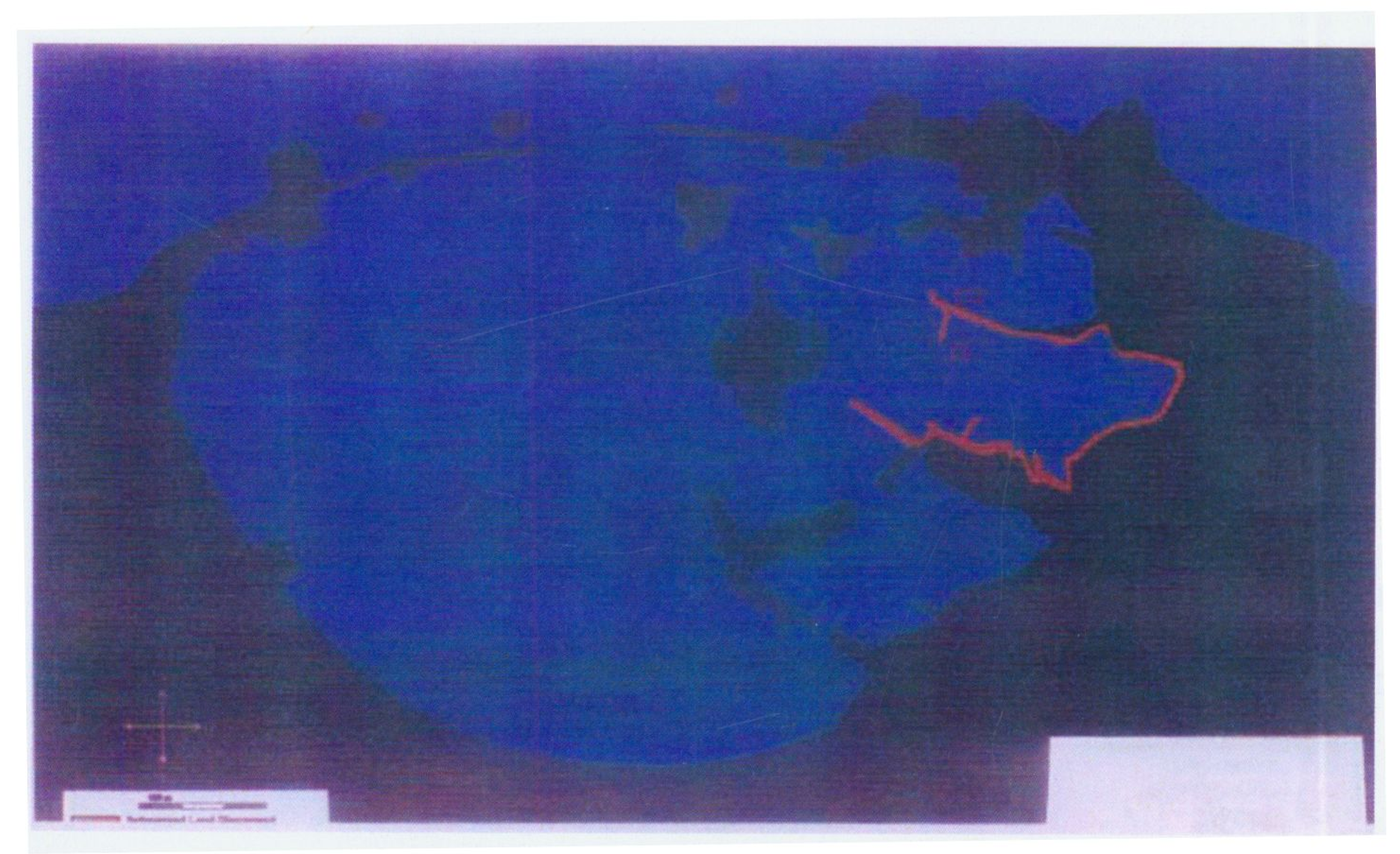
أيضًا ليس ثمة ما يؤيد المكان الذى أشار إليه استرابون كمكان لوجود مقر ماركوس أنطونيوس والمسمى التيمونيوم سوى منطقة السد الكبير الذى يتعامد على الجنوب الغربى، والذى ينتهى برصيف، وبقاياه تؤكد هذا الافتراض.

و - المرفأ الرئيسى الثانى (الميناء الثانى) (لوحة ٥٦):

فيما بين السد الجنوبى الغربى (D2) وشبه الجزيرة يقع مرفأ كبير مساحته خمسة عشر هكتارًا (٥٠٠ م × ٣٠٠ م) تحمى مدخله السلاسل الصخرية من الأمواج الآتية من الميناء الكبير Magnus Portus، ويوجد فى هذا الميناء ثلاثة أرصفة Jetty، اثنان على شبه الجزيرة (J1)، (J2)، والثالث (J3) حيث يظهر طوله من خلال بقايا الأساسات المتردية ثمانين مترًا، وهو يتعامد على الرصيف الرئيسى للمرفأ الداخلى، وقد بنى من الحجر الجيرى. هذا وقد اكتشف عدد من تجمعات اللقى الأثرية والعديد من المراسى الحجرية القديمة للسفن، خاصة قرب السد أسفل شبه الجزيرة. لقد ذكر استرابون الميناء الكبير ذا المرافىء العديدة كما ذكرنا فى الفقرة III، وهناك احتمال كبير أن هذا الميناء يحتوى على جزء من الأسطول الذى أشعل فيه قيصر النيران[1].

---

(1) Ibid.



(لوحة ٥٦)

المرفأ الثانى

ن – الجزيرة The Island (لوحة ٥٧):

تتكون من ثلاثة فروع:

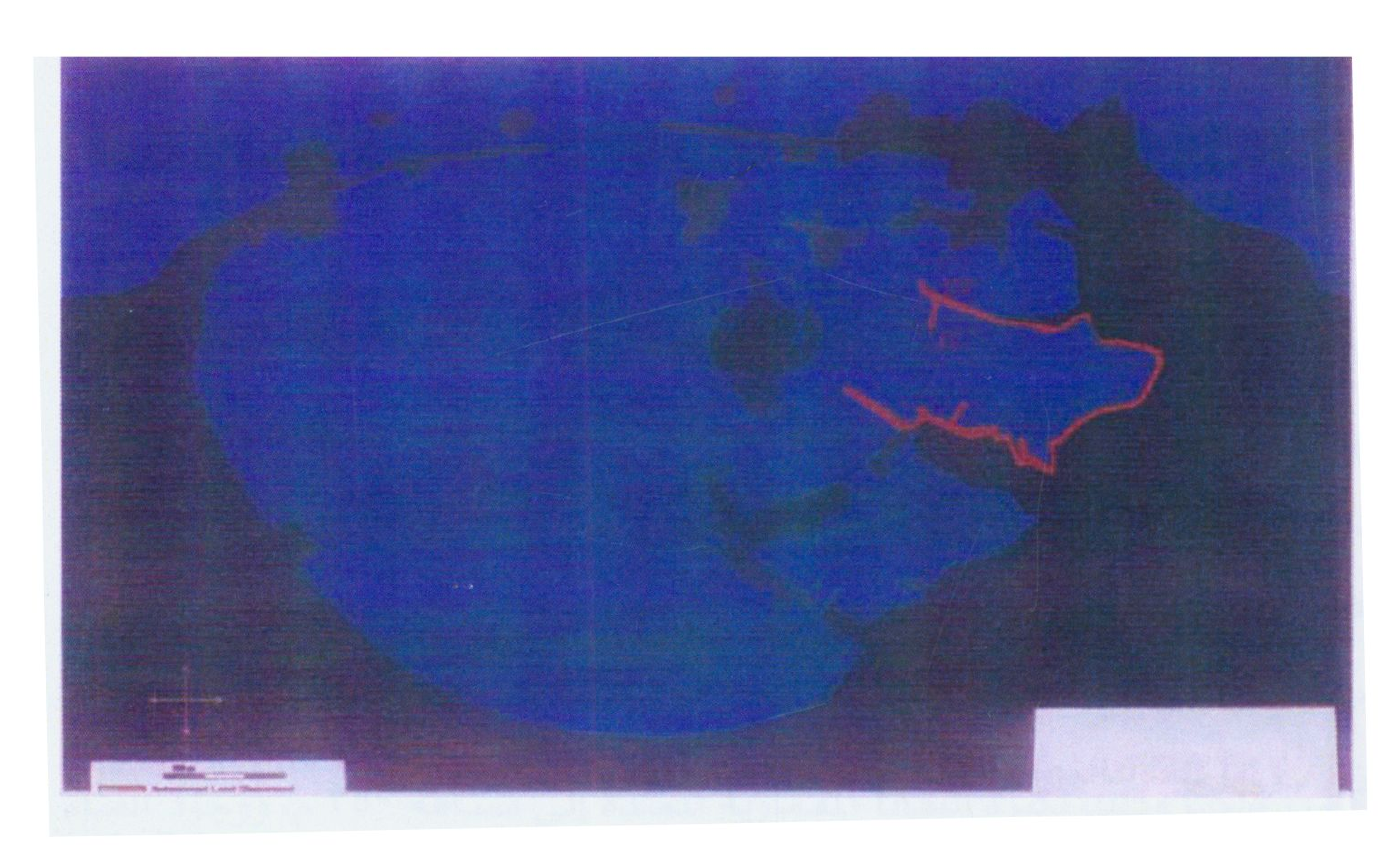
- الفرع الأساسى (BI) يحاذى السد والأرض المستوية على حافة شبه الجزيرة، وهو يوازى الشاطىء القديم.

- الفرع الثانى (B2) تبلغ أبعاده ٣٤٠ م × ٣٠ م، وهذا الفرع مع وجود شبه الجزيرة والساحل تصبح الجزيرة مرفأ كبيرًا. ليس بهذا الفرع أية أساسات سوى حاجز الأمواج المبلط.

- الفرع الثالث (B3) يمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، وفى أقصى الجنوب يوجد الرصيف (J4)، وهو من الحجر الجيرى، وهذا يكون مع الجزيرة مرفأ صغيرًا آمنًا (H2)، وتتحكم الجزيرة فى المدخلين الخاصين بالميناء الثالث الكبير. لقد وجد على الجزيرة كثير من البقايا الأثرية المهمة، فمنها العدد الأكبر من أساطين الأعمدة الجرانيتية الحمراء وجدت مصفوفة فى شريط يبلغ طوله ٣٥٠ مترًا وعرضه ٤٥ مترًا، وكذلك قواعد تماثيل يبلغ عددها سبع قواعد. وتتركز البقايا بكثافة على الأرض المستوية الوسطى، والطرف الجنوبى الغربى للجزيرة[1]، فنجد أن الأعمدة بلغ عددها نحو خمسين عمودًا أقطارها بين ٩٥ و ١١٠ سم، وإلى الجنوب الشرقى منها منطقة ممتدة على الفرع الثالث (B3) تغطيها أرضية من بلاطات الحجر الجيرى.

---

(1) Ibid. P. 28.



(لوحة ٥٧)

الجزيرة The Isiand (إنتيرودس)

أيضًا عُثِرَ على تكوينات خشبية تتكون من صفين من الأوتاد المتوازية تتراوح المسافة بين الصفين من ١,٨ متر إلى ١,٥ متر. هذه الأوتاد إما ذات أخاديد ووضعت ألواح خشبية منحدرة داخلها لتكوين نوع من السياج الخشبى المثبت فى الأرض، ونهايات الأوتاد حادة ومثبتة بالملاط فى الأرض وتتحدر فى القاع الرملى[1]، وإما أوتاد بدون أخاديد، ولم تثبت بالألواح الخشبية، وهى تبدو أكثر تماسكًا، ومن الفحص تبين أنها من خشب الدرداء (الصنوبر ELM)، وبها حلقات، وقد حُلِّلَتْ الخامات بواسطة (كربون ١٤) لتحديد تاريخها، ووجد أنه عام ٤١٠ ق. م ± أربعين عامًا (أى تزيد أو تقل) وذلك بالنسبة إلى الأولى، وكذلك عام ٣٩٥ ق. م ± أربعين عامًا بالنسبة إلى الثانية، وهناك افتراض[2] أن هذه التكوينات الخشبية كانت قاعدة لسد أو رصيف خشبى مبنى فى نهاية الجزيرة **(لوحة ٥٨)**.

فى الطرف الشرقى للجزيرة فى الطبقة العليا من الحفائر اكتشفت قطعة رخام أبيض عليها بعض الحروف اليونانية[3] وأسطوانة عمود من الجرانيت عليها نقوش إغريقية. أما وسط الجزيرة فقد اكتشفت مساحة مستوية تمتد داخل الميناء تبلغ ٦٠٠٠م٢ بها بقايا مهمة، وهذه المساحة مكسوة تمامًا بالحجر الجيرى، وعليها أسطوانات أعمدة جرانيتية حمراء أقطارها تتراوح بين ١١ و ٧٥ سم، وبعضها ذو حليات، واثنتان منها تحملان نقوشًا هيروغليفية[4] وقد أعيد صقلهما ليعاد استعمالها. هناك دلائل تشير إلى أن بعض تلك الكتل قد

---

(1) Ibid, P. 29.

(2) A. de Graauw, a 20th Century engineer's viewpoint of the eastern harbour of Alexandria, (I' Alexandria...) op. cit, P. 53

(3) E. Bernand, "Epigraphie documents, (Alexandria..) Op. cit, p, 147

(4) J. Yoyotte, Pharaonica (Alexandria, ...) Op. cit, P. 35.

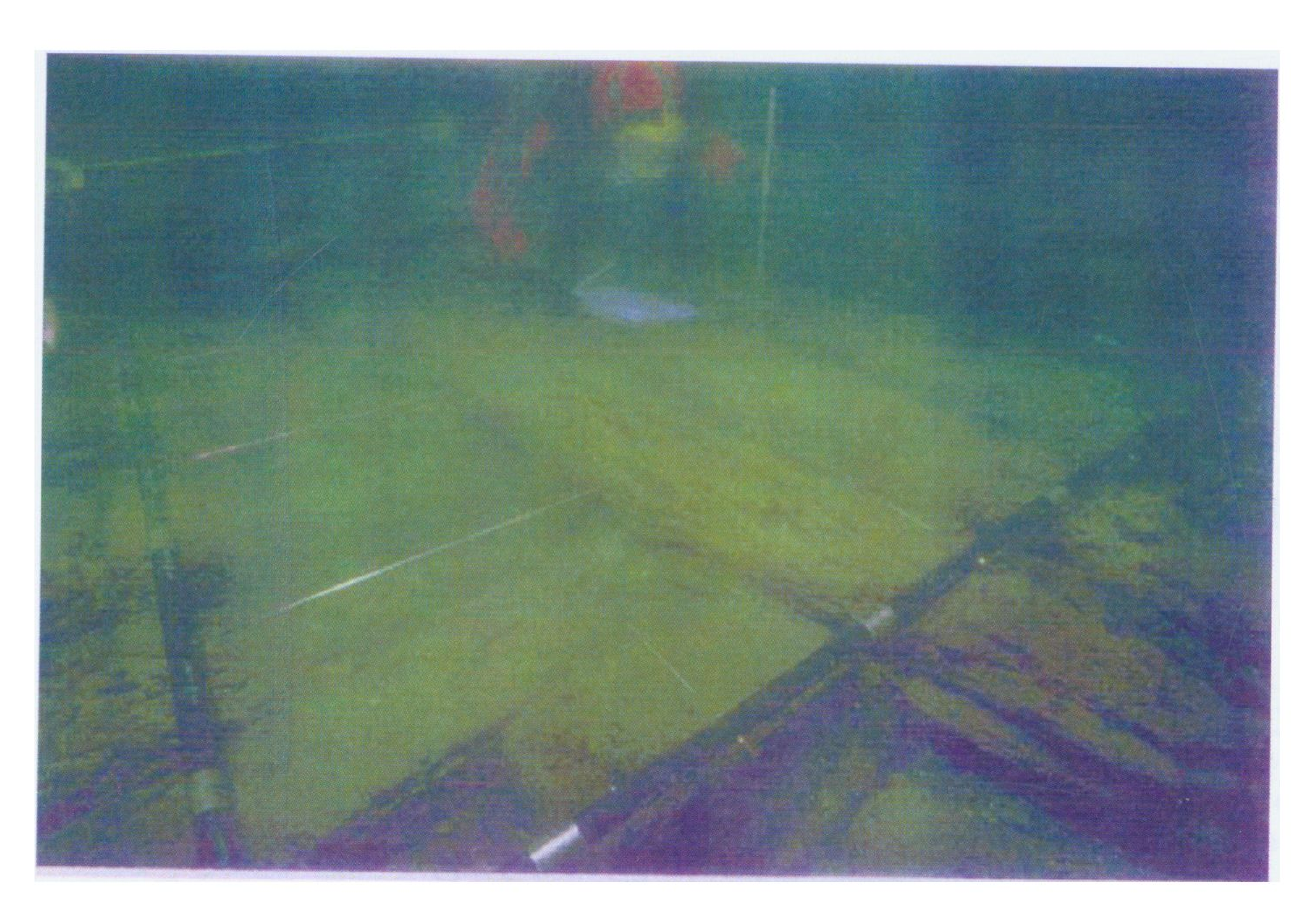
انكسرت أو سقطت على إثر زلزال أو انحدار أرضى، وبعضها يبدو أنه ظل فى مكانه الأصلى. لقد ظهر أيضًا فى مستوى السطح نوع من الرصف بالحجر الجيرى مع وجود دعامات من الخشب يمكن رؤيتها فى عدة أماكن، وكذلك ضلف خشبية استقرت فى القاع الصخرى تحت كتل البلاط، وهى من ألواح خشبية مترابطة سمكها من ٣ إلى ٤ سم، فى وضع أفقى ومثبتة من أعلى بعوارض مستعرضة مثبتة بتعشيقات، **(لوحة ٥٩)** أما العوارض الرأسية حول الضلف فهى لإضفاء مزيد من الصلابة، وهى فى حالة جيدة[١].

وهنا يعتقد أن الفرع الرئيسى للجزيرة (BI) قد كان عليه بناء مهم قد يكون مقرًا ملكيًا وذلك لكثرة البقايا المعمارية الممتدة إلى مسافة ٣٥٠ م، ووجود الفناء الفسيح والأساسات التى تؤرخ للقرن الثالث أو الثانى ق. م، وحقل الأعمدة. كذلك عثر فى الطرف الجنوبى الشرقى على تمثالى أبى الهول من الجرانيت الرمادى والديوريت، ومن الدراسات[٢] وجد أن أولهما يمثل بطلميوس XII، والثانى أحد البطالمة الأواخر **(لوحة ٦٠)**، ويعتقد بشدة أن الجزيرة هى (إنتيرودس)، حيث عثر على تمثال من الجرانيت الرمادى لكاهن حليق الرأس والشارب واللحية ارتفاعه ١٥٠ سم يرتدى الزى الكهنوتى، ويحمل إناء كانوبيًا غطاؤه بشكل رأس طفل، ووجود هذا التمثال **(لوحة ٦١)** إلى جانب تمثالى أبى الهول يؤكد وجود مبنى دينى حيث إن تماثيل أبى الهول كانت توضع أمام المقابر والمعابد والهياكل الدينية بغرض الحماية.

---

(1) F. Goddio. (Alexandria. ...) Op. Cit. P.236. P. 147.

(2) Zsoit Kiss. The scultures. (Alexandria. ...) Op. Cit. P. 169.



(لوحة ٥٨)

التكوينات الخشبية (عن بعثة المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)



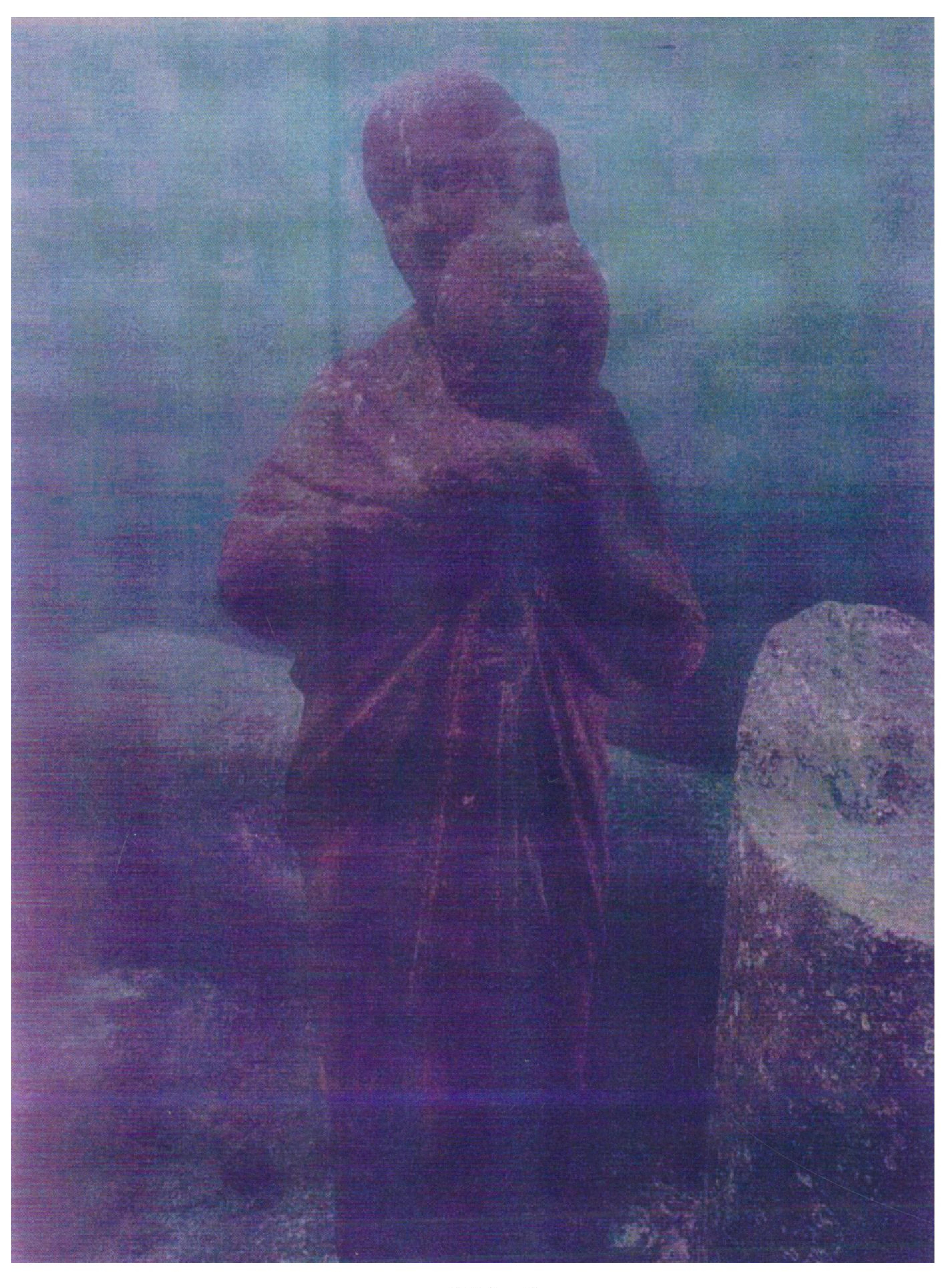
(لوحة ٥٩)

الأرضيات المبلطة بالحجر الجيرى



(لوحة ٦٠)

تمثال أبى الهول سفنكس من الجرانيت الرمادى



(لوحة ٦١)

موقع هبط بالكامل إثر حدوث هبوط كارثي نتيجة زلزال لا بد أن الموقع كان لمعبد حيث كاهن إيزيس فى زى أوزوريس يحمل آنية كانوبية تحيط به تماثيل أبى ا لهول والأعمدة الجرنيتية الضخمة صور تحت مياه الميناد الشرقى. (عن المعهد الأوروبى للآثار)

ع - خط الساحل القديم (لوحة ٦٢)

رغم طغيان البحر على الأرض خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وكذلك إنشاء الكورنيش فى القرن العشرين، فإنه يمكن تحديد هذا الساحل من قياس موقعه نسبة إلى مسلة كليوباترا التى كانت على بعد ١٢٠ مترًا من الشاطىء[1] **(لوحة ٦٣)**. هذا ويمكن رؤية الساحل القديم تحت الماء يربط رأس لوخياس إلى شبه الجزيرة حتى منتصف الميناء الكبير Magnus Portus، وعند تقابل الساحل مع الجزيرة وجد رصيف مهم (J6) مرصوف بالحجر الجيرى وتبلغ أبعاده (١٣٠ م × ٣٠ م)، ويأخذ شكل الكوع أمام السد (J4)، كما وجدت أيضًا أعداد من اللقى الأثرية، منها:

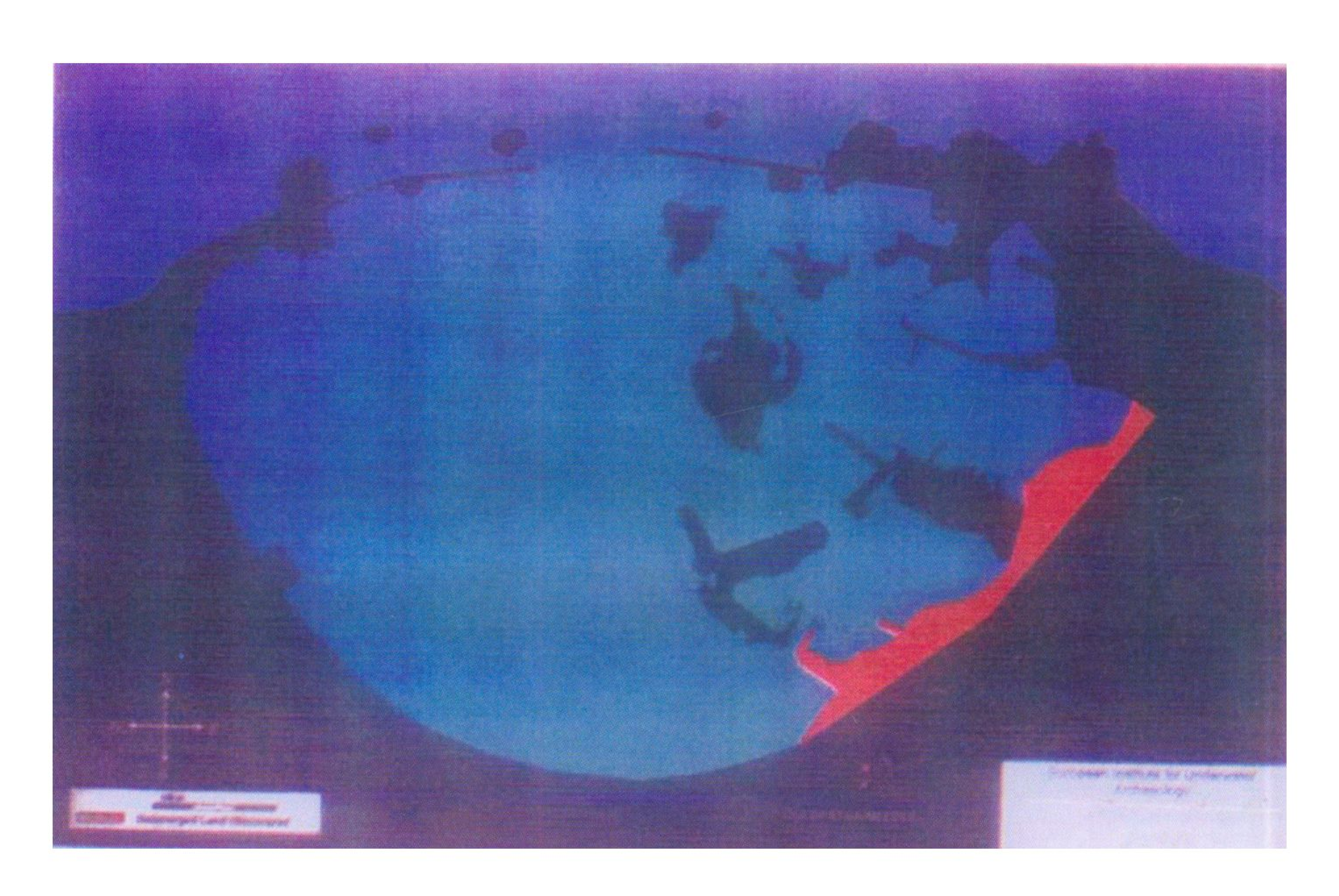
- تمثال يمثل الحية فى دائرة رمادية من الجرانيت، قد يرجع إلى القرن الثانى أو الثالث ميلاديًا، ويمثل القوى الخيرة Agathodaimon التى تحمى معابد الإسكندرية ومنازلها. **(لوحة ٦٤)**.

- تمثال لطائر الأيبس المقدس من الحجر الجيرى، وقد وجد أيضًا تجمع لأبدان أعمدة رخامية وكتل أحجار جيرية وكوارتزيت وثلاث دعامات جرانيتية تحمل نصوصًا هيروغليفية.

إن العدد الضخم من هذه اللقى الأثرية يعطى شهادة بأهميتها، حيث إنها بنيت على طول خط الساحل شرق الميناء الكبير Magnus Portus، فها هنا كانت توجد المبانى الملكية (Basileia) كما ذكر المؤرخون، حيث تقع على الساحل على رأس لوخياس تربط البازيليون Basileion لرأس لوخياس إلى الحى الكبير للبازيليا، والتى عرفت فى العصر الرومانى بالبروكيون[2] Brucheion، حيث يصفها استرابون فى الفقرة VII.

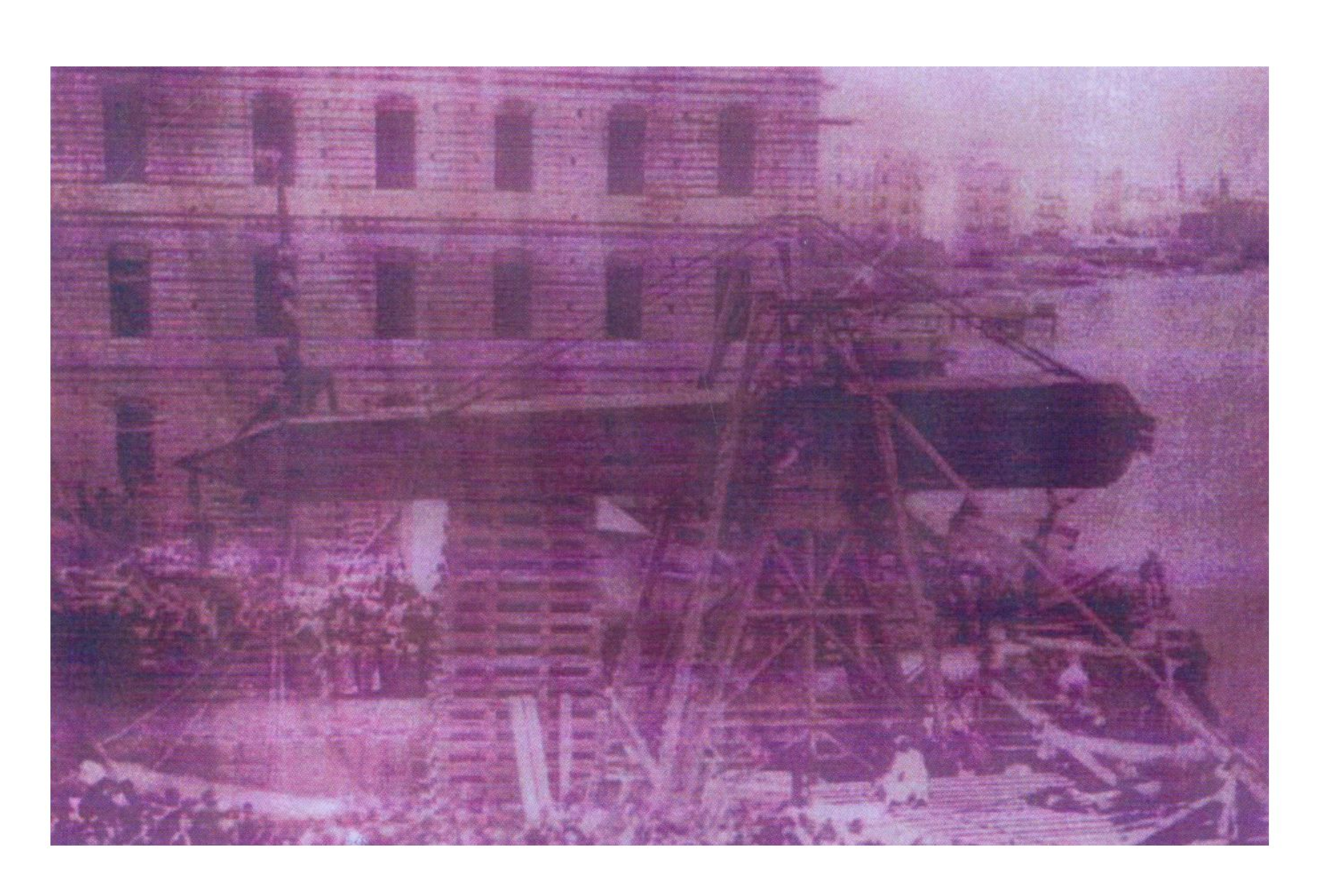
(1) F. Goddio, and others, "Alexandria, Op. Cit. P. 45.

(2) J. Yoyotte, Pascal charvet, stéphane Gompertz, strabon.



(لوحة ٦٢)

خط الساحل القديم (عن المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)



(لوحة ٦٣)

مسلة كليوباترا ويظهر قربها من خط الساحل



(لوحة ٦٤)

غ – المرفأ الثالث الكبير (الميناء الثالث) (لوحة ٦٥)

هو الأهم بالنسبة إلى الميناء الشرقي، ويأخذ شكل متوازى أضلاع مساحته نحو (١٦ هكتارًا) تحوطه شبه الجزيرة بأرصفتها الضخمة والأرض المستوية، وكذلك الجزيرة ثم الساحل. مدخل الميناء (P1) إلى الشمال الشرقى اتساعه ٨٠ مترًا تحميه سلاسل الصخور الكبيرة من الرياح السائدة. فى الجنوب الغربى يوجد مدخل ثانوى (P2)، وداخل الميناء يوجد رصيف (J5) يوازى شبه الجزيرة و(J6)، ويشكلان ميناء صغيرًا هو (H2)، ويوجد ميناء آخر صغير (HI) تشكل من الذراعين الأساسيتين للجزيرة والرصيف (J4)، ووجد فى هذا المكان عدد كبير من الإمفورات، كاملة ومكسورة، ووجد أيضًا بقايا قديمة من الأخشاب ومراسى السفن فى القاع، وقد أحيط الميناء بعدد من اللقى الأثرية والأعمدة، وتشكله الإنشائي يدل على أنه كان يحوى معابد مهمة وقصورًا[1]، وهنا فقد وصف بلينى[٢] هذه المنطقة فقال: "هناك مسلتان فى الإسكندرية فى ساحة معبد القيصرون قرب الميناء..". إن هذا الميناء هو الذى يسمح بوجود مسلات، حيث إن القيصريون وصف بأنه معبد فى مقابل الموانىء الشهيرة بالمرافىء العظيمة، وهكذا ذكر أيضًا استرابون.

ن – أحواض الترسانة

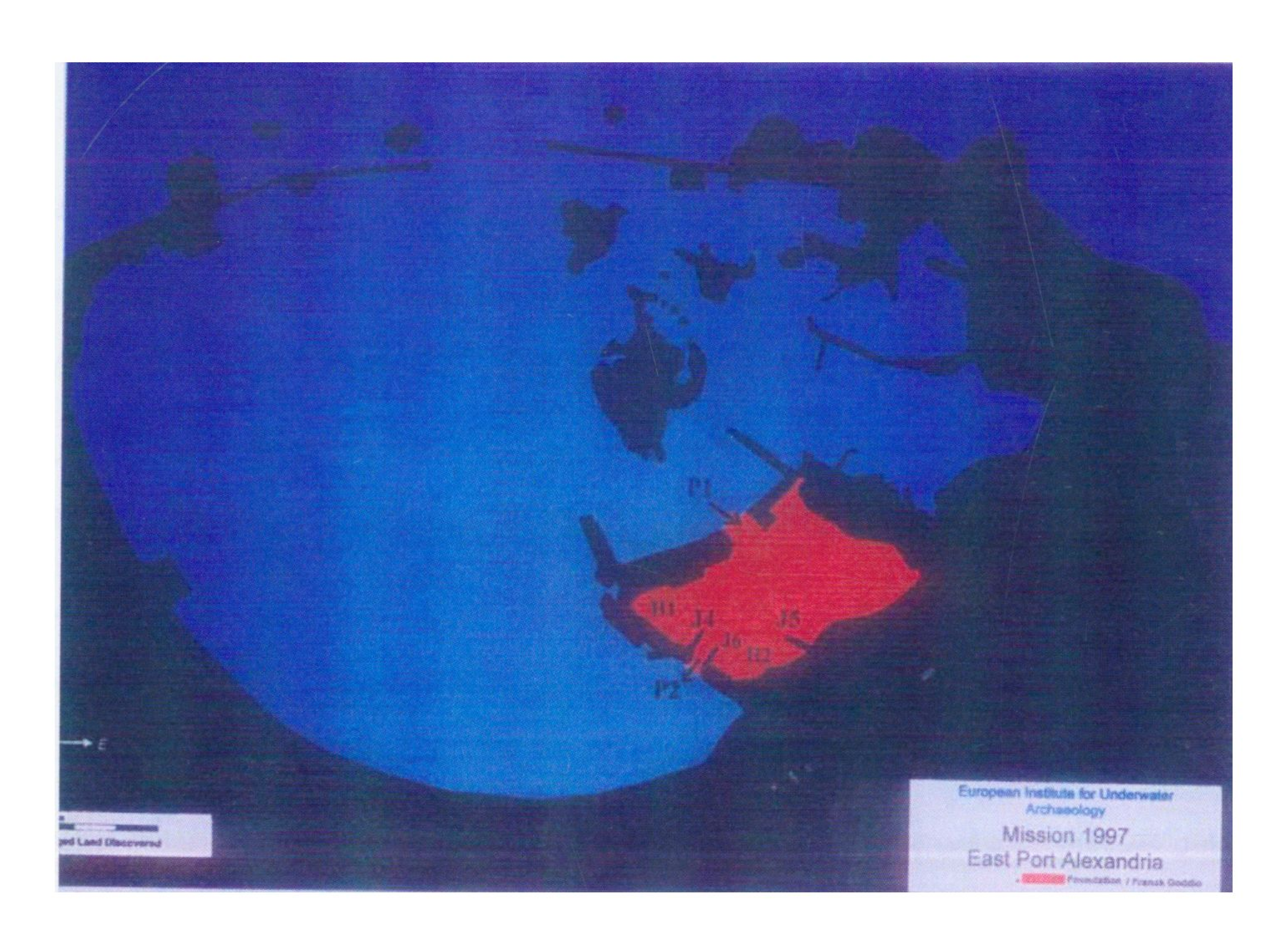
لقد ذكر استرابون الترسانة التى تمتد أرصفتها حتى الهبتاستاديون. وقد اكتشف حوض ميناء هذه الترسانة فى الناحية الجنوبية الغربية للميناء الشرقى **(راجع لوحة ٤٤)**، وكذلك اكتشف ميناء آخر جنوب قلعة قايتباى، حيث وجدت أرصفة تحميل من الحجر الجيرى، كذلك جدران لمبنى كبير ذات مساحات

(1) Goddio and others, (Alexandria, ...) op. cit. P. 52.

(2) Pliny, Natural history, V, XXXIV, 128, 128.

وأحجام ضخمة تؤكد أن هذا الجزء من جزيرة فاروس قد غاص فى البحر إلى عمق سبعة أمتار منذ القرن الثانى، وهذه المكتشفات تبين أن هذا الجزء من المرجح ينتمى إلى فنار الإسكندرية.

كان هذا هو الميناء الشرقي، لكنه لم يكن المكان الوحيد الذى كشفت أدق تفاصيله، كانت هناك على طول ساحل الإسكندرية تلك الأماكن الشهيرة والعظيمة كانت أيضًا منطقة قايتباى التى تحمل أشهر معالم الإسكندرية.



(لوحة ٦٥)

الميناء الثالث الكبير (عن بعثة المعهد الأوروبى للآثار الغارقة)

الفصل الثالث

أولاً: اكتشافات الموقع حول قلعة قايتباى (موقع الفنار)

لقد بدأ العمل أيضًا من قبل البعثة الفرنسية للدراسات السكندرية Centre d' Etude Alexandrien منذ نحو عشر سنوات وعام ١٩٩٢ فى التنقيب تحت الماء بالتعاون مع الـ IFAO والمجلس الأعلى للآثار حول القلعة المملوكية (قايتباى)، حيث تم عمل مسح لمعرفة مساحة الموقع وحجم الكتل الموجودة تحت الماء وأهميتها، سواء خارج الميناء الشرقى أو موقع قايتباى. أيضًا عمل خريطة حديثة للموقع تحت البحر وذلك باستعمال الأجهزة الحديثة، مثل GPS وغيره من الأجهزة المتطورة الخاصة بالتصوير تحت الماء وعمل القياسات إلى آخره.

لقد كان هذا المكان من الأهمية بمكان حتى إنه تمت الحفائر منذ عام ١٩٩٥ حتى الآن، وقد قسم الموقع الذى تبلغ مساحته ٢٢٥٠٠م٢ (٥,٥ أكر (*))، أى أكثر من هتكارين، إلى أربع مناطق خارج الميناء الشرقى للإسكندرية من أقصى نهاية رأس لوخياس فى الشرق (رأس السلسلة) حتى الغرب عند قلعة قايتباى. إن حقل البقايا الأثرية هذا، والذى هو تحت الاختبار، يجعل هذا الموقع من أكبر المواقع الأثرية تحت الماء فى البحر المتوسط[1].

(*) أكر: مقياس مساحة يساوى نحو ٤٠٥٠ م٢.

(1) Internet site: www. angefire. com

ويحد هذا الحقل من الشرق الصخرة الماسية، ومن الغرب القلعة المملوكية نفسها وما حولها من الجنوب من المبانى التى أقيمت عام ١٩١٦م لحمايتها وحماية الميناء الشرقى، أى إن موقع الاستكشاف كان خارج الميناء[١]، كما أنه فى منطقة تقع بعيدًا بعض الشىء (QB4 , QBI) وجدت سلسلة من حطام مراكب وسفن يونانية ورومانية[٢].

(1) Jean - Pierre corteggiani, les Aegyptiaca de la fouillle sous- marine de Qaitbay, Bulletin de la société Française d'Egyptologie 14 Juin 1998m P.25.

(2) J. Y. Empereur Tropis VII, 7th international symposium on ship construction in antiquity, Athen 2002.

المواقع الأثرية عند قلعة قايتباى

إن موقع المنطقة الأثرية الواقعة حول قايتباى يُعد ذا أهمية كبيرة،ولذا فقد بذلت مجهودات كبيرة حتى يمكن معرفة قاع البحر فى هذه المنطقة، حيث إن التعامل فى هذا الموقع كان مع عناصر غير معروفة، وتتبع أى نوع من البناء، كما أن أغلبية العناصر الموجودة كانت فى حالة متردية، من حيث تكومها بعضها فوق بعض نتيجة انهيار المكان دون أن تعطى أى إيحاء بما كانت عليه من شكل أو ترتيب، إلى جانب الأعداد الكبيرة من الكتل الأسمنتية الحديثه والتى ألقيت فى هذه المنطقة لحماية الشاطىء والقلعة، والتى كان لها أثر كبير فى تدمير جزء كبير من هذه الآثار، إلى جانب عملية تحريكها من فوق الآثار حتى يمكن استكشاف ماهية هذه القطع الأثرية.

وحتى يتم رسم خريطة للموقع فقد كان على فريق العمل من بعثة التنقيب إعادة ابتكار قاعدة معلومات ضخمة ومفصلة، حيث بدأ فى تأسيس موقع إلكترونى فعلى يحمل محطة قياسات Electronic distance measurement station (EDM)، وإنشاء خريطة قاع البحر بواسطة السونار، واستخدام جهاز (Global Positioning System GPS)، والذى أعطى احتمالاً كبيرًا فى أن الجزء المغمور فى قاع البحر حول قايتباى كان قديمًا أرضًا جافة فوق مستوى البحر، كذلك استعمال جهاز L'Aquamétre الخاص بالغوص ولقياس أحجام الآثار الغارقة.

عند بداية الاستكشاف، ومع استعمال الأجهزة السابق ذكرها، وضعت أربعة معايير للكتل الموجودة تحت الماء حتى يمكن استنتاج المصطلح الفنى الخاص بها، وهى: الشكل - الأبعاد - الأجزاء - الزخرفة.

إن إعادة تركيب الرسوم على الورق ومطابقتها من قبل البعثة المكتشفة للمنطقة أعطت إمكانية تحديد نوع الكتل المكتشفة وشكلها، وكذلك تحديد مصطلحاتها الفنية، حيث إن المصطلحات الفنية ترتبط فى فن العمارة بوظيفة كل كتلة فى البناء، وفى هذا الموقع كان التعامل مع عناصر غير معروف فعليًا كونها كما ذكرنا. لقد كان القاع الذى شوهد لهذا الموقع على عمق ٦ إلى ٨ أمتار، وهو العمق الذى استقرت عليه هذه الآثار. لقد وجدت فى هذا الموقع تحت الماء قطع أثرية رائعة بقدر تشكيلها وقدر تسلسلها التاريخى.

وقد قسم هذا الموقع إلى عدة مناطق سميت بمناطق:

- قايتباى ١ QBI: وهى المنطقة المحيطة بالفنار، وهى غارقة بجوار القلعة.

- أيضًا قايتباى ٢ QB2: المعروفة أو المسماة بالتل أو المرتفع، وتمتد إلى الشرق خلال الموقع، وكذلك هناك قايتباى ٤ QB4، وقايتباى ٥ QB5، وهكذا. ولقد اشتملت المكتشفات التى عُثِرَ عليها فى المنطقة على عناصر من عصور مختلفة.

أ - عناصر فرعونية

١- عُثِرَ على قطع من ثلاث مسلات فى المنطقة نفسها، اثنتين منها خاصتين بالفرعون ستى الأول I وجد منها ثلاث قطع تماشت بعضها مع بعض، واثنتان وجدتا من ناحية القاعدة ومن الناحية الأخرى وجدت فقط قطعة واحدة[1]. إحدى المسلات الثلاث من الجرانيت الوردى الأسوانى، وتحتفظ بارتفاع ١,٤٤ م

(1) J. Yves. Empereur , Alexandria rediscovered, France 1998, P. 74.

وهو الجزء العلوى من المسلة، وعلى وجهين منها يظهر الفرعون ستى الأول I فى شكل أبى الهول بوجه الحيوان (ست) بالتناوب مع السطوح الأخرى، حيث يظهر الفرعون فى شكل أبى الهول بوجه إنسانى يقدم القرابين إلى إله هليوبوليس[١] **(لوحة ٦٦)**.

المسلة الثانية من الكواتزيت الأصفر، وقد وجد منها ثلاث قطع، واحدة وجدت عام ١٩٩٤ أما القطعتان الأخريان فقد اكتشفتا عام ١٩٩٥ فى المكان نفسه، ويبلغ إجمالى ارتفاعها ٠,٨٥ سم، وتحمل خرطوشًا مكسورًا. النقوش على المسلات يبدو ظهور الفرعون واضحًا فى نقوش غائرة يقدم القرابين إلى آلهة هليوبوليس.

٢- إن الأعمدة والكتل المعمارية تغطى قاع البحر فى هذه المنطقة، ويبلغ عدد الأعمدة والبقايا من الأعمدة أكثر من مائة عمود. لقد كانت الأعمدة الأكبر تخص الفترة الفرعونية، وصنعت من جرانيت أسوان، وتحمل قسمات أكبر، ويبلغ قطر أحدها ٢,٣٠م، ويعتبر غير مقارن[٢]، وقمته تحمل تاجًا برديًا. بعض التيجان التى وجدت صنعت من الجرانيت الرمادى أو الأحمر، ومن بين الأبدان الملساء للأعمدة يوجد نحو ٦ أعمدة بردية ذات قمم مقفولة استحوذت على الانتباه بالنسبة إلى المستكشفين، فبعضها يحمل خرطوش رمسيس الثانى II من الأسرة التاسعة عشرة **(لوحة ٦٧)**، حيث يختلف الزمن هنا، إذ يبلغ عمرها تسعة قرون قبل بدء تأسيس مدينة الإسكندرية[٣]، والنقوش الهيروغليفية التى تغطى الأعمدة تبين أنها أعمدة قد أخذت من معبد أو حرم فى هليوبوليس.

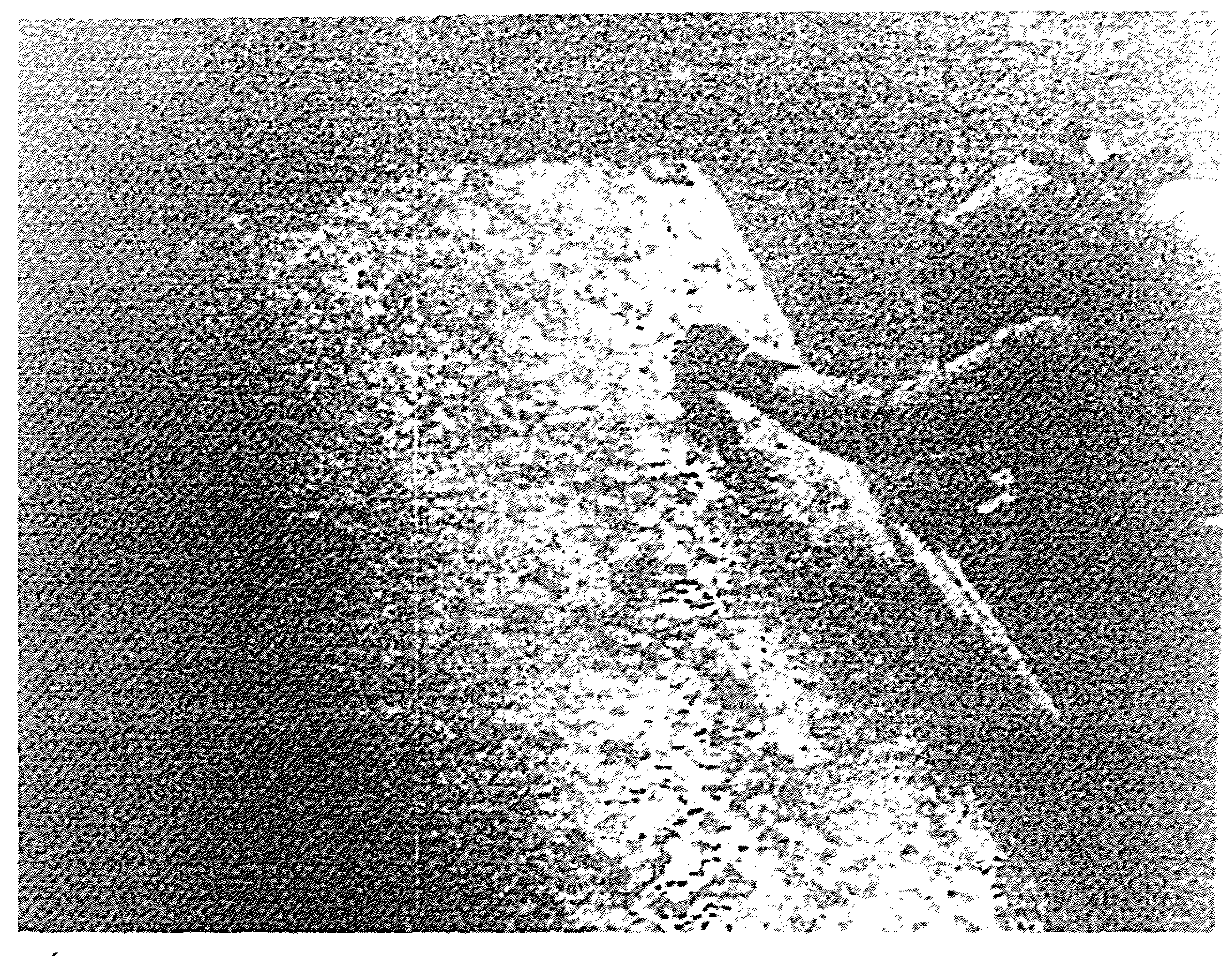
(1) J - Yves Empereur, BCH, (Bulletin de correspondance Hellénique, 120, 1996.

(2) J - Yves Empereur, Alexandria rediscovered, Op. cit, P74.

(3) J - Yves Empereur, BCH, 120, 1996, P. 74.



وجه من المسلة يظهر فيه الملك فى شكل أبى الهول
تفاصيل رسم (لوحة ٦٦)
مسلة من الجرانيت الأحمر للفرعون ستى ا لأول



عـمـود من الجـرانيت الأسـوانى قطره ١,٢٠ امــتــر (عن جـان ايف إمــبــرور J.Y.Emperur)



(لوحة ٦٧)

عـمـود بردى من جـرانيت اسـوان ارتفـاعـه ٤,٥٠ مـتـر (عن جـان أيف إمـبـرور J.Y.Emperur)

٣- لقد ظهر عدد كبير من تماثيل أبى الهول سفنكس، حيث تم حصر نحو ثلاثين منها. إنها مجموعة مختلفة فيما بينها، فهى بمقاسات مختلفة، ومادة صناعتها مختلفة ومتباينة من الكلسيت إلى الجرانيت الأحمر إلى الجرانيت الرمادى، وكذلك أعمارها تختلف حيث أقدمها يحمل خرطوشًا من عصر سيزوستريس III[1]، أى (الأسرة الثانية عشرة) (القرن التاسع عشرة ق. م) ١٨٨١ - ١٨٤٢ ق. م (الإله الكامل خع كاو رع) وقد اغتصبه الفرعون مرنبتاح (الأسرة التاسعة عشرة) ونقش خرطوشة عليه فى القاعدة السفلية، أما التاريخ الأحدث لأبى الهول فهو يرجع إلى عصر بسماتيك II، ويحمل نقش (ملك الوجة البحرى والوجة القبلى) نفر إيب رع المنتمى إلى آتوم سيد هليوبوليس[2] **(لوحة ٦٨)**، أى من الأسرة السادسة والعشرين (أوائل القرن السادس ق. م ٥٩٥ - ٥٨٩ ق. م)، وهنا فإن بينهم نحو ثلاثة عشر قرنًا من الزمان.

- وجد تمثال أبى الهول من الجرانيت الأسود لكنه مدمر إلى حد بعيد، ولا يحمل نقوشًا؛ بل يحمل آثار ترميمات عديدة وقديمة، ويحتمل أنه يعود إلى الأسرة الثامنة عشرة.

- وجد تمثال أبى الهول من الجرانيت يحمل الاسم الحورى لرمسيس الثانى (الثور القوى المنتمى إلى ماعت)، وكذلك خرطوش له.

- كتلة مستطيلة تقريبًا تحمل نقشًا غير محدد للإله بتاح.

- كتلة ضخمة تحمل (واح إب رع) المنتمى إلى هليوبوليس (سيد القوة)، ويحمل الاسم النبتى للملك الرابع للأسرة السادسة والعشرين الملك إبريز.

---

(1) Ibid, P. 75.

(2) J. Pierre Corteggiani, op. cit, P.30.



(لوحة ٦٨)

تمثال ابى الهول يحمل اسم بسماتيك II من الأسرة السادسة والعشرين

إنه تجمع خرافى[1] يحتمل أنه انتقل وطبقًا لنقوش تلك التماثيل التى تبين أن التكريس قد تم لآلهة هليوبوليس، والذى قد يكون مكانها الأصلى، أن بعضها فى حالة جيدة من الحفظ، وقد تم مطابقة هذه النصوص المقدمة كقرابين، ووجد أن هذه اللقى الأثرية هى بقايا كمنقولات أثرية آتية من معبد الشمس في هليوبوليس، وقد دمرت بواسطة حادثة. وقد فسر سترابو وجودها بأن الإغريق والرومان أحضروها لتزيين العاصمة الجديدة[2]. أيضًا خرج من موقع قايتباى٥ (QB5) جزء علوى من ناووس من جرانيت أسوان مزخرف بقرص الشمس المجنح بسلسلة من خراطيش محلاة برموز فرعونية تفيد التكريس لـ (بتاح) إن مجموعة أبى الهول هي بدون شك جزء من موقع فى المدينة البطلمية التى زُينت بالمسلات (مثل مسلات كليوباترا)، ويمكن القول إن الإغريق والرومان قد حاولوا إعطاء الإسكندرية أيضًا أصولها المصرية باستجلاب هذه العناصر من أبى الهول والمسلات والأعمدة لتزيين المدينة. إن وجود هذه اللقى الأثرية لا يغير من تاريخ الإسكندرية، كما أنه يعتقد بشدة أن هذه اللقى الأثرية قد جلبت إلى الإسكندرية بواسطة الأباطرة الإغريق والرومان، ولا بد أنها كانت قد جلبت كى توضع فى حرم مبنى مهيب[3]، وكذلك لتزيين المدينة بهذه العناصر الفرعونية، حيث ذكر بلينى، المؤرخ والرحالة، فى منتصف القرن الأول ميلاديًا، أن المسلات كانت تزين المدينة البطلمية أمام المعابد، وعلى الطرق وأمام الساحات الواسعة.

---

(1) J - Yves Empereur, BCH, op. cit.

(2) J - Yves Empereur, Tropis VII, op. cit.

(3) J - Yves Empereur, BCH, 120, op. cit Alexandrie rediscovered op. cit.

ب - عناصر هيللنستية

لقد وجدت إلى جانب العناصر الفرعونية المكتشفة والتى تم عرضها، وجدت عناصر هللينستية، حيث استخرج تمثال لملك بطلمى فى هيئة فرعون يبلغ ارتفاعه ٤,٥٥ م، ووزنه ٣٢ طنًا، ونجد أن الجذع فقط يبلغ وزنه ١٧ طنًا **(لوحة ٦٩)**.

كذلك اكتشف تمثال نصفى لامرأة، وكذلك جسد من الجرانيت الأسوانى ارتفاعه ٠,٧٠ متر - ٠,٨٠ متر. الرأس يحمل الباروكة (النمس)، ويوجد تجويف لا بد أنه كان مسافة تحمل التاج يبدو أنها بقايا تماثيل بطلمية في هيئة فرعونية. وكذلك اكتشف تمثالان آخران لفرعونين بطلميين خاصين بقاعدتين لتماثيل عملاقة، وأيضًا اكتشف اثنان آخران يضافان إلى الأربعة السابقة. إنهم بدون شك ثلاثة أزواج من الملوك والملكات البطالمة[1]، وقد أفادت الآنسة أونرفروست أن الغطاس كامل أبو السعادات فى عام ١٩٦٠ قد وجد اثنين من التماثيل ذوى حفظ جيد إلى جانب بعضهما البعض، وإلى جوار قواعدها، حيث يبدو أنهما قد سقطا فى موقعهما نفسه على بعد خطوات من الفنار فى منطقة جزيرة فاروس[2].

(1) J. Yves Empereur, Alexandrie rediscovered op. cit. P. 77

(2) J. Yves Empereur, BCH, 120, 1996



(لوحة ٦٩)

استخراج تمثال من العصر البطلمى لملك فى هيئة فرعون

لقد أقاموا الفنار فى هذا المكان كنوع من الدعاية حتى يراهم البحارة والمسافرون عبر البحر إلى الإسكندرية، والذين يهتدون بفنارهم الذى أقاموه ليدللوا على أنهم ليسوا فقط أسياد البلاد اليونانية كلها، لكنهم أيضًا ملوك مصر كلها(1). وقد أقيمت التماثيل على نمط التماثيل الفرعونية العملاقة التى تقف أمام بيلون المعبد(2)، أو أمام باب ذى ارتفاع عظيم يصل إلى ١٢,٧٦ متر، وقد صنعت من جرانيت أسوان. كذلك عثر على ساقين. وجدير بالذكر أنه عُثِرَ على (كف)(*) عملاقة تخص التمثال العملاق لبطليموس الموجود فى ساحة مكتبة الإسكندرية.

ج - العناصر الخاصة بالفنار

لقد ظهرت دلائل من العناصر المعمارية، وهى كتل وجدت فى الناحية الشمالية، وتتميز بحجمها، وهى من الجرانيت الأسوانى. هذه الكتل تزن نحو ٧٠ طنًا، وهى عبارة عن بلاطات مربعة وعتبات أبواب وقوائم وعوارض أو شبابيك، وكلها أحجام ملحوظة فى ضخامتها، حيث إن أحد القوائم يبلغ ارتفاعه أكثر من ١١,٥ متر، وتوجد عتبه يبلغ وزنها ٢٠ طنًا. هذه الكتل ترقد على القاع ابتداء من القلعة المملوكية، وتتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى، وبعضها مكسور إلى قطعتين أو ثلاث، مما يدل على أنها سقطت من ارتفاع من أعلى مسافات كبيرة. وقد وُجدت فى الموقع قايتباى ٢ QB2، والمعروف بالتل أو المرتفع، والذى يمتد إلى الشرق من الموقع، وُجدت فيه أعداد كبيرة من الكتل المعمارية مكومة

(1) J . Yves Empereur. Alexandrie rediscovered op. cit. P. 77

(2) J . Yves Empereur. BCH. 120. 1996

(*) جدير بالذكر أن هذه اليد هى يد ملكية، حيث كان الملوك البطالمة يقبضون على عصا هرقل القصيرة علامة على أنهم ينحدرون من هذا الإله أو من نسله.

بطريقـة الواحـدة فوق الأخـرى، وبواسطة طريقـة البـالون الممـتلىء بالهـواء أمكن استبدال الطبقات حتى يمكن تسجيلها جميعًا، وهذه الطريقة التى استعملتها البعثة الفرنسية المنقبة فى قايتباى سمحت بفهم أو معرفة الطبقة السفلى، حيث وُجِدَتْ كتل معمارية منها قد سقطت مباشرة إلى جانب التل، أى فى الموقع نفسه، وأن جميع الكتل فى المكان نفسه **(لوحة ٧٠)**. أيضًا عُثِرَ على كتل ذات تجاويف، وكذلك قطع من الرصاص عبارة عن وصلات أو لحامات متصلة أو منفصلة رأسية وأفقية **(لوحة ٧١)**، وأيضًا قطع بها آثار للجبس أو الملاط، حيث وجدت مجموعة بها مشابك من الحديد ومشابك من الرصاص. كذلك فى منطقة[١] وجدت حشوات من معدن الحديد والبرونز والرصاص.

لقد رفعت قطعة من الجرانيت تحمل نقوشًا يونانية من ثمانية أسطر تحوي ما يعنى أن تمثالاً نصب بنجاح فى عهد قنسطنتين وليسنيوس بين عامى ٣١٢ - ٣٢٣ ميلاديًا.

لقد عثر على قطعة نادرة فى مثل هذا الموقع، وهى عبارة عن ثلاث قطع من مغسل أو (بانيو) بشكل تابوت يبدو أنه قدر (دن) مزخرف بالنقوش فى الداير، به ثقب يدل على أنه قد استخدم للاستحمام[٢]، ويوجد مثلها فى المتحف اليونانى الرومانى. على امتداد الشمال الغربى من هذه المنطقة وجدت مساحة عشرات من الأمتار مملوءة بكتل من الرخام الأسود، لكن حالتها سيئة، ولقد تم أيضًا استخدام عملية النسخ بطريقة الـ Moulage للنقوش والرسوم التى على الكتل الأثرية، والتى لم تُستَخرَج من الموقع، وذلك بنشر طبقة من السيليكون على

(1) J . Yves Empereur, BCH, 124, 2000.

(2) J . Yves Empereur, BCH, 126.

القطع كما سبق ذكره، ثم نزع هذه الطبقة بعد أن تكون قد تشكلت بالتشكيل نفسه على القطع الأثرية تحت الماء حتى يمكن دراسة هذه النقوش، وقد دُرِسَتْ عشرات من القطع من مسلات وناووس وأعمدة بردية إلي آخره بواسطة علماء الـ IFAO المصاحبين للبعثة، وتم ترجمتها.

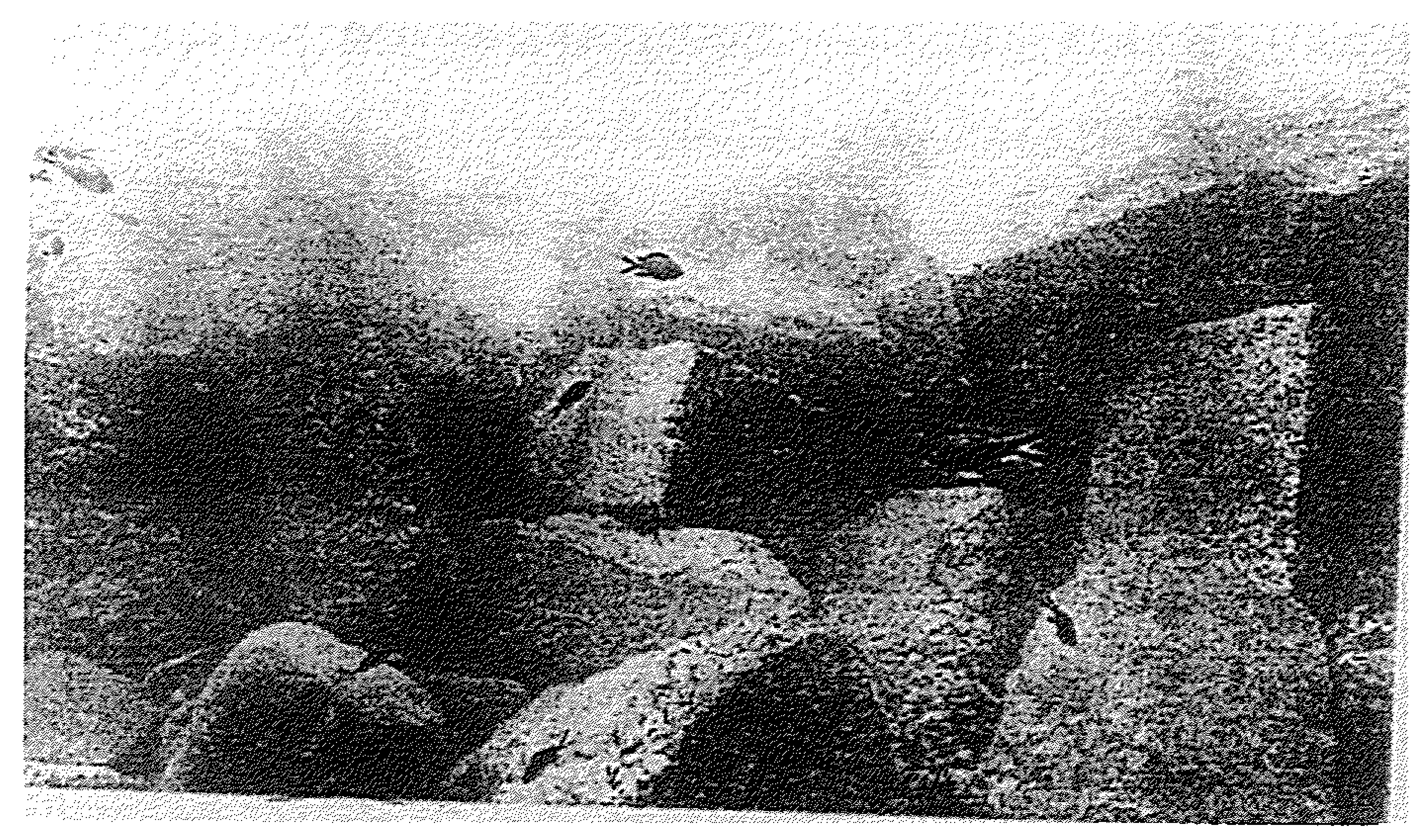
لم تقتصر اللقى الأثرية على تلك العناصر السابق ذكرها فقط؛ بل إن التنقيب قدم إلينا أيضًا فى موقعين هما قايتباى ١ QBI، قايتباى ٢ QB2 **(لوحة ٧٢)**، فى QBI عُثِرَ على إمفورات هى حمولة سفينة ترجع إلى منتصف القرن الأول ق. م، وكذلك نحو ٥٠٠ إمفورة نبيذ طراز (لامبوليا ٢)، كثير منها ما زال يحتفظ بفوهاته من الطين المحروق، وبعضها مدموغ ويحمل أختامًا على حافته أو المقبض. بعض الإمفورات صنعت فى كريت ورودس، مما يعطى فكرة عن خط سير السفينة من الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة الإيطالية[١]، التى غرقت فى هذا المكان، والذى عمقه الآن ثلاثة أمتار.

أما فى QB2، وهى شمال السابقة، فالإمفورات فيها مبعثرة على مساحة ٢٠٠ متر، وبعض هذه الإمفورات سليم أو كامل، ويوجد إمفورات رودية مدموغة ترجع إلى القرن الثالث ق. م أو بداية القرن الثانى ق. م، بعضها ما زال مملوءًا بالصنوبر والتفاح. ومن الدراسة لإمفورات طراز لامبوليا ٢ ، والفاكهة المجلوبة، يتضح أنها شحنة كانت قد غرقت من القرن الأول ق. م[٢].

---

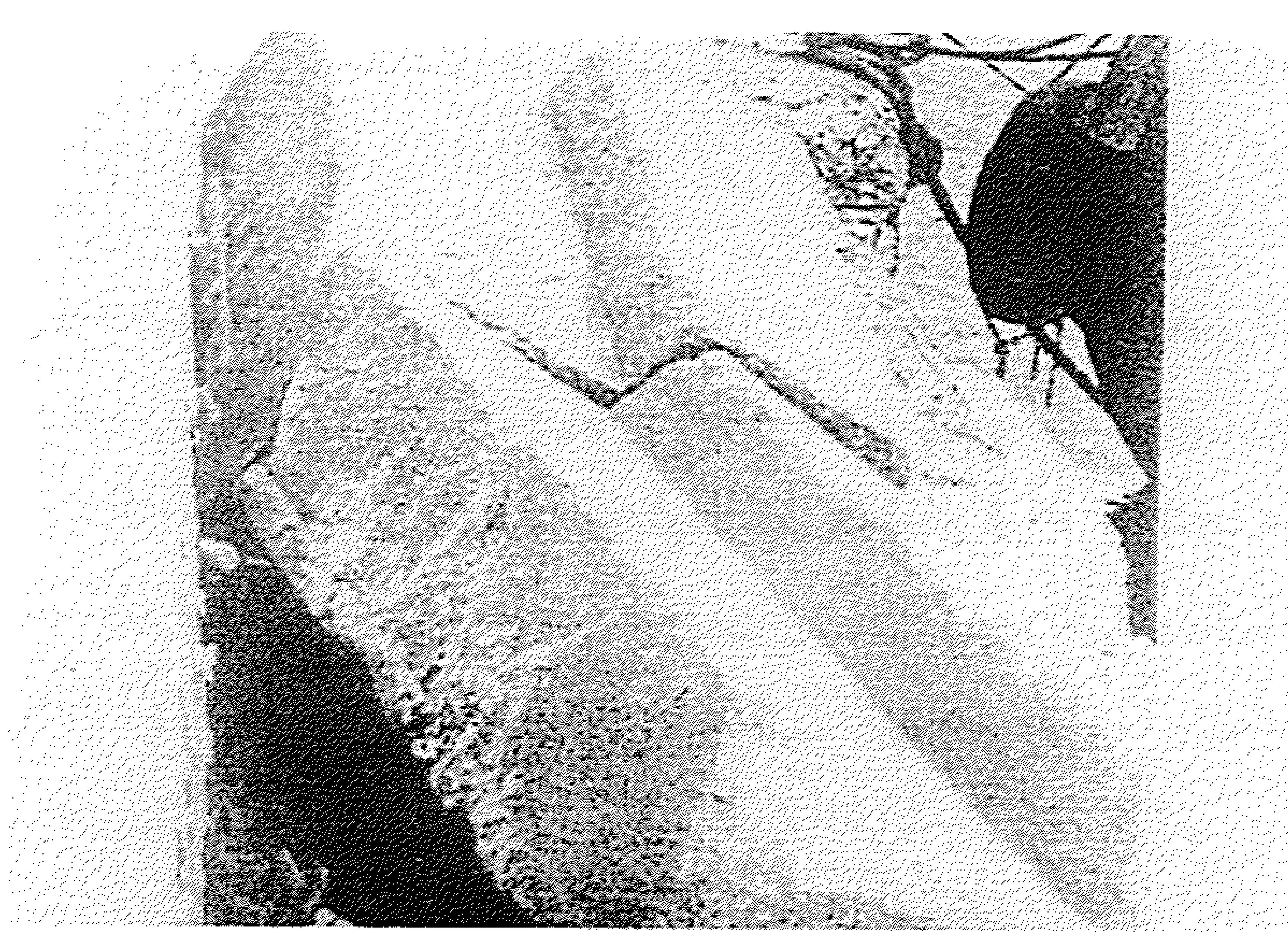
(1) J . Yves Empereur, BCH, 122. 1998.

(2) J . Yves Empereur, BCH, 126.



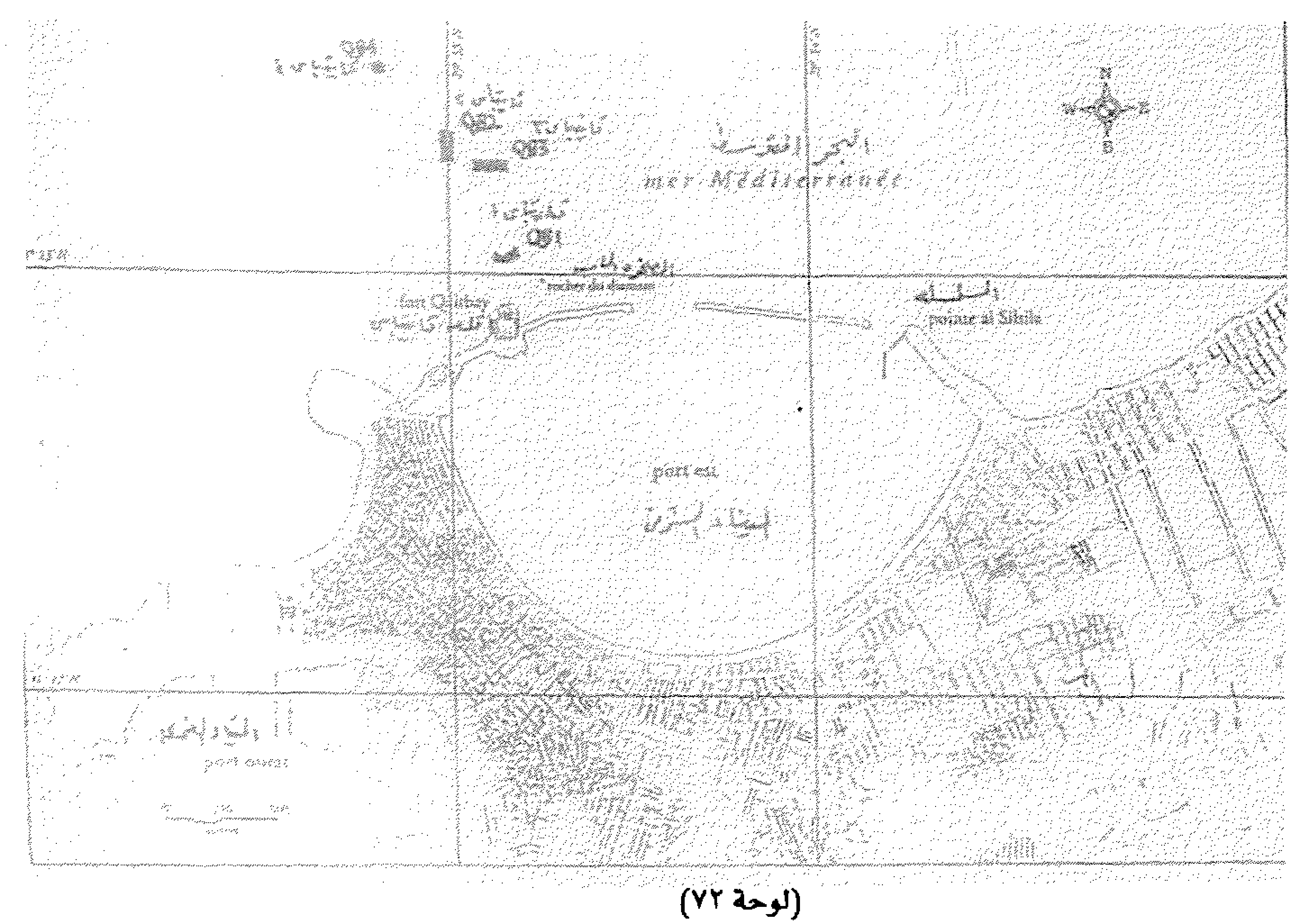
(لوحة ٧٠)

كتل معمارية متساقطة بعضها فوق بعض أسفل التل فى موقع قايتباى



(لوحة ٧١)

كتل معمارية ذات لحامات أو وصلات (عن E.Erome)



(لوحة ٧٢)

مواقع التنقيب فى قايتباى (أرشيف CEA، رسم N.Martin)

النتائج من الاكتشافات السابقة

١- بالنسبة إلى اكتشاف الأزواج الثلاثة من التماثيل العملاقة، ومعرفة علاقتها بالباب ذى الارتفاع البالغ اثنى عشر مترًا، فإنه يحتاج إلى مزيد من الحملات الاستكشافية والتحليلات الضرورية من قبل البعثة.

٢- لقد كان لاستخدام التكنولوجيا الحديثة أثرها المهم فى مساعدة الغطاسين والأثريين على إتمام مهمتهم فى تسجيل المعلومات وتحليلها بواسطة الكمبيوتر، وكذلك التصوير وعمل الـ Moulage، هذا بالإضافة إلى القطع الأثرية نفسها، والتى أحيانًا ما تكون دليلاً على كنه وجودها[١].

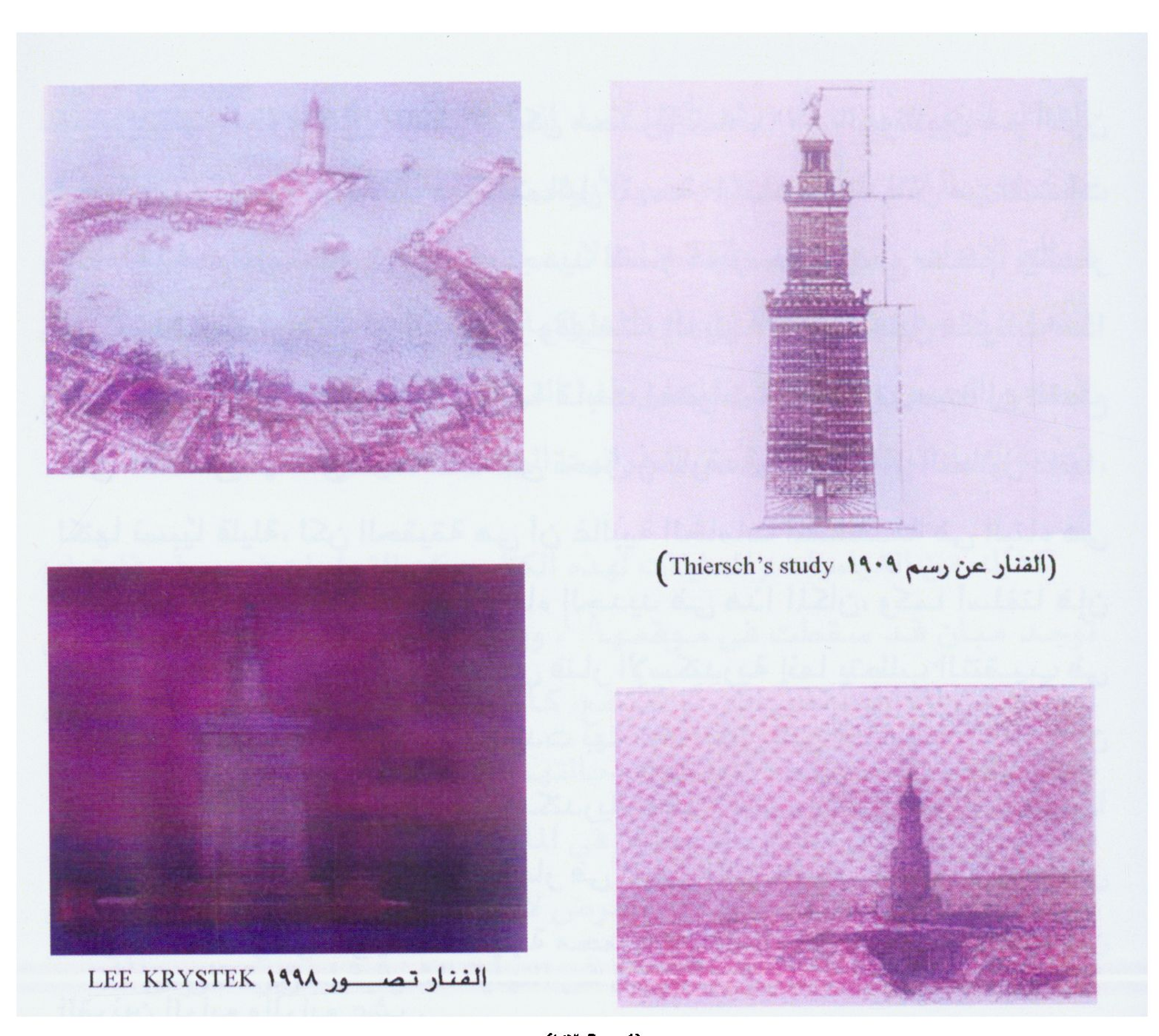
٣- لقد ظهرت نتائج واضحة وإيجابية، حيث وضعت الكتل معًا فى شكل مجموعات متطابقة أو متشابهة، وكانت هذه هى أول خطوة فى طريق التفسير. إن قاعدة المعلومات أوضحت أن الموقع أنشىء غالبًا من خامات أعيد استعمالها من مكان إنشائها الأصلى فى الدلتا وهيلوبوليس[٢]، وهناك علامات واضحة على إعادة الاستخدام اليونانى المقدونى لهذه القطع، وهو يتضح من إضافة التكنيك اليونانى إلى هذه العناصر البنائية المصرية، حيث إن ٩٠٪ من الكتل الجرانيتية متجاورة، وهذا التجاور نفسه يوضح شكل (فنار الإسكندرية) وطريقة بنائه **(لوحة ٧٣)**. لم تزل هذه افتراضات أدى إليها وجود هذه المكتشافات، لكنها لم ترق بعد إلى حد التأكيد. من جهة أخرى فإن من بعض النتائج التى ترتبت على اكتشاف هذه اللقى الأثرية اعتبار أن هذه اللقى إن كانت فعلاً هى بقايا (الفنار القديم) فإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الفنار - على ما يبدو - لم يكن يونانيًا تمامًا[٣]، حيث إن اليونانيين لم تكن لديهم الخبرة فى البناء بالجرانيت، فكان عليهم استخدام العمال المحليين[٤].

(1) Internet site op. cit

(2) Ibid

(3) Internet site op. cit

(4) Ibid


(الفنار عن رسم ١٩٠٩ Thiersch's study)

الفنار تصـــور LEE KRYSTEK ١٩٩٨

(لوحة ٧٣)

من جهة أخرى فإن الفنار لم يكن مصريًا تمامًا؛ لأن اليونانيين هم الذين قاموا بهذه المهمة[1]. كذلك فإن التماثيل المهمة المكتشفة والدلائل من المنشآت الكاملة تحت الماء تقود إلى مفهوم جديد للفنار كجزء من مجمع ضخم، وتفسر تعاظم نشاطه أو فائدته المدنيه أو وظيفته الدينية[2]. إن تحليل مكونات هذا الموقع ما زالت فى بداياتها، كما أنها قابلت اعتراضات كثيرة، حيث إن القطع التى حُدِّدَ تاريخها هى فقط تلك التى تحمل زخارف أو نقوشًا، أو التماثيل ذاتها، لكنها نسبيًا قليلة، لكن الحقيقة هى أن غالبية الخامات المستخدمة فى البناء هى خامات أعيد استخدامها فى البناء الجديد فى هذا المكان، وكما أسلفنا فإن الجزم بأن هذه اللقى الأثرية تخص فنار الإسكندرية إنما يتطلب التنقيب فى طبقات أسفل هذه الطبقة التى وجدت بها تلك الكتل التى اكتُشِفَت[3]، حيث إن هذه المنارة تُعد من أهم مواقع الإسكندرية، وقد اعتبرت من عجائب الدنيا السبع، والتى هدت البحارة فى الإبحار فى البحر المتوسط فى العالم القديم على مدى ستة عشر قرنًا، وتهدمت نتيجة مجموعة سلاسل من الهزات الأرضية بين القرنين الرابع والرابع عشر.

٤- لقد ذكر الرواة، وعلى رأسهم من القدامى سترابون، وكذلك عبد اللطيف البغدادى من عام ١٢٠٠ ميلاديًا، أن الفنار فى النهاية الشرقية لجزيرة فاروس، كما أنه معروف أن القلعة المملوكية قد بنيت على أنقاض الفنار، مما يرجح أن الفنار قد سقط إثر زلزال مدمر فى أوائل القرن الرابع عشر ميلاديًا، وبنيت القلعة على أنقاضه بعد مضى قرن من الزمان، أى عام ١٤٧٧ ميلاديًا. إن الاستنتاج الأمثل أن مثل هذه القطع ذات الأحجام والأطوال الكبيرة جدًا بهذا

---

(1) Ibid

(2) Ibid

(3) J. Y. Empereur, BCH, 12. 1996.

الشكل الذى يصعب معه تحريكها لا بد إنها كانت بناء الفنار نفسه. لقد وصف سترابون الفنار كبناء من الحجر الأبيض لكننا نجد أن عناصر التقوية، مثل قوائم الأبواب والعوارض والفتحات لا بد أن تكون من عناصر ذات قوة تحمل، وهذا ما نجده فى قلعة قايتباى المملوكية. إذن فإن الكتل الكبيرة صنعت من الحجر الجيرى أو الكلسى المجلى، أما القوائم والأعتاب فقد صنعت من قطع قديمة أعيد توظيفها، وهى من الجرانيت الوردى الأسوانى[1].

كذلك من القياسات والمعاينات لهذه الكتل يمكن القول إن فى موقع قايتباى توجد مبانٍ قد سقطت فى موقعها[2]، ويعتقد أن صفوف الكتل هذه، والتى وجدت فى المكان مقابل التل أو المرتفع، كانت الواجهة[3]، حيث وُجدَ فى المكان صفان كانا واضحين جدًا، وأخران حالتهما كما كانا عليها فى القديم، وهذا يوضح أن هذا التل كان مستعملاً فى الماضى، وأنه لسبب ما فإنه قد انهار جزئيًا، حيث إنه يمكن تقديم هذا الفرض لأن كل الرؤى فرضت أن هذا التل كان فى الماضى جزيرة مستعملة، وأنه كان فى النهاية الشرقية لجزيرة فاروس[4].

لقد أوضحت الدراسات التى قامت بها البعثة على هذه الكتل أنها قد استعملت بكثافة. كما يمكن القول إن هذه الكتل قد تم تقطيعها فى المكان نفسه. إن الكتل المكتشفة بدت للوهلة الأولى من الجرانيت، لكنه بعد الفحص الجيد والتنظيف وجد أنها من الرخام الأبيض، وكذلك بعض القطع التى تم تنظيفها وجدت من الملاط، ووجدت أيضًا أعداد لا بأس بها من الطوب.

(1) J. Y. Empereur, BCH, 120. 1996.

(2) J. Y. Empereur, BCH, 122. 1998.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

هذا وسوف تستكمل البعثة تنقيبها فى المواسم القادمة حتى يمكن الخروج بنتائج أكثر تأكيدًا على أن هذه القطع هى حقًا فنار الإسكندرية الذى دمر تحت تأثير هزة ونشاط زلزالى وتحركات أرضية في القشرة الإفريقية تأثرت بها الإسكندرية، وأدت إلى هبوط أو انهيار كبير، وظهرت أعداد كبيرة من الجزر باتت موجودة فى الخليج. إن هذه الظاهرة لم تكن ظاهرة تقدم فقط بل تعد فلكية مهمة جدًا حدثت يومًا فى نهاية القرن السادس الميلادى[1].

(1) J. Y. Empereur, Tropis VII international Symposuim on ship construction in antiquity, Athen 2002.

ثانيًا : اكتشاف المواقع الغارقة على طول الساحل شرق (السلسلة) رأس لوخياس.

منذ عام ١٩٩٨ قامت البعثة اليونانية، وعلى مدى السنوات التالية، بحفائر تحت الماء لساحل الإسكندرية شرق مينائها الشرقى القديم، وكان الغرض من هذه الحفائر.

١- دراسة خط الساحل القديم، والذى هو الآن تحت مستوى البحر بسبب ارتفاع البحر المتوسط وانهيار الأرض.

٢- اكتشاف مساحة واسعة فى المياه العميقة يمكن أن تكون مكانًا لبقايا أثرية قديمة وأنشطة بحرية.

هذا وقد أسفرت عمليات الحفائر[1] تحت البحر فى الناحية الساحلية من منطقة الشاطبى (١، ٢) والإبراهيمية واسبورتنج عن وجود عناصر معمارية كثيرة ومختلفة بين أماكن دفن عندالساحل فى الإبراهيمية **(لوحة ٧٤)** إلى عناصر معيشية مثل الفخار، كذلك العثور على أثقال صغيرة أكثر الأثقال تأخذ الشكل المستطيل وبها ثقوب، وتختلف أوزان هذه الأشكال من ٧ إلى ٣٠ كجم، وبعضها يحمل سمات المراسى الحجرية. وهى تختلف فى عدد الثقوب بها بين واحد أو اثنين أو ثلاثة، وكذلك فإن أشكالها تختلف، فتصل إلى نحو ستة أشكال مختلفة، و هذه الأشكال وجدت على التوزاى فى شرق المتوسط عامة وعلى الساحل الشرقى خاصة، كما أن هناك علماء كثيرين وصفوا هذه الأشكال المختلفة من الأثقال الحجرية كمراسٍ، وهى إما ذات ثقب واحد وإما مركبة، وهى ذات ثقبين أو ثلاث أو أكثر **(لوحة ٧٥)**.

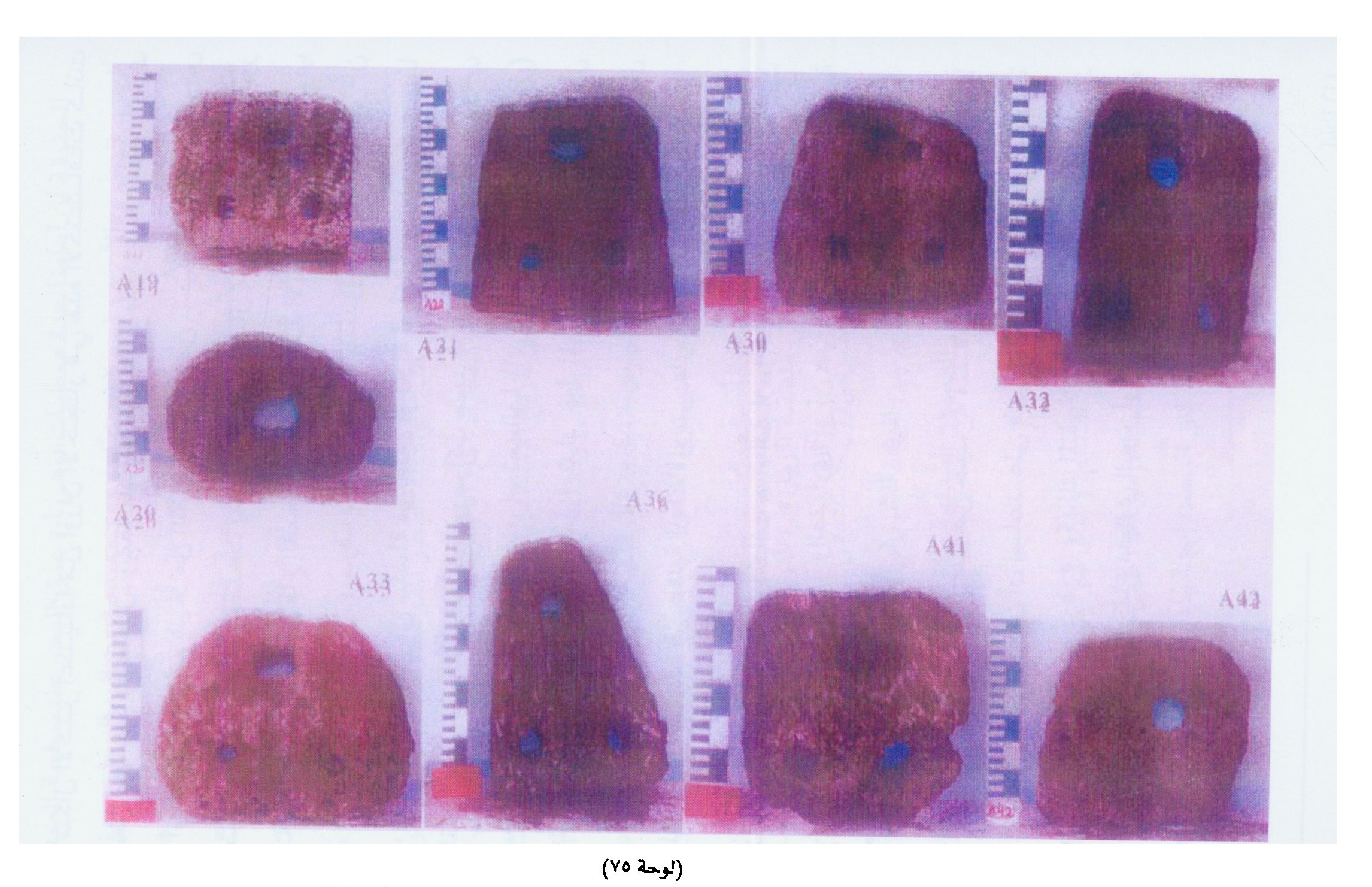
---

(1) Ibid.



(لوحة)

أماكن دفن محفورة فى لاصخر (أضرحة) فى الإبراهيمية فى أوقات انحسار المد والجزر (البعثة اليونانية)



(لوحة ٧٥)

مجموعة مراس وأثقال حجرية من صخور الإبراهيمية (عن yfantis) (البعثة اليونانية)

الأشكال الأكثر اعتيادًا من أوزان الأحجار في هذه الاكتشافات كانت مسطحة، ولها شكل مستطيل، وبمقاسات ٤٥ سم × ١٢ سم، وشكل الثقب العلوى مربع أو مستدير وأوسع قليلاً من الثقوب السفلية من ناحية القاعدة. ويفترض أن بعض هذه المراسى استخدمت بشكل فردى كأثقال مراسٍ على الصخور القريبة من السطح، أو على قاع الصخور. عدد من هذه الأثقال، والتى لها ثقوب علوية، ذات شكل مستطيل، ويعرف بطراز (فتحة صندوق البوستة) ممكن أن ترتبط بعضها مع بعض فى سلسلة من اثنين أو ثلاثة أو أكثر، وتتحدر تدريجيًا على القاع الرملى. ويحتمل أنها تخص مراكب صيد أو قوارب بحر صغيره، وهى التى تستعمل مثل هذه المراسى. عند استعمالها (أى الأكثر من مرسى أو ثقل) فإن وظيفتها ربما هى فقط لكى تحمل امتداد خط المراسى هذا حتى يتم إيصال المرسى الرئيسى إلى قاع البحر، أى إنه يوجد مرسى رئيسى ومراسٍ أخرى فى السلسلة نفسها مساعدة فى عملية إرساء المرسى على القاع.

وهنا يمكن التساؤل عماإذا كانت هذه السلاسل من الأثقال الحجرية ذات الثقوب كانت لإمساك الأشرعة والصوارى، أو أن هذا الشكل له دور فى عملية الإرساء نفسها[1].

كذلك بالنسبة إلى التاريخ: هل هى حجرية منذ قبل التاريخ، أو أنها بقايا أنشطة بحرية؟ إن الذى يمكن أن يساعد على فهم وظيفة هذه الأثقال الحجرية هو العصر الذى استخدمت فيه، وكذلك المنقولات أو اللقى الأثرية من أوانٍ أو أشياء أخرى تتعلق بتفسير ارتفاع مستوى البحر أو الانهيار الذى حدث لشواطىء الإسكندرية.

(1) Ibid.

الحقيقة أن أمامنا عدة معطيات، وهى أن عمق البحر عند سلسة الصخور أو الحيد البحرى الآن هو نحو ١٢ مترًا. وجود مساحة من الرمال على عمق ١٣ - ١٤ مترًا تحيط بهذه الحيود أو سلسلة الصخور. المسافة من الشاطىء نحو ٥٦٠ مترًا. وهنا يمكن أن نتساءل عما كان عليه عمق قاع البحر فى هذا الموقع عندما كانت قرية راكوده هى قرية فرعونية؟[١]، ثم ماذا كان العمق عندما أصبحت الإسكندرية فى العصر اليونانى الرومانى؟

بالرغم من وجود دلائل على مواصلة البحر المتوسط فى ارتفاع مستواه فإنه يتضح فى الإسكندرية - كما فى كل الأجزاء - أن هبوطًا فى الأرض، كارثة زلزالية كظاهرة حدثت فى تاريخ الإسكندرية. فالمدينة الكبيرة قد عانت بشدة خلال العصر اليونانى و الرومانى وكذلك الإسلامى، عانت عدم الاستقرار أو الكوارث التى نتجت من تحرك القشرة الأرضية[٢]. وكما قدر البروفسور جان إيف إمبرور فإن الفارق بين مستوى القاع في العصر البطلمى والآن هو نحو ٦ أمتار فى مساحة استكشافاته فى قايتباى. كما أن البروفسور تزالاس أيضًا يرجح أنه الفرق نفسه فى منطقة الرمل فى شرق السلسلة، حيث إن الظاهرة لم تحدث فقط فى الميناء الشرقى؛ بل حدثت فى الساحل كله، وهذا أيضًا ما أكده المستكشف فرانك جوديو عن الميناء الشرقى وأبى قير، فهل يمكن القول إن العمق فى البحر كان فى العصور القديمة يبلغ عند الحيود البحرية نحو ستة أمتار.

- إن موقع رأس لوخياس القديم، والذى هو غارق تحت سطح البحر الآن، ويمتد إلى الشرق من رأس السلسلة (من الشاطبى ١) قد تم عمل مسح أثرى له منذ عام ٢٠٠٠ - ٢٠٠١، وقد كان البحث إيجابيًا، وأسفر عن أكثر من عشرين

(1) Ibid.

(2) Ibid.

عددًا من القطع والعناصر الأثرية الكبيرة الحجم، والتى أدت إلى الاعتقاد بأن العمل فى هذا المكان إنما هو مهم بمكان، حيث كان يقع ذلك المبنى المهم ألا وهو (البروكيون) فى الحى الملكى[1].

لقد تم اكتشاف جزء عبارة عن كتف أو عمود من بيلون قد يكون دليلاً على أنه بقايا لمعبد إيزيس، والذى كان مقامًا هناك، حيث وجدت كذلك قاعدة جرانيتية كبيرة وعتبة ضخمة لباب أثرى قديم، وهو ما يؤكد وجود بقايا لبناء قديم مهم مع أشياء أخرى.

لقد وجدت مجموعة عناصر معمارية كبيرة الحجم من الجرانيت تقع إلى الشمال الشرقى، هذه المنشآت المعمارية تمتد تقريبًا وربما إلى العصر الرومانى المتأخر، وهى الآن غارقة على عمق نحو تسعة أمتار، وبالاستناد إلى أقوال المؤرخين والمصادر القديمة، مثل (سترابو، وبلوتارك، وديون كاسيوس)، وعلماء القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، وبالاستناد إلى خرائطهم الافتراضية التى وقعت أماكن رأس لوخياس القديم والقصر ومعبد إيزيس لوخياس وبنايه أو قصر كليوباترا . فى موقع يحتل نفس الموقع الخاص (بمعبد إيزيس لوخياس) الذى وضع بواسطة Bartocchi فى خريطته فى نهاية القرن التاسع عشر، عثر الغطاسون والأثريون من بعثة المعهد اليونانى المستكشفة فى هذا الموقع على مكعب جرانيتى كبير يأخذ شكل قاعدة تمثال، وقطعة لم يتم تحديدها منحوتة من الجرانيت، ربما تمثل شكل جزء من باب قديم أثرى، وكتلة جرانيتية نحتت بشكل أخاديد، وأربعة مربعات قطعت بحيث تعطى تفسيرًا بأنها جزء من بيلون صغير.

(1) Harry E. Tzalas, a preliminary report, underwater archeological survey at Ramleh Alexandria, The Hellenic Institut for ancient and mediaeval Alexandria "studies, Athen, and the Hellenic institut for the preservation of nautical tradition, Athen, the department of underwater Archeology of supreme council of Antiquities of Egypt in Alexandria..

- قاعدة تمثال ترقد على عمق ٨ أمتار، وعلى مسافة نحو ٨٥ مترًا من نتوء السلسلة أنه شكل مكعب عبارة عن كتلة من الجرانيت الأحمر ارتفاعها ١,٥٤ متر (وهو أقصى ارتفاع)، وعرضها ١,١ متر، وطولها ٢,٢٤ متر)، ووزنها نحو ١١,٢٠٠ طن (وهو وزن تقريبى)، وهناك بروز يظهر على ثلاثة أوجه من الحافة العليا (الواجهة واثنين من الأوجه، فى حين أن الظهر مستو كلية) مثل الحافة السفلى. الكتلة كاملة كانت مغطاة بالحشف وتم تنظيفها[1].

من دراسة مبدئية لهذه الكتلة الجرانيتية يمكن الاعتقاد أنها كانت تستند إلى جدار مشكلة جزءًا من أثر، أو أن وجهها الخلفى كان وحده من كتلة أخرى تشكل قاعدة تمثال، ولا توجد نقوش يمكن رؤيتها على السطح، وقد تم تصويرها ورسمها بواسطة علماء البعثة[2]. ومن المهم معرفة ما إذا كانت هذه الكتلة سقطت فى مكانها، أى إنها ما زالت فى المكان الذى كانت موجودة فيه أصلاً فى الزمن القديم على قاع رأس لوخياس، أو أن موقعها هو نتيجة لتهدم متأخر. كذلك فى شمال هذا الموقع، أى شمال رأس السلسلة، عُثر على كثير من قذائف المدافع فى منطقة (دياباترا)، ويمكن تفسيرها فى الوقت الحالى فى وجود قلعة من العصور الوسطى تعرف بالفنار الصغير (Pharillon) على قمة رأس السلسلة.

- العنصر الآخر المكسور، والذى لم يُطَابَق بشكل نهائى (ربما إطار باب)، وهو قطعة أخرى من الجرانيت عبارة عن كتلة وجدت على عمق ثمانية أمتار وعلى بعد ٥٠ مترًا جنوب شرق قاعدة التمثال. أيضًا هناك عنصر معمارى مستطيل مكسور فى جزئه الطولى. الطول يحتفظ بطول ٣,٣٠ متر، واتساعه فى أقصى

(1) Harry. E. Tzalas, report 5.

(2) Ibid

سمك ١,٥ متر، وأقل حد للسمك ٠,٧٥ متر. منتصف السطح المرئى يحمل مستوى ارتفاع ٠,٢٧ متر، فى حين أن العرض يختلف، فهو يبدأ من إحدى النهايات بـ ٠,٣٠ حتى ٠,٨٠ متر فى النهاية الأخرى، وهناك انخفاضان عميقان مستديران يشبهان مساكات أو حوامل لتستقبل قطعة خشبية مستطيلة (تعتمد فى تعريفها على ما إذا كان الباب يغلق رآسيًا أو أفقيًا)، وترى قريبًا من الحافة غير المكسورة، ووزن هذا الجزء الباقى من الأثر يبلغ نحو ٣,٥ طن[١]، وهذا الجزء يمكن أن يفسر على أنه ضريح كليوباترا السابعة، والمعروف أنه يحتوى على كنز ربما فى المستوى الأسفل منه.

– جزء من بيلون : فى منتصف المسافة بين القاعدة وإطار الباب وجدت قطعة معمارية ذات فائدة كبيرة. وهى فريدة فى المنطقة، وقد صنعت من نفس الجرانيت الأحمر مثل السابقين، وتأخذ الشكل المستطيل، وذات سطح سفلى أعرض من العلوي، ويبلغ ارتفاعها ٢,٦ متر، وأقصى عرض لها هو ١,٥٥متر، وأقل عرض هو ١,١٦ متر، أما سمكها فهو مختلف؛ فهو ٠,٧٩ متر عند أكبر سمك، وهو ٠,٤٦ متر عند أقل سمك، والوجه الأمامى يأخذ شكل زاوية (٨٣ درجة)، فى حين أن الخلفى مستقيم بزاوية قائمة ٩٠ درجة.

الوجة الأمامى يحمل مكان أخدودين طوليين باتساع ٠,١٩ متر (١٩ سم). لقد كان الأثرى كرالامبوس كرايتزس Charalambos Kritzas أول من اقترح أن تكون هذه الكتلة هى الجزء الأيسر من بيلون (صرح). بمقارنة هذا العنصر الأثرى مع البيلون الفرعونى فإن التماثل هنا يكون واضحًا[٢]. ويمكن القول إن هذه الكتلة والتى وجدت على طرف منطقة السلسلة تشكل جزء بيلون صغير

(1) Ibid

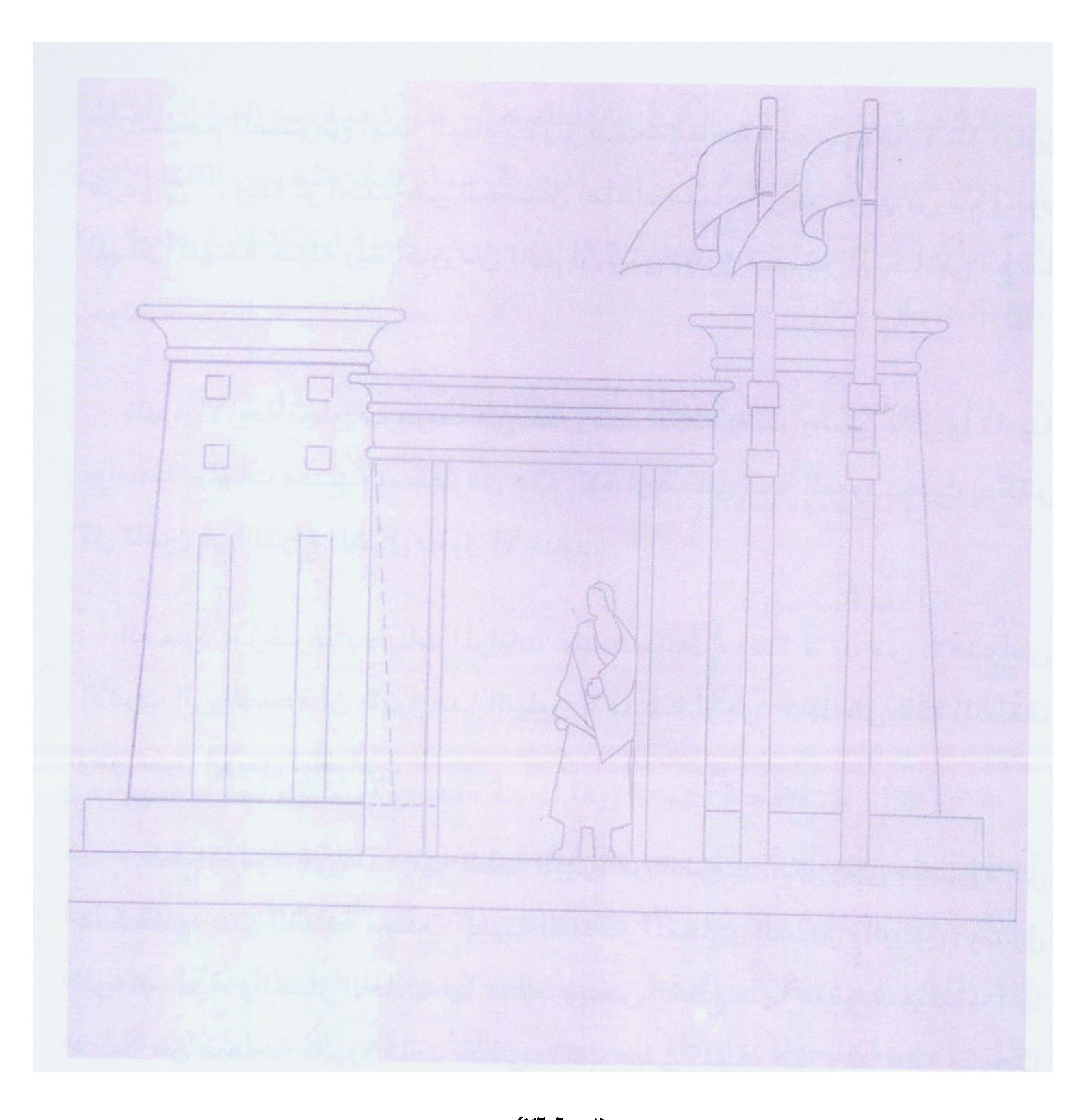
(2) Ibid

وضع فى مدخل ضريح مقدس بطلمى رومانى، ولها عند القمة إفريز، ووضعت على درجة كما فى الصروح (البيلون)، وهكذا يعطى ارتفاعًا نحو ٤ أمتار **(لوحة ٧٦)**، وكذلك يحيط به من المدخل زوج من الأرجل كالتى ترى أمام شرفات التقديمات أوالأضرحة المقدسة الفرعونية.



(لوحة ٧٦)

عنصر معمارى عبارة عن جزء من بيلون من الجرانيب من منطقة الشاطبى
(عن A.yfantis البعثة اليونانية)



(لوحة ٧٦)

إعادة تصميم للعنصر المعمارى من الجرانيت افتراض لما كان عليه البيلون بواسطة Harry E. Tzalas

(رسم yiannis Pantzopoulas)

الحجم المفترض لهذا البناء يظهر فقط قطعة صغيرة من كتلة بيلون فرعونى[1]. ربما لو أخذنا فى الحسبان امتداد مساحة رأس لوخياس مع وجود المبانى المهمة حوله ربما كان من المهم أن يبنى بيلون مصغر ليتماشى مع ما حوله.

ظهور الأربعة تجاويف مربعة فى نقش هذه الكتلة يفسر بضرورة كونها تأمينًا بواسطة حلقات معدنية تسقط فى هذه التجاويف فى قمة العمود، حيث يستقر كل تأمين فى الفراغ المشكل بطول الأخدود.

العمود مزخرف بحليات للرايات عند قمته[٢]، وهنا لا بد من الافتراض الأقرب إلى الصحة أن ظهور هذا البيلون لا بد أنه لوجود معبد فى هذه المنطقة، وهو معبد إيزيس لوخياس.

- قطع قرميد كورنثى: إنها قطعة كبيرة من القرميد الكورونثى مكسورة إلى عدة قطع. هذه القطعة وجدت جنوب العنصر المعمارى السابق (البيلون) وشرق نتوء السلسة، والكسر الحادث لها قديم، وبعض القطع منها مفقودة، ويعتقد أنها قطعة من مساحة كبيرة كانت تغطى سقف مبنى كبير. هذا وقد عثر فى هذا الموقع أخيرًا على كميات مركزة من العناصر الأثرية المتناثرة على المساحة. نحو ١٠٧ قطع أو لقى أثرية منها عناصر من الجرانيت والأحجار، وهذا العدد الكبير الذى وجد بكميات مهمة يدعو إلى التحقق من أن هذا المكان كان عليه مبنى ضخم يحمل مثل هذه العناصر المعمارية، وأنه قد دفن جزئيًا فى الرمال[٣]، وهو ما يشكل حيرة لدى العلماء، كذلك فإن هذه الحطام الأثرية وجدت فى مياه

(1) Ibid

(2) Ibid

(3) Ibid

ضحلة عمقها من ٣ إلى ٧ أمتار. كذلك عثر على كمية من الفخار المتناثرة بكميات كبيرة فى المنطقة حتى الإبراهيمية. هذا ويمكن تلخيص اللقى الأثرية فى موقع الشاطبى I حتى اسبورتنج مبدئيًا، وحتى حملة استكشافية عام ٢٠٠٣ فى التجمعات التالية:

١- واجهة محززة ذات ثلاث أخاديد (Triglyph)

٢- جزء من عمود مكسور.

٣- ٦ أعمدة مكسورة.

٤- جزآن من أعمدة مكسورة.

٥ - أجزاء من خمسة أعمدة ربما لوحة صغيرة (ستلا)، أشياء كثيرة من (صنع اليد) بانيو أو (حمام سباحة) قطعتين ضخمتين متماثلين بقمة مستوية وشكل درجى (سلم) تزن نحو ١٢ طنًا، ونحو ثلاث كتل مصقولة بصنع اليد لها شكل المكعبات، دفنت فى الرمال، باتجاه الشرق، وهناك قطعة كبيرة لم يتعرف على ماهيتها منحوتة بواسطة اليد، وهى غالبًا من الجرانيت، زخرفتها تشبه المقعد، وعلى الأقل ثلاث كتل كبيرة الحجم جدًا وجدت مدفونة فى الرمال. هذا التركيز يغطى المساحة فى نحو ٥٠ مترًا مربعًا (٥٠ م^{٢}).

٦- تسع كتل كبيرة فى شكل مكعبات، محتمل أنها من الجرانيت، واثنتان من القطع المسطحه من الكوارتزيت.

٧- نحو ما يقرب من أربع عشرة كتلة منحوتة باليد اعتبرت سلمًا، قطعت من قطعة واحدة من البازلت.

٨ - عُثِرَ على أربع وعشرين كتلة كبيرة منحوتة باليد على شكل مكعبات، ومقاعد من الجرانيت الأحمر رجحت أن تكون عرشًا.

- هذا وقد وجدت فى التجمعات المختلفة (**لوحة ٧٧**) العناصر التالية:

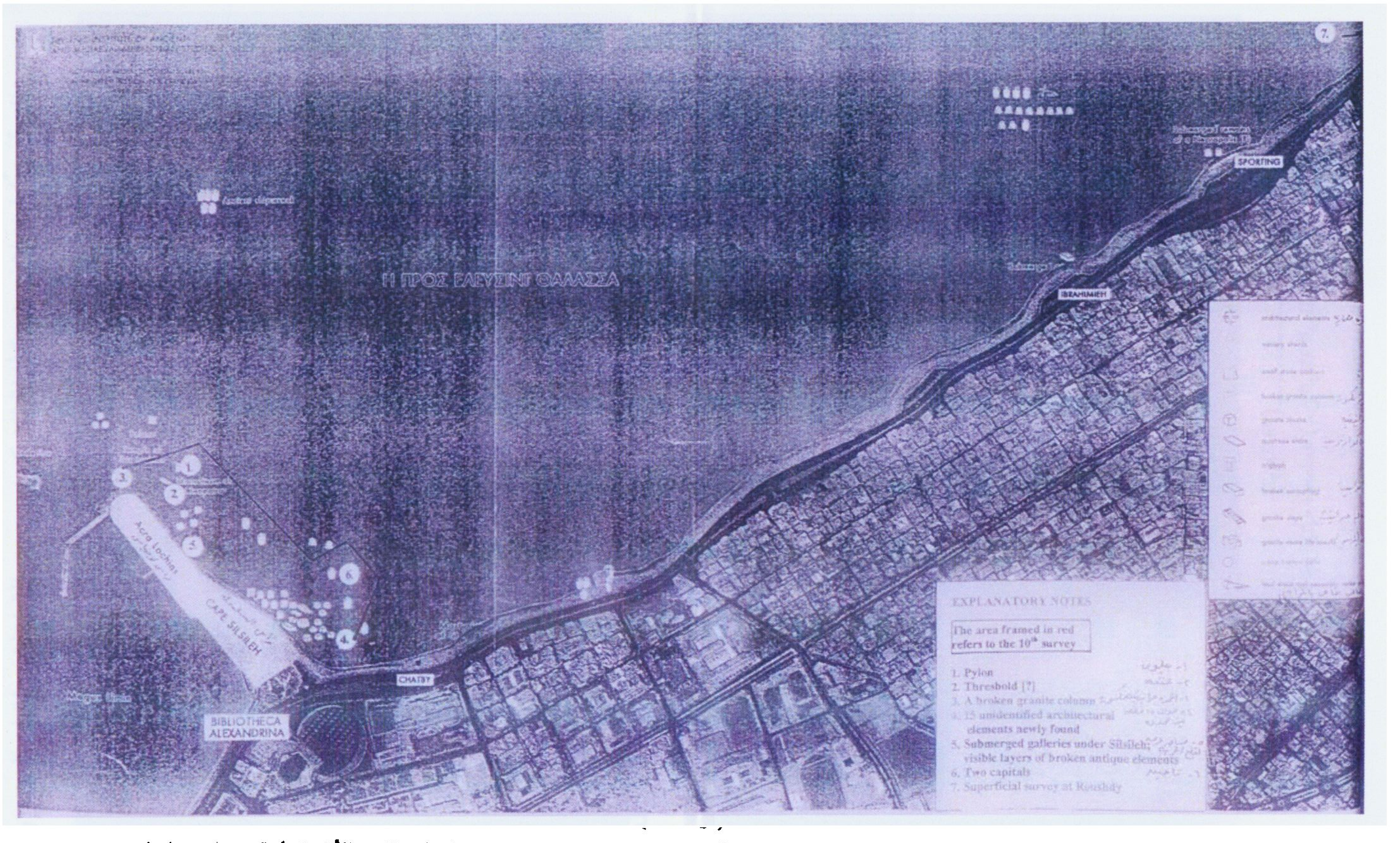
أ - واجهة ذات أخاديد ثلاثة (ثلاثية الأخاديد Triglyph)

وهى من البازلت الأسود ارتفاعها ٠,٦٠ م × ٠,٤٥م وسمكها ٠,١٥ م (٦٠ سم × ٤٥ سم × ١٥ سم). وتشكل جزءًا من السطح ذا أعمده دورية، لمعبد أو رواق مسقوف ذى جدار من الخلف وأعمدة من الأمام. من طريقة حفر الأخاديد يعتقد أنها ربما تتعلق بأحد المبانى الرومانية. وقد تم سحب هذه القطعة من قاع البحر لكى يتم رسمها وتنظيفها ودراستها، ثم إعادتها إلى مكانها فى قاع البحر.

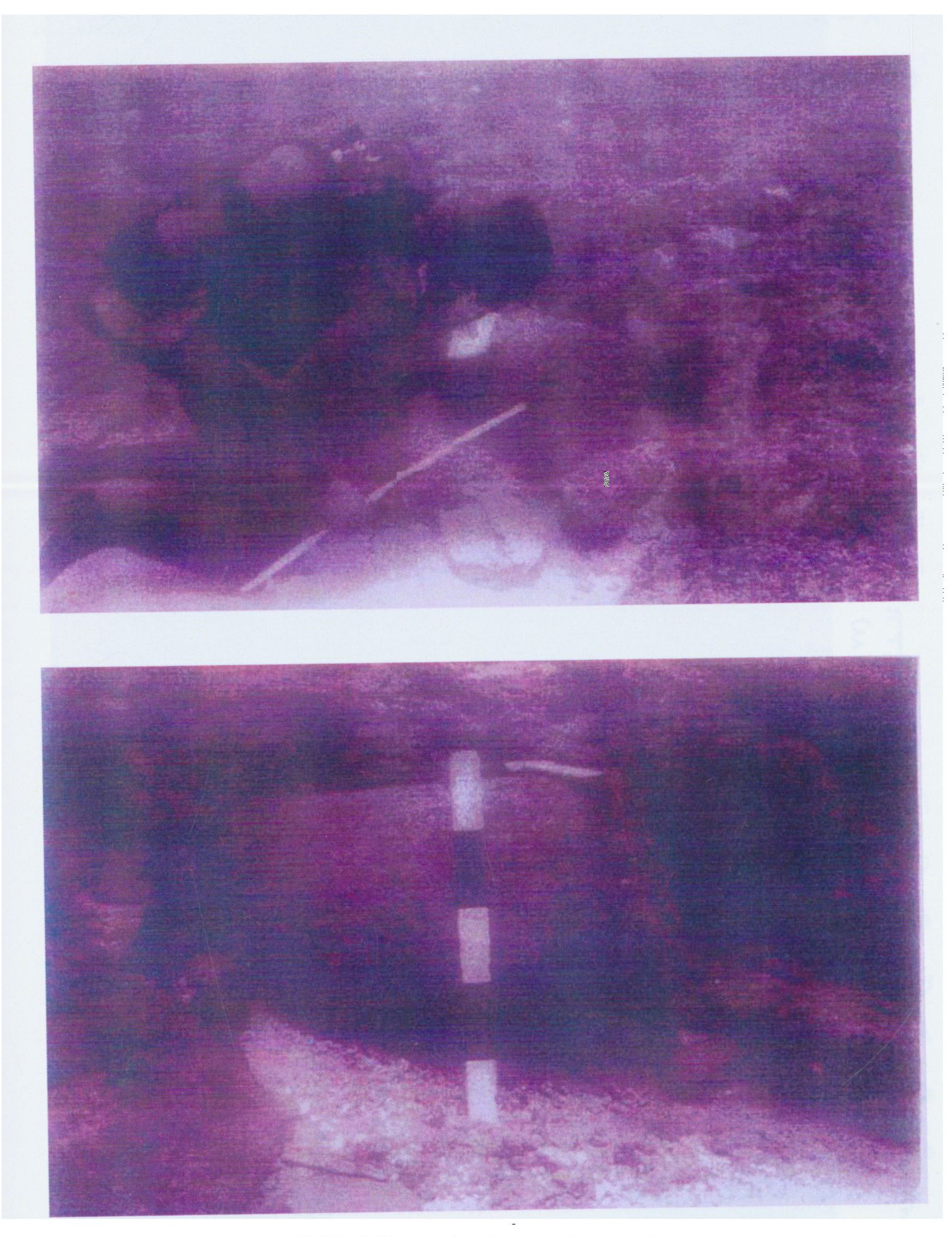
ب - الأعمدة The Columns

وجد ١٥ عمودًا متعددًا من الجرانيت (**لوحة ٧٨**)، حيث تظهر الأجزاء المكسورة ما يعرف بالأعمدة الجرانيتية ذات القطع الواحد (مونوليثيك Monolithic) التى وجدت فى اكتشافات الإسكندرية[1]. هذه القطع بها كسور قديمة، وسطحها على درجة كبيرة من التدمير بسبب حركة المياه والأمواج، والبروزات التى ما زالت محفوظة بها تبلغ ٠,٢٤ م - ١,٣٠ م، وقطرها من ٠,١٨ م إلى ٠,٦٥م . الاختلاف فى القطر ليس دائمًا دليلاً أن الأعمدة مختلفة فى الأحجام، ففى الواقع هناك علامات تدمير شديدة على بعضها، وقد غير هذا من أشكالها.

(1) Harry. E. Tzalas, report 9.



مواقع التنقيب للبعثة اليونانية تحت البحر فى ا لمنطقة من شرق رأس السلسلة وحتى سبورتنج مع علامات اللقى الأثرية وأماكن تواجدها. (عن



أعمدة جرانيتيه محطمه (عن البعثة اليونانية)

هناك أيضًا اختلاف فى كثافة التركيز حسب الاختلاف لقاع البحر وذلك من الطين إلى الرمل إلى الأحجار، والذى يغطى مختلف الأعمدة. هناك أيضًا عمودان حالتهما جيدة مقامان فى مدخل حديقة السلسلة، والاحتمال الأكبر وجودهما فى هذا الموقع نفسه، وهناك تطابق مع أكثر الأعمدة المكسورة التى وجدت فى قاع البحر، ومن المرجح أن هذه المبانى وهذه البقايا الأثرية المنهارة قد حدث لها هذا نتيجة زلزال، كذلك بعض القطع المكسورة وقد غمرت فيما بعد فى البحر كحماية لجزر السلسلة. إن حركة الأمواج أيضًا يمكن أن تكون مسئولة عن هذه الحالة المتعددة الاختلاف فى هذه اللقى الأثرية الموجودة فى القاع.

طبقًا لبحث هذه اللقى الأثرية فإنه يمكن القول إن المجموعة الثانية، وهى مجموعة الأعمدة The Columns، قد صنعت من الجرانيت الأحمر، وقد كسرت من نهايتها، وقطرها نحو ٣٥ سم، والطول المحفوظ لها الآن ٦٥ سم، وقد وجدت قريبة جدًا من الكتل الضخمة شرق رأس السلسلة، والتى تحميها[1].

ت – ستة أجزاء مكسورة من أعمدة كلها من الجرانيت الأحمر، منها ثلاثة قد تم قياسها بأبعاد:

١- طول ٨٥ سم وقطر ٤٥ سم

٢- طول ٦٤ سم وقطر ٥٠ سم

٣ - طول ١,٢٠ متر وقطر ٦٥ سم

(1) Ibid

ث - جزآن من أعمدة مكسورة يحتمل أنهما يخصان الأعمدة السابقة نفسها، ولم يتم التأكد من ذلك من قبل البعثة.

ج - البانيو (حوض السباحة)

قطعة كبيرة يدوية الصنع قطعت فى كتلة (محتمل أنها من جرانيت أسود)، وأبعادها ٦٠سم × ٢٥ سم × ٣٥ سم، يعتقد أنها جزء من حمامات عامة رومانية. الجزء المحفوظ يبين أنه مقعد الحمام، وهو ينحدر إلى الخلف باستدارة، ومصقول جيدًا، ويحاكى الموجود فى متحف الإسكندرية اليونانى رومانى[١].

الكتل

هناك كتل كبيرة الحجم تنتشر على قاع البحر فى تركيزات مختلفة، منها على الأقل نحو ثلاث كتل كبيرة يحتمل أنها قطعت من الجرانيت وجدت فى التجمع الخامس، وكذلك تسع كتل أخرى فى التجمع السادس، وأربع عشرة كتلة فى التجمع السابع.

فى التجمع الثامن، وهو الأقرب إلى الشاطىء والمياه الضحلة الغربية، حيث العمق ٣ أمتار فقط، وجد نحو ٢٤ كتلة من صنع اليد، أى نحتها الإنسان، فى شكل مكعبات راقدة على القاع فى شكل معين منتظم (سمترية). كذلك كل القطع المبعثرة ترقد بالطريقة نفسها، وهذا الوضع لم يبحث، وغير مفهوم أيضًا من قبل بعثة التنقيب[٢]. بعض من الكتل الأكبر تعتبر كبيرة الحجم جدًا، حيث تبلغ أبعادها ١,٨٠ م × ١,٢٠ م.

---

(1) Ibid

(2) Ibid

- الكتل المسطحة

وجدت منها اثنتان من الكواتزيت فى التجمع السادس منتشرة على قاع المنطقة.

- الكتل (السلم)

هو كتلة واحدة من البازلت وجدت فى التجمع السابع، وتبلغ أبعادها نحو ٢,٢٠ م طولاً، وعمقها ٧٠ سم، وارتفاع الواحدة ٣٩ سم فى نهايتها العلوية و ٢٠ سم فى السفلية، وقد نحتت من خمس درجات، كل منها بارتفاع ١١ سم، وهى جزئيًا قد غطاها الرمل، ويمكن أن تعتبر مقاعد فى كنيسة مسيحية بدائية.

- المقاعد (العرش)

من الجرانيت الأحمر، وهى كتل قطعت كمقاعد، ومن الصعب وصفها، حيث إنها مغطاة بالرمال، وفى أثناء الاستكشاف كانت الرؤية ضعيفة. وهناك شكل زخرفى يشكل المحيط الخشبى للمقعد نحت بين الأذرع والظهر يبدأ بمربع وينتهى باستدارة. الارتفاع الذى تحتفظ به ٧٥سم، والعرض ١,٢٥متر، والطول ١,٣٥ متر. هذه القطعة وجدت فى التجمع الثامن.

حتى نهاية هذا الاستكشاف عام ٢٠٠٣ فإنه لا يمكن الجزم بماهية كون هذه القطعة، وربما بعد عملية التنظيف يمكن أن تكون مقعدًا ملكيًا، أى عرشًا، أو مقعدًا فى كنيسة من بداية عصر المسيحية، أو كنيسة من القرن الرابع الميلادى الخاصة بالقديس مارك[1].

---

(1) Ibid

قطعة ربما من ستلا

حيث إنها قطعة مسطحة من الجرانيت مكسورة من جزئها العلوى، وهى فى الواقع تشبه الستلا الفرعونية الصغيرة الحجم[1] (٩٥ سم ارتفاع × ٩٠ سم عرض × ١٥ سم سمك)، وسطحها خشن، وربما قد كان عليها كتابات أو نقوش، فقد غطتها الرمال، وقد وجدت فى التجمع الخامس ليس بعيدًا عن التجمع الرابع كما جزء من كتلة سفلية لتابوت من الجرانيت لقد وجد فى الحقيقة كثير من اللقى الأثرية التى لم يمكن مطابقتها حتى نهاية الاستكشافات عام ٢٠٠٣ بالنسبة إلى هذا الموقع.

(1) Ibid

قائمة المراجع العربية

١ - *إبراهيم نصحى:* تاريخ مصر القديمة وآثارها فى العصر اليونانى الرومانى، المجلد الأول، الجزء الثانى، الموسوعة المصرية.

٢- *تقى الدين أحمد بن على المقريزى:* المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار.

٣- *جاستون جونديه:* الموانى المغمورة لجزيرة فاروس.

٤- *جمال الدين الشيال:* الإسكندرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى، غرفة الإسكندرية التجارية ١٩٤٩.

٥ - *جمال حمدان* :شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان، القاهرة، ١٩٨٠ .

٦- *جودة حسنين جودة* :جمرفولوجية مصر، جغرافية مصر، سلسلة المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ .

٧ - *سليم أنطون مرقس* : حضارات غارقة، قصة الكشوف الأثرية تحت البحر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥ .

٨- *صبحى عبد الحكيم:* التحضر فى جمهورية مصر العربية، التحضر فى الوطن العربى - الجزء الثانى، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٠ .

٩ - *عبد الفتاح وهيبة:* دراسات فى جغرافية مصر التاريخية - الإسكندرية، ١٩٦٢ .

١٠ - *عبد المنصف محمود باشا:* على ضفاف بحيرة إدكو، سلسلة بحيرات مصر.

١١ - *عزت زكى قادوس:* آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية، ٢٠٠١ .

١٢ - *عمر طوسون:* تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية، ١٩٤٢ .

١٣ - ***عنايات أحمد محمد:*** مجموعة محاضرات، جامعة الإسكندرية. توظيف آثار الإسكندرية فى الحركة السياحية - الإسكندرية، ١٩٩٦ .

١٤ - ***عيسى على إبراهيم:*** جغرافية مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦ .

١٥ - ***فورستر. أ . م.:*** الإسكندرية تاريخ ودليل ١٩٢٢، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠ .

١٦- ***فوزى الفخرانى:*** موانى الإسكندرية القديمة، مجموعة المحاضرات العامة لجامعة الإسكندرية فى العام الجامعى ١٩٦٢ - ١٩٦٣ .

١٧ - ***لطفى عبد الوهاب يحيى:*** دراسات فى العصر الهلينستى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨ .

١٨ - ***محمد محمود الصياد:*** تطور ساحل الدلتا الشمالى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الخامس عشر، ١٩٥٣ .

١٩ - ***محمود عبد اللطيف عصفور:*** جغرافية العمران، جغرافية مصر، سلسلة المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ .

٢٠ - ***مصطفى العبادى:*** مجتمع الإسكندرية فى العصر البطلمى، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥ .

٢١ - ***هنرى رياض، سعد زغلول عبد الحميد، السيد عبد العزيز سالم:*** تاريخ الإسكندرية وحضارتها - محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣ .

٢٢ - ***وهيب كامل:*** هيرودوت فى مصر، القرن الخامس، دار المعارف.

٢٣ - ***يسرى عبد الرازق،*** جغرافية مصر - سلسلة المجلس الأعلى للثقافة - الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٤ .

قائمة المراجع الأجنبية
Bibliography

1 - Adriani, A., **La Nicropolie d'Hadara in annuaire de musée_Greco - Romain**, 1940, 1950, 1952.

- **Repertorio d'arte dell' Egitto Greco-romano**, Serie C, vol.I-II, tavole (1984), Testo (1966) paleme.

- **Alexandrie, Lumiére du monde antique, les dossiers de l'archéologie, no 201, 1995.**

- BSAA 421, 1940-1945.

2 - Alssandro copra, **three dimentional topographical relief of canopus Island,** one hundred years in Egypt.

3 - Ball John, **contribution to the geography of Egypt,** cairo, 1942.

- **Egypt in the classical geographers, Govt. press, cairo, 1942.**

4 - Bernard, A., **Alexandrie des ptolemées,** ed Du CNRS, Paris 1995.

- **Le delta Egyptien d'après le text grecs,** le caire 1970.

- **Alexandrie la Grande,** 1ere éd, Arthaud 1966, new enlarged edition, Hachette, 1998.

5 - Bernand, A- and E- and Goddio, fr., **"L'épigraphie sous-marine dans le port oriental d'Alexandrie",** ZPE 121 (1998).

6 - Bernand, E., **Inscriptions grecques d'Alexandrie ptolémarique,** in the press, IFAO.

- **Inscriptions grecques et latines d'Akôris,** IFAO, 1988.

7 - Breccia, Ev., **Alexandrea Ad Aegyptum,** Bergame, 1914.

- **L'Egypte Greco-romaine societe archeologique d'Alexandrie,** officire dell'instituto Italiano d'arti grafiche; Bergamo, 1926.

- **Le revine e di monumenti di canop, 1926.**

- **Iscrizioni Greche e latine,** catalogue general des antiquités Egyptiennes du musée d'Alexandrie. IFAO, 1911.

8 - Calderini, A., **Dizionario dei nomi geographici e topogrophici dell' Egitto Greco - romano,** vol I- V (1935-1987) supplemento I (1998).

9 - Cecile Harlaut., **Preliminary note on the ceramics discovered on capopus island, one hundred years in Egypt.** Instituo Italianc di cultura del Cairo.

10 - Chuvin, p., **Chronique des derniers paiens. La disparition du paganisme dans l'Empire romain du règne de constantin a celui de Justinien,** Paris, des Belles lettres / Fayard, 1990.

- Chuvin, P., Yoyotte, J., **le zeus casis de pelose a tivoil hypothése,** BIFAO, 88, 1988.

11 - Darssy, G., **Statues de divinities.**

12 - Empereur , J - Y., **Le phare d'Alexandrie, la merveille retrouvée** (Decouvertes Gallimard, no 352), Paris 1998.

- Tropis VII, 7th international symposium on ship construction in antiquity, Athen 2002.

- **Alexandrie redécouverte,** Paris, Fayard / stock, 1998.

- BCH (Bulletin de correspondence Hellénique) 120, Etudes Rapports et chroniques 1996.

- BCH 122, 1998.

- BCH 124, 2000.

- BCH 126, 2002.

13 - Faivre, J (The Rev^{d} Father)., **Cànopus, Menouthis, Aboukir.** (Translated by A. Granville) 1918.

14 - Forster, E.M., **Alexandria : a History and a Guide.**

15 - Frost, H., **The pharos site, Alexandria Egypt in Archaelogy** 4,1975.

16 - Gesrkan, Armin., **Meereshöhen und hafen anlagen in Attertum,** aus w. DropFeld Festschrift zum 80, Geburstag, kodewcky, Gesellschaft, 1933.

17 - Goddio, F., and others, Alexandria, **The submerged royal quarters,** periplus publishing, London Ltd, London, 1998.

- Goddio, F., Bernand, A., **Sunken Egypt, Alexandria,** London 2004.

- Goddio, F. **A la recherché de Cléopatre,** Editions Robert laffont, Paris, 1996.

18 - Grenfell and Hunt, **oxyrhunchus papyrus** no1380 vol. XI.

19 - Hassan, S., **The sphinx, the history in light of recent excavations,** cairo, 1949.

20 - Hayes, j-w., **Greek, roman and metalware in the royal Ontario museum,** Toronto, 1984.

21 - Internet site, www.angefire.com.

22 - Italian archeological **mission at Alexandria of Egypt.**

23 - L'institut Europeen d'archeologie sous marine, **rapport des missions.**

24 - Jaques, F., Bousquet, B.,**"Le raz de maree du 21 Juilet 365". Du catachysme local à la catostrophe cosmique,"** MFRA, 96, 1984.

25 - James Biakle, **Egyptian antiquites in the Nile Vally,** Britain, London, Routledge.

26 - Jean-Pierre corteggiani, **les Aegyptiaca de la fouille sous - marine, Qait bay, Bulletin de la société française** d'Egyptologie 14 juin 1998.

- **"la méche de ptolémée", Histoire thematique,** 69, janvier, Fevrier 2001.

27 - **La Gloire d'Alexandrie, catalogue de l'exposition au musée du petit palais,** 7 mai ? 26 Juillet 1998, paris , musée ed. 1998.

28 - Lyons, H.G. **The physiography of Nile and its basin,** cairo, 1906.

29 - Mahmoud bay El Falaki, **Memoire sur l'antique Alexandrie.**

30 - Mansi, **collection of councils, vol. VI.**

31- Maspero, G., **Ancient history of the people of the classical east, vol. III.**

32 - Morcos, S.A., **Early discoveries of submarine archeological sites in Alexandria, Underwater archeology and management, focus on Alexandria, unesco publishing 2000.**

33 - Otto Harrassowitz, **Lexikon der Agyptologie, Band II.**

34 - Omar Toussoun, **memoire sur les anciennes branches du Nil memoires presentes à l'institut d'Egypte, 1922.**

- Les ruines sous marines de la baie d'Abou kir, conference à la société royal d'archeologie 1934.

35 - Paolo Gallo, **one hundred years in Egypt, the peninsula and the island of canopus , a history of water and sand, Instituto italiano di cultura del cairo.**

- Archaeological society of Alexandria, newsletter, 2003.

36 - Performmer, m., **Roots and contacts, aspects of Alexandrian, California, 1996.**

- Studien zu Alexandrian und gross grecgische toreatik Fruhellenisher zeit 1987.

37- Robert Graves, **New larouse Encyclopedia of melhogy.**

38 - Schosck, S., wildung, D., Roeder, G., **Agyptische bronzefigari, mettelngen aus der Agyptischen sammlung IV, Berlin 1956.**

39 - Sethe., urk., II.

40 - S' Sophron., **Praises of saint cyr and saint john.**

41 - Theodorus of studuim, **life of st Arsenius.**

42 - Thierch. H., **Der pharos Antike Islam and occident Beitrung zu Architekturgesch ichte von teubner, leipzigu, Berlin, 1909.**

43 - Vernier . E., **Bijoux , et orfevretico, 1927.**

44 - Yoyotte. J., Pascal Charvet., Stephane Gompertz.S., **strabon. Le voyage en Egypte, Nil editions, Paris, 1997.**

45 - Zoega. **Catalogue of the Coptic manscripts in the Borgia museum .**

قائمة المصادر

1 - Aelius Aristide. vol II.

2 - Ammianus mercellinus. XXII (340-400 AD)

3 - Athenaus. VII (2nd or 3rd century AD)

4 - Caesar. the civil war. X (100-44 BC)

- De hello Alexandrino)

5 - Dio cassius. Roman history (155-235 AD)

6 - Diodorus siculus. XXI. (born c.90 BC)

7 - Diodot's paypyrus.

8 - St. Epiphanus Ancoratus. Short exposition of the faithy.

9 - Eunapuis. life of Edesius.

10 - Flavios Joseph. Guerre de jeufs avec les Romain. III. IV . (37-95 AD)

11 - Greek Anthology. VI.

12 - Herodotus. the histories. II. (175-250 AD)

13 - Homer. odyssey. IV. XVII.

14 - Letronne. select works. 1st series. ancient Egypt. vol II.

- Collection of Greek and latin inscription in Egypt. I.

15 - Lucan. the civil war. X (39-65 AD)

16 - Lucian. the ship. 15 (120-180 AD)

17 - Ovid. metamorphoses. XV

18 - Polybius. Histories. XV (201-118 BC)

19 - Pline. Livre V. XII. VII (23-79 AD)

- Natural history.

20 - Plutarch, Parallel livres. (46-120 AD)

21 - Pomponius, mela, livre II.

22 - Propertius Elegies, III.

23 - Pseudo callisthenes, story of Alexander (2nd) "3rd century AD)

24 - Pseudo Aristotle, Aeconomica, II.

25 - Ptolemy, Geography, IV, V.

26 - Rufinus, Ecclesiastical history.

27 - Scylax, periplus.

28 - Seneca, Natural questions, IV, translated by Alexander Granville.

29 - Severus of Ashmouneein, History of the patriarchs of Alexandria edited by B.Evetts, in the oriental patrology, vol I.

30 - Strabo, Gyography, XVII, VOL III

31 - Tacitus, Histories, I.

- Annals, II.

32- Virgil, Georgics IV.

33 - Zacharia, Patrologie orientale.

34 - Zenon papyrus, cairo, 5954 23.



البعث الجديد

اكتشاف الآثار الغارقة
فى أبى قير والإسكندرية

إننى سعيدة أيما سعادة؛ إذ أتقدم بهذا الكتاب إلى القارىء العزيز والباحث المتخصص، فقبل أن أكون باحثة مدققة فى هذا الفرع من التخصص، فأنا بالدرجة الأولى سكندرية أعشق مدينتى، وربما لو أننى لم أختر الإسكندرية والإقليم الكانوبى (ضاحية أبى قير) محورًا لهذا الكتاب البحثى لكان إحساسى أننى قد تخليت عن انتمائى ومدينتى التى أرتبط بها جذورًا وحاضرًا ارتباطًا وثيقًا وعميقًا، لكن المثير حقًا هو أن كتابى الأول فى هذا المجال كان عن الاكتشافات الحديثة فى المدخل الشرقى لمصر، والآن فى هذا الكتاب فإننى أتناول موضوع الاكتشافات الحديثة فى المدخل الغربى لمصر، وكـ بهذا أضم وطنى بذراعى.

د. يسرية عبد



دار الشروق
www.shorouk.com